



مجلة

مجمع اللغة العربية بمسقط

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

مجلة محكمة فصلية

جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٣ هـ

نَيْسَانَ ٢٠١٢ م

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

المدير المسؤول: الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

بجنته المحلّة

الدكتور محمود السيد «رئيس التحرير»

الدكتور عبد الله واثق شهيد	الدكتور مكي الحسيني الجزائري
الدكتور مازن المبارك	الدكتور ممدوح خسارة
الدكتور محمد محفل	الدكتور عيسى العاكوب
الدكتور عبد الإله نبهان	الدكتور هاني رزق
الدكتور أحمد قدور	الدكتور محمد سعيد الصفدي

أمين المحلّة: الدكتور محمود الحسن

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراساتها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- أن يُرفق الكاتب بحجته بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني، مع تعهد بأن البحث غير مستل من أطروحة جامعية، وغير منشور من قبل، ولم يُرسل إلى جهة أخرى.
- ألا يقلّ البحث عن عشر صفحات وألا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة، وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة. أما المقالات فيقبل منها ما يقلّ عن عشر صفحات.
- أن يخلو البحث من أي إساءة إلى الكتاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.
- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، وأن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- أن يلتزم الباحث المنهج العلمي في كتابة المراجع في متن البحث وحواشيه، وأن يضع في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع، مع ذكر اسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم السري.
- ترتّب البحوث والمقالات وفق اعتبارات فنية.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....
- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان:

العنوان البريدي: دمشق ص.ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشبكة (الإنترنت): www.arabacademy.gov.sy

فهرس الجزء الثاني

من المجلد السابع والثمانين

البُحُوث والدراسات

- الثقافة العلمية من متطلبات العصر ٣٠٧ د. محمود أحمد السيد
- الأسماء المنتهية بواو مضموم ما قبلها ٣٣٣ د. ممدوح خسارة
- أبو حاتم السجستاني في ضوء المذكر والمؤنث ٣٥٩ د. طارق الجنابي
- التشبيه المجازي ٣٨٣ د. سمير أحمد معلوف
- شبكة الكلمات العربية «المنهجية والتطبيق» ٤١٩ د. المعتز بالله السعيد طه
- الصورة التشبيهية في شعر الخباز البلدي ٤٤٥ د. أحمد علي محمد
- المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي ٤٦٩ د. فوزية علي زوباري
- الضبط اللغوي: تاريخه وأصوله ٥٠٣ د. محمود الحسن

التعريف والتقد

- مختار تذكرة أبي علي الفارسي لابن جني ٥٢٩ د. عبد الإله نبهان
- قراءة في تحقيق: «البديع في وصف الربيع» ٥٦١ د. محمد رضوان الداية
- غير المطرد في القراءات القرآنية ٥٧٧ د. أيمن الشوا

المقالات والآراء

- السنة القمرية والتقويم الهجري ٦٩٥ د. مكي الحسني
- السلطان نور الدين والقبر النبوي الشريف ٥٩٩ أ. إبراهيم الزبيق

أبناء جمعية وثقافية

- من قرارات المجمع اللغوية في الألفاظ والأساليب ٦٠٧
- الكتب المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الأول من عام ٢٠١٢م ٦٢٩

البحوثُ والدراساتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثقافة العلمية من متطلبات العصر

أ. د. محمود أحمد السيد (*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم الثقافة العلمية، وأن نقف على خصائص العصر والزاد الذي ينبغي للمرء أن يتزود به من الثقافة العلمية لمواجهة متطلبات هذا العصر، وذلك بعد أن نتبين تاريخ الثقافة العلمية، والأهداف المرسومة لها، وأنماط تعلم هذه الثقافة، لنسلط الأضواء على الواقع العربي، وأساليب الارتقاء بواقع الثقافة العلمية في حياتنا المعاصرة.

أولاً - مدخل تعريفي

غني عن البيان أن الثقافة ظاهرة إنسانية، أي إنها فاصل نوعي بين الإنسان وسائر المخلوقات، لأنها تعبر عن إنسانيته، كما أنها وسيلته المثلى لالتقاء الآخرين، وتحدد ذاته وعلاقاته بنظرائه، وبالطبيعة، وما وراء الطبيعة، من خلال تفاعله معها، وعلاقاته بها في مختلف مجالات الحياة، وهي قوام الحياة الاجتماعية وظيفاً وحركةً، فما من عمل اجتماعي، أو فني جمالي، أو فكري، يتم إنسانياً خارج دائرتها.

(*) عضو مجمع اللغة العربية ونائب رئيسه.

والثقافة هي التي تيسر للإنسان سبل التفاعل مع محيطه مادةً وبشراً ومؤسسات، وهي عملية إبداعية متجددة، فالتفاعل مع الواقع، تكيفاً أو تجاوزاً نحو المستقبل، من الوظائف الحيوية لها، وهي إنجاز تراكمي متنامٍ ومستمر تاريخياً، فهي بقدر ما تضيف من الجديد تحافظ على التراث السابق، وتجدد من قيمه الروحية، والفكرية، والمعنوية، وتوحد معه هوية الجديد روحاً ومساراً ومثلاً، وهذا هو أحد محركات الثقافة الأساسية، ويُعد أساسياً من أبعادها.^(١)

والثقافة هي المخزون المعرفي، ومستودع قيم المجتمع، وأعرافه، وأحكامه، ومفاهيمه السائدة التي يتأثر بها أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم: المتعلم والجاهل، الكهل والطفل، المرأة والرجل، وذلك بدرجات متفاوتة، وفق استيعاب كل منهم، وحسب اتساع مداركه، ومن ثم يكون للثقافة الدور الأبرز في تحديد سلوكيات الأفراد، وردود أفعالهم، وطرائق تفكيرهم.^(٢)

والثقافة العلمية هي تزويد الأفراد بمعلومات وظيفية مرتبطة بالعلم وتطبيقاته، وتفكير علمي في حل قضايا العلم ومشكلاته، وتفكير ابتكاري نحو تقبل الجديد والمستجدات في مجال الاكتشافات، والاختراعات العلمية، والمهارات اليدوية، والعقلية، والاجتماعية، ومهارات الاتصال في مجال العلم وتطبيقاته.

وهي ميول، واهتمامات علمية، وتقدير جهود الدولة في المجالات العلمية،

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الخطة الشاملة للثقافة العربية - إدارة الثقافة

تونس ١٩٩٠م - ص ٤١.

(٢) المرجع السابق.

وجهود العلم والعلماء، واتباع السلوك البيئي السليم، وذلك كله في إطار قيمي، وأخلاقي، يُباشي الإطار القيمي للمجتمع.^(٣)

وتتأثر الثقافة العلمية الموجهة إلى الجمهور بامتداد الساحة العلمية، والتطورات التقنية، لتتفرع وفق تلك الأنماط، وتتلون بألوانها، وتتخذ سماتها، فالتوعية الصحية، والإرشاد الزراعي، والتوعية الغذائية، والوعي البيئي والسكاني... إلخ كلها فروع تنضوي تحت الثقافة العلمية.

ومن برامج وتوجهات الثقافة العلمية تلك التي تهتم بشرح عمل الأجهزة المختلفة، وتبسيط مكوناتها، وأحدث مثال على تنوع الثقافة العلمية المعاصرة ظاهرة ثقافة الشبكة «الإنترنت»، التي اجتذبت إليها فئات متعددة، واستقطبت اهتمام مختلف الشرائح الاجتماعية، نظراً لما يقدمه هذا الطوفان المعلوماتي من خدماتٍ وتحدياتٍ وأثارٍ عارمة في المستويات الفكرية، والمعلوماتية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها.

ومن أهم أنواع الثقافة العلمية ذلك النوع الذي يهتم بتبسيط المبادئ والأفكار العلمية، وما يرتبط بها من مفاهيم، ومصطلحات، وتوقعات، ونتائج متعددة الأوجه، تعتمد على مستويات فكرية وعملية مختلفة، وعرض ذلك كله في قوالب جذابة، وأطر مشوّقة. وهذا النوع من الثقافة العلمية هو الذي يفتح آفاق الفكر العلمي أمام الجمهور، ويزوده بمفاتيح الحس العلمي، ويهيئ المواطن لاستيعاب قضايا العلوم، ومشكلاتها، وحلولها، وطرائق توظيفها في خدمة المجتمع والتنمية.^(٤)

(٣) الدكتور محمد عبد الباري القدسي - أدب وثقافة - قراءة في نشر الثقافة العلمية والتقنية -

صحيفة ٢٦ سبتمبر باليمن - العدد ٣٠٢ ١ تشرين الأول ٢٠١١ ص ٦.

(٤) الدكتور محمد خضر الشيباني - الثقافة العلمية مفتاح التقنية - مجلة العلوم والتقنية - مدينة

الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية - الرياض - العدد ٥٥ ص ٢١.

ثانياً - الثقافة العلمية تاريخاً وأهدافاً

لم تكن الثقافة العلمية وليدة العصر الحاضر، فقد نشأ أول علم طبيعي دقيق في التاريخ في بابل العراقية عام ٥٠٠ ق.م، إنه علم الفلك البابلي، وفي القرن الثاني قبل الميلاد نشأ تقليد علمي دقيق في علم الفلك لدى الإغريق، وانتقل بعدها إلى الحضارة العربية الإسلامية.

وهذا يعني أن العلم الدقيق لم يبدأ في الحضارة الأوربية الحديثة وإنما بدأ في حضارات شرق المتوسط والحضارات الشرقية القديمة، وانتقل عبر الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

وكان للثقافة العلمية حيّز في الحضارة العربية الإسلامية، ذلك أن التقدم الذي أحرزه العرب إبان ألق حضارتهم لم يكن ليقصر على العلم النظري، بل تعداه إلى حياة المجتمع العربي، وإلى الجوانب التطبيقية من العلوم، فكان للعلم عند العرب وظيفة اجتماعية فضلاً عن كونه بحثاً عن الحقيقة وتمكيناً لها.^(٥)

ولقد قال المؤرخ الكبير جرمان مونبليه: «إننا نشهد للكتّاب العرب الذين كتبوا في الموضوعات العلمية بمزية الإيضاح التام والطريقة التعليمية»، وأشار الملك الإسباني «خوان كارلوس» إلى أن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تشكّل شطراً من تاريخ بلادنا، ذلك التاريخ المشترك الذي قدّم إلى العالم وخلال قرون ثمانية عدداً كبيراً من الشخصيات اللامعة في تاريخ البشرية بأبعاده الواسعة، وإن إسبانيا اليوم تشعر بالفخار

(٥) الدكتور محمود أحمد السيد - التراث بين الماضي الحي والغد المنشود - مجلة العرب - دار

اليامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - ج ٩ و ١٠ - آذار ونيسان ٢٠١٠ - ص ٥٥٢.

بماضيها الذي تقاسمته مع الشعب العربي العظيم، وبمساهمات رجاله في التقدم الثقافي، والعلمي للبشرية.^(٦)

واتبع العرب في العلوم الطبيعية وفي جوانبها التطبيقية كالطب والصيدلة منهجية علمية راقية، تقوم على خمس دعائم، وهي:^(٧)

١- نفي الخرافات.

٢- سعة الاطلاع.

٣- الرحلات للبحث والتنقيب.

٤- التجارب.

٥- الموازنة.

وتجدر الإشارة إلى أن العرب اقتبسوا ما كان لدى الأمم الأخرى من علوم ومعارف مختلفة في الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء، وعلى الأخص في علم الطب الذي يمثل حاجة أساسية من حاجات الإنسان لاتصاله بصحته وقوته ووجوده، ولكن العرب لم يقفوا عند حد الاقتباس الذي تجرى بطريق الترجمة التي نشطت أيما نشاط آنئذ، بل سرعان ما تمثلوا ما ترجموه، وانتقلوا إلى مرحلة الوضع والابتكار.^(٨)

ولقد أثمرت المحاولات في القرن السابع عشر في الغرب باسم غاليليو الإيطالي

(٦) الدكتور محمود أحمد السيد- في قضايا الثقافة- مطبعة العجلوني- دمشق ٢٠٠٢م ص ٢٦.

(٧) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- استراتيجية تطوير التربية العربية- تونس ١٩٧٩ ص ٥٣.

(٨) شحادة الخوري- أوراق ثقافية- الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق ٢٠١٢ ص ١٦٣.

ومن بعده باسم نيوتن الإنجليزي في الثقافة الحديثة والاقتصاد الحديث. وكانت ثمة محاولات مستمرة بذلت من قبل لتبسيط المفاهيم والأفكار.

وفي الغرب كانت ثمة محاولات مستمرة لتبسيط المفاهيم والأفكار، وتوضيح المعطيات التقنية، وإبراز المعاني والدلالات المرتبطة بالجهود والتأج العلمية، وكان من أبرز ذوي هذه المحاولات الفيزيائي البريطاني «مايكل فاراداي» في بداية القرن التاسع عشر، وقد أدى اكتشافه لظاهرة الحثّ (التحريض) الكهرمغناطيسي إلى اختراع المولد الكهربي، ففتح بذلك باب استخدامات الطاقة وتحويلاتها على مصراعيه، وكان حريصاً على إلقاء المحاضرات العامة، وتبسيط أعماله العلمية، واشتهر بمهارته في الحوار والتشويق والإيضاح، وكان مدركاً منذ ذلك الوقت لأهمية تعليم العلوم للجميع على أوسع نطاق، وغدا المتحدث باسم الحركة العلمية في عصره والمروّج لها، إذ باتت محاضراته العامة ملتقى شرائح متنوعة من المجتمع البريطاني، وعمدت الجمعية الملكية البريطانية إلى تأسيس جائزة «فاراداي» تُمنح للأوائل الذين يقدمون إسهامات بارزة في مجال التوعية العلمية للجمهور.^(٩)

واهتم علماء مرموقون في القرن العشرين في الغرب بعملية التواصل مع الجمهور، وذلك بتأليف الكتب والنشرات المبسطة وإلقاء المحاضرات، والمشاركة في الندوات العامة، وكان من أبرزهم «إينشتاين» و«تشارلز نسو»، و«جون ميللر»، إذ أنجز الأخير عام ١٩٧٠ دراسة عن قياس مستوى الثقافة العلمية في أمريكا، تبين له منها أن عدداً لا يزيد على ٧٪ من الأمريكيين يمكن تصنيفهم على أنهم مثقفون علمياً، وأغلب الظن

(٩) الدكتور خضر محمد الشيباني - الثقافة العلمية مفتاح التقنية - مرجع سابق ص ١٥.

أن النسبة قد زادت بعد ذلك التاريخ، ولكن «إذا كانت نسبة المثقفين علمياً هي بتلك الضالّة في مجتمع علمي متقدم مثل الولايات المتحدة الأمريكية، فكيف تكون عليه الحال في الدول النامية ذات الصلة الحديثة بالحركة العلمية ومعطياتها المختلفة ومنها دولنا العربية؟»^(١٠).

إن أبناء الأمة العربية في أمسّ الحاجة إلى الثقافة العلمية، وإن التوعية العلمية وهي الممارسة الفاعلة في نشر الثقافة العلمية تطمح إلى تحقيق أربعة أهداف رئيسة، وهذه الأهداف الأربعة هي:

- ١ - تهيئة تربة خصبة لإنتاج علماء، وكفاءات قادرة على الممارسة العلمية، والإبداع التقني، فالقاعدة الجماهيرية العريضة المتفاعلة مع الفكر، والمتواصلة مع الحركة العلمية هي بطبيعة الحال منبت المواهب، ومستودع القدرات.
- ٢ - توفير الشفافية العلمية التي تيسر على المواطن فهم ماهية الفكر العلمي، وعموميّاته، ومواكبة تطوره، واستيعاب التقنيات ليستفيد منها أقصى استفادة ممكنة، ويتعامل معها وفق ضوابطها، وشروطها في ممارسة رشيدة، وإدراك حقيقي لمتطلبات الحياة المعاصرة.
- ٣ - تطوير القدرة لدى قاعدة واسعة من الناس على فهم المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية المرتبطة بالعلوم والتقنية، والسعي إلى الإسهام في المشاركة في اتخاذ القرارات المرتبطة باختيار التقنيات، ومواكبة المستجدات والمتغيرات، وتحديد الأبدال، وتنظيم الممارسات العلمية، وتهيئة الأنماط الاجتماعية والمؤسسية القادرة على التفاعل بإيجابية مع طوفان الحركة العلمية والتقانية العارم.

(١٠) المرجع السابق ص ١٦.

٤- تهيئة مناخ من الرأي العام متعاطف مع الحركة العلمية، وداعم لمجاهة الانطباعات الانفعالية، وردود الفعل السلبية التي تلوث مناخ الثقة اللازم لنمو الحركة العلمية، وتغلغلها بصورة طبيعية في نسيج البيئة الاجتماعية.^(١١)

وثمة من أضاف أهدافاً أخرى إلى الأهداف الأربعة التي سبق ذكرها، ومن الأهداف التي أضيفت:

- ١- جعل الثقافة العلمية جزءاً عضوياً ومكوناً رئيساً من مكونات الثقافة الجماهيرية السائدة لتحقيق شروط المعاصرة، والكفاءة، والتوازن، تأصيلاً للثقافة التنموية.
- ٢- تحقيق الأمن العلمي، وهو أمر ذو أهمية استراتيجية، ويتمثل في قدرة المجتمع على اكتساب المعرفة العلمية والتقنيات الحديثة، وإنتاجها.^(١٢)

وهكذا يتبدى لنا أن الهدف الأساسي من نشر الثقافة العلمية والتقنية هو مؤازرة المجتمع للدخول في مجتمع المعرفة، وإن مجتمع المعرفة هو الذي يؤمن بالتفكير العلمي أسلوباً لحل المشكلات، وكشف الحقائق، واتخاذ القرارات، والأسلوب العلمي هو وسيلة المجتمع نحو النظرة الموضوعية، والتخلي عن الأثرة، والذاتية، والتحيز، والتعصب، ذلك لأن التفكير العلمي يمتاز عن غيره من أنماط التفكير بالدقة والموضوعية، والطلب الدائم للدليل والبرهان، واستخدام المنطق السليم.^(١٣)

وإذا كان التفكير العلمي هو وسيلتنا لحل مشكلات الحاضر فإن التخطيط

(١١) الدكتور خضر محمد الشيباني- الثقافة العلمية مفتاح التقنية، ص ١٩.

(١٢) الدكتور محمد عبد الباري القدسي- أدب وثقافة- مرجع سابق ص ٦.

(١٣) الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان- المناهج المعاصرة- دار الفلاح- الكويت ١٩٩٢ ص ٦٣.

العلمي يتضمن توقع مشكلات المستقبل، والاستعداد لها في الوقت المناسب، تجنباً
لآثارها السلبية، وتلافياً لمقولة شاعرنا العربي:
ولا يعرفون الشرَّ حتى يصيبهم ولا يعرفون الخير إلا إذا مضى

ثالثاً - طبيعة العصر وزاد الثقافة العلمية

لما كانت الثقافة العلمية تهدف إلى إكساب المواطنين القدرة على اتخاذ
القرارات على الصعيدين الشخصي والاجتماعي، وإلى توطين نظرة علمية تساعد
على تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وترسيخ أسس التفكير العلمي المعاصر
لتمكين أفراد المجتمع من استيعاب الأحداث، والمشاركة في صنع الحياة، ومواكبة
روح العصر، كان على الجمهور المستهدف أن يتمثل روح العصر الذي يواكبه،
ويتبين خصائصه وسماته.

ومن سمات هذا العصر الذي نحيا تحته ظلاله التغير المستمر، فهو عصر التفجر
المعرفي والثقافي، وهو عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا)، وعصر الاتصالات
السريعة، وما يترتب عليه من إزالة الحواجز بين المجتمعات، والتأثر بالتيارات
الثقافية المعاصرة، وبالتيارات الفكرية والسياسية، وعصر المزوجة بين العلم والعمل،
والنظرية والتطبيق، والتغير الاجتماعي السريع، وطغيان الاجتياح المادي، وانحسار
القيم الروحية والاجتماعية والمعنوية، وهو عصر الابتكار والتجديد والتوجيه
الاجتماعي للمعرفة.

وإذا كانت تلك هي بعض من سمات العصر فإن هذه الطبيعة تفرض علينا
الاهتمام بدراسة العلوم مادة وطريقة، وتأكيد الرابطة بين العلم والعمل، والنظرية

والتطبيق، وحفظ التوازن بين القيم المادية والقيم الروحية، ومراعاة العمق والشمول في إعداد المواطن للحياة.

كما أن طبيعة العصر تتطلب من المواطن أن يكون واعياً لتلك السمات والخصائص، وأن يكون مزوداً بثقافة علمية، وكفايات تساعده على اعتماد الإيجابي من خصائص هذا العصر، واستبعاد السلبي منها. ومن هذه الكفايات المطلوبة:

١ - مرونة التفكير وقبول التغيير: إذ ما دامت طبيعة العصر تتسم بالتغيرات السريعة المتلاحقة، فعلى المواطن أن يتسم بالمرونة في التفكير تجاه التغيرات في منأى عن أي تحجر، أو تزمت، أو جهود، على ألا يكون ذلك على حساب الثوابت القومية، ومصصلحة الأمة.

٢ - الانفتاح وسعة الأفق: وهذه كفاية وثيقة الصلة بسابقتها، إذ لا شيء يقتل الإنسان مثل الانغلاق وضيق الأفق، ولا شيء يغني حياته، ويجعل لها مذاقاً ورحابة وإنسانية مثل سعة الأفق، وبُعد النظر، والتجدد المستمر للمعارف، ولقد قيل: العلم الراكد والمستقر كالجهل المستقر، وقديماً قال شاعرنا العربي:

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سال طاب، وإن لم يسر لم يطب

٣ - التفكير الناقد: لما كانت طبيعة العصر تتسم باختلاط الأوراق، وغياب المعايير الموضوعية، ودس السم بالعسل، وغزو العقول، وخلخلة الانتماء، وزعزعة القيم، وسيورة قيم الاستهلاك، كان تزويد المواطن بمهارات التفكير العلمي الناقد التي بوساطتها يستطيع أن يميز بين الغث والسمين، بين ما يلائم مجتمعه، وما لا يلائمه، بين الخبرة المربية وغير المربية، أمراً تستلزمه طبيعة العصر في ظل عولمة، تروم الحياء الذاتيات الثقافية للشعوب والمجتمعات.

وإن التفكير النقدي السليم هو الذي لا ينظر إلى الظواهر بعين الرضا وحدها، ولا ينظر إليها بعين السخط وحدها، وإنما ينظر إليها بعين الموضوعية في منأى عن أي تحيز، أو تعصب، أو تشنج، أو تحامل.

ويرتبط التفكير النقدي ارتباطاً عضوياً بمناهج التفكير العلمي، وهو لا يعني مجرد الرفض، أو التنفيد، أو المعارضة لما هو قائم، وإنما يدعو في دراسة أي ظاهرة اجتماعية إلى الاهتمام بالسياقات الاقتصادية، والاجتماعية، والأبعاد التاريخية لها، وهو منهج لا يكتفي بالأشكال الظاهرة في واقعها المحدد بالزمان والمكان الراهنين، وإنما يبحث عن الجذور المجتمعية التي أدت إلى تشكُّل هذه الظاهرة، ويؤكد دور التجديد والتغيير في البحث والمعرفة بغية كشف الأبعاد الحقيقية للواقع، والسعي إلى تجاوز عقباته، وصولاً إلى الأجل والأكمل.

وفي عملية بناء التفكير النقدي لابد من ترسيخ تقاليد معينة تتمثل في احترام الرأي، وتقدير الرأي الآخر، والموضوعية في إصدار الأحكام، ذلك لأن الشخصية المتكاملة هي التي تتقبل النقد من الآخرين، وتسعى إلى تعديل مسارها، وتطوير أداؤها نحو الأفضل، في ضوء ما يوجه إليها من ملاحظات، وجاء في تراثنا «رحم الله امرأً أهدي إلينا عيوبنا»^(١٤).

٤ - مواجهة المشكلات بالأساليب العلمية: ذلك لأن التفكير الخرافي واتباع أساليب السحر والشعوذة والترهات من الأساليب الدالة على التخلف، في حين أن مواجهة المشكلات بطريق إعمال العقل والتفكير وإدراك العلاقات بين الظواهر المدروسة، طبيعية كانت أو اجتماعية، من الأساليب الدالة على التقدم والرقى.

(١٤) الدكتور محمود السيد - مقالات في الثقافة - وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٠٤، ج ٢ ص ٤٩٣.

٥ - القدرة على الإبداع: فعصرنا الحالي لم يعد يحتمل ثقافة الذاكرة وحدها، ولم يعد يعتمد على الحفظ وحده في تنمية العقل، وإنما يتطلب استشارة المهارات العقلية العليا من فهم، وتمثل، وربط، وموازنة، وتحليل، وتفسير، ونقد، وتقويم، وصولاً إلى الإبداع والابتكار.

٦ - التعلم الذاتي: تجاوز عصرنا الحالي تلك المراحل التي يعتمد فيها المرء على الآخرين للوصول إلى المعرفة بعد أن تعددت مصادر التعلم، إذ لم يعد المعلم مصدرها الوحيد، فبات على المرء أن يعتمد على نفسه في التنقيب والبحث واكتشاف الحقائق والمعلومات، فلا شيء يعدل لذة اكتشاف المرء المعارف معتمداً على ذاته. والمعلومات التي يتوصل إليها المرء عن هذا الطريق تبقى راسخة في ذهنه، ومن الصعوبة محوها، في حين أن المعلومات التي يتوصل إليها بطريق نقلها من الآخرين دون بذل أي مجهود في سبيل الحصول عليها، هي معلومات معرضة للزوال والنسيان. ومن هنا باتت طبيعة العصر تتطلب أن يتمكن كل فرد من أن يعلم نفسه طوال حياته من المهد إلى اللحد.^(١٥)

بيد أن هذه الكفايات التي تستلزمها طبيعة العصر تحتاج بغية توفرها لدى المواطنين إلى تدريب وتأهيل وتعليم، وتوفير الأجواء الملائمة التي تحدث فيها العملية التعليمية التعليمية بغية اكتساب تلك الكفايات. وهذا يدعونا إلى الوقوف على أنماط التعلم التي يكتسب المرء بوساطتها الكفايات المطلوبة، والتي تقتضيها طبيعة العصر في مجال الثقافة العلمية.

(١٥) الدكتور محمود السيد - مقالات في الثقافة - وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٠٤، ج ٢ ص ٤٩٤.

رابعاً- الثقافة العلمية وأنماط التعلم

دعت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) إلى أن يكون التنور العلمي والتقني أي الثقافة العلمية متطلباً عالمياً لتقليل الفجوة بين المجتمعات، ومنع حدوث إرباك في ظل التغير السريع والمذهل الذي يحدث في العالم المعاصر.

وفي ضوء ذلك لم تعد القراءة والكتابة والحساب هي أساسيات محو الأمية للمواطن فحسب، بل أصبح التنور العلمي، وأضحت الثقافة العلمية التقنية، جزءاً لا يتجزأ من هذه الأساسيات.

والتنور العلمي هو معرفة المفاهيم والعمليات العلمية اللازمة لاتخاذ القرار على المستوى الشخصي، وفهمها، والمشاركة في الشؤون المدنية والثقافية والإنتاجية والاقتصادية، واتخاذ المواقف تجاه الشؤون العلمية والتقنية.

كما أن التنور العلمي هو القدرة على استخدام الكتابة والقراءة وتطبيق مهارات الاستماع والتواصل بوضوح بغية الانخراط في مهارات التفكير، والتحليل الناقد، وتقويم المعلومات المتوفرة، باستخدام أسلوب الاستقصاء العلمي.^(١٦)

ولا يقتصر التنور العلمي على فهم الفروع المعرفية فهماً منفصلاً، بل يتضمن إيجاد الروابط ما بين العلم والرياضيات والتقانة، وكذلك بين هذه المجالات والعلوم الإنسانية والآداب والموضوعات المهنية.

ويعمل تحقيق التنور العلمي على تطوير التفكير العقلاني، ويساعد الفرد على اكتشاف المحيط الذي يحيا فيه، ويمكنه من فهم القضايا اليومية، فالتنور العلمي مزيج من المفاهيم والتاريخ والفلسفة التي تساعد على فهم القضايا العلمية.

(16) Mackee, J. and Ogle, D. Integrating wstruction literacy and science, NY: Guilford publications. 2005

ولدى الشخص المتنور علمياً خلفية علمية قوية في الحقائق والمفاهيم والنظريات العلمية، والقدرة على تطبيقها، كما أن لديه فهماً واضحاً لطبيعة العلم واتجاهاً إيجابياً نحو العلم والتقانة (التكنولوجيا)، وإدراكاً لقيمة العلم والتقانة في تطوير المجتمع، وقدرة على استخدام الأساليب العلمية في حلّ المشكلات، وفهماً صائباً للبيئة بمفهومها الشامل.

ولا يمكن لعملية التنوير العلمي أن تنمو وترعرع بانسجام وتناغم مع معطيات العصر ومتطلباته دون أن تتمكن من استيعاب ملامح ثقافة علمية وثقافة متنامية ضمن مكوناتها، ولن يتحقق ذلك في غياب استراتيجية عامة وتخطيط علمي مدروس يهيئ للعامة فهم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بقضايا العلم والثقافة ومواكبة المستجدات والمتغيرات، والتفاعل بإيجابية مع الحركة العلمية والتقانية العالمية.

وتهدف النظرة الحديثة للتربية العلمية المستنيرة إلى إكساب الطلبة مهارات الاستقصاء، واستخدام منحنى التفكير العلمي في حل المشكلات، وليس على جمع المعلومات وحفظها، ومن هنا كانت مناهج العلوم تعمل على تنويع مصادر المعرفة، وتعمل على ربط الموضوعات العلمية بالواقع المحيط وثقافة المجتمع، وقد أدى ذلك إلى تغير في دور المعلم من الدور التقليدي الذي يتمحور حول نقل المعرفة وتلقينها، إلى دور أكثر اتساعاً وتنوعاً، بالتركيز على مهارات الاستقصاء، وفهم العلاقة المتبادلة بين العلم والتقانة والمجتمع، وتشجيع الطلاب على الاكتشاف، وتفسير الظواهر، والتحقق منها عند تقديم التبريرات والبراهين، والبحث عن أساليب وأنماط تعليم وتعلم للعلوم، تعكس طبيعة العلم والمعرفة العلمية، مع تأكيد الاستقصاء العلمي طريقةً للوصول إلى المعرفة، وفهم العالم.

وإن نمط التعليم ما هو إلا سلوك يحدد الطريقة التي يفضلها المتعلم لاكتساب المادة التعليمية، والاحتفاظ بها، والتفاعل معها، فيتعلم المتعلمون وفق أنماط تعلمهم، فمنهم من يفضل نمط التعلم التأملي على النظري، وآخرون يفضلون النمط النفعي، ويفضل غيرهم نمط التعلم النشط، ومن ثم فمعرفة المعلم بأنماط تعلم المتعلمين، وانسجام تعليمه مع أنماط تعلمهم، يسهل عملية تصميم الدروس، واختيار الأنشطة التعليمية التي تحسن التحصيل، وتنمي الاتجاهات الإيجابية لديهم.

وثمة مجموعة من التفضيلات في أنماط التعلم لدى المتعلمين، فهم يفضلون التواصل غير اللفظي أكثر من التواصل اللفظي، والتعلم الجماعي على الفردي، والتفسير الاستنتاجي على المنطقي، ويركزون على الأشخاص أكثر من الأشياء، كما يجذبون أوضاع التعلم الفعّال، ويتعلمون بالمشاركة في مختلف الفعاليات التعليمية.^(١٧)

وقد صنف «هني وممفورد (Honey and Mumford)» أنماط التعلم في أربعة

أنماط هي:

١ - نمط التعلم النشط (Activist): يمتاز صاحب هذا النمط بصفة القيادة، ويجب عملياً أن يجرب، ويستمتع بإجراء النشاط، كما يجب العمل الجماعي والمشاركة في الخبرات الجديدة، فهو يفضل أداء الأدوار، والمناقشات مع الآخرين، والأنشطة التي تجري خارج البيئة التعليمية التعليمية.

(17) Gibbons, B, A «Supporting Elementary science Education for English learning: Aconstructivist evaluation instrument» The journal of educational research 96 (6) , 2003 p 371-379

٢- نمط التعلم المتأمل (Reflective): ويقوم المتعلم وفق هذا النمط بتأمل كل خطوة يجريها قبل الانتقال إلى الخطوة اللاحقة، ولا يتسرع باتخاذ القرارات، ويفكر قبل اتخاذها، وهو دقيق في إعداد التقارير، والمتعلمون يتعلمون تعلمًا أفضل باستعمال الحاسوب، والمناقشة، والملاحظة، والقراءة الذاتية، والاستماع للعروض النظرية والعملية.

٣- نمط التعلم النظري (Theorist): ووفق هذا النمط يتابع المتعلمون القضايا المعقدة متابعَةً منطقية، ولديهم الحجج التي تدعم مواقفهم، ويحتاجون إلى وقت كاف لاكتشاف العلاقات بين الأفكار والمواقف والربط بينها، ويفضلون الفعاليات الممثلة بالتحليل النظري والتدرب على التمارين المحلولة، والتدرب الفردي، والاستماع إلى المحاضرات، والتعلم الذاتي، ومشاهدة الفيديو.

٤- نمط التعلم النفعي (Pragmatist): ويميل أصحاب هذا النمط إلى التفاعل المباشر مع المواقف وتجربتها، ويحبون التعزيز، كما يفضلون التعلم بالأنشطة التي تربط بين النظرية والتطبيق. ويفضل أصحاب هذا النمط التعلم المباشر، ومناقشة حل المشكلات ضمن مجموعات صغيرة ومنظمة توزع فيها الأدوار، ويفضلون عمل المشروعات.^(١٨)

وتجدر الإشارة إلى أن أفضل أنواع التعلم هو التعلم الذي يثير التفكير، ويعمل على تنمية القدرات الابتكارية، إذ من غير التفكير قد يتحول التعلم إلى تحصيل للمعرفة بطريق الحفظ والتذكر والاسترجاع، وهو تعلم مخفق لا يعين صاحبه على مواجهة المواقف الجديدة، ولا يحقق تعديل سلوكه في الاتجاهات المناسبة، ولا يساهم في بناء الثقافة ونمو الفرد والمجتمع.

(18) Honey, P. and Mumford, A. The learning styles questionnaire, Peter Honey publication, maidenhead, Berkshire. U.K., 2000

ومن هنا كان لابد من تغيير جذري في أنماط التعلم والتحول من الكم إلى الكيف، ونقل بؤرة الاهتمام من التعليم إلى التعلم، ومن المعلم إلى المتعلم، ومن الحفظ والاستظهار إلى التفكير، والتأمل، والتخيل، والابتكار.

ولقد اهتمت التربية الحديثة بآراء المتعلمين حول العلم، والمعرفة العلمية، والثقافة العلمية، مع الأخذ بالحسبان أن تلك الثقافة قد تستقى من منابع متعددة، أسرة ومعلمًا ومناهج ومجتمعاً... إلخ. واتفق معلمو العلوم على أن تدريس العلوم يجب أن يطور فهم المتعلمين للمفاهيم العلمية، ويكسبهم اتجاهات إيجابية نحو العلم، تساعد على تطوير فهم كافٍ لطبيعة العلم، واكتساب معتقدات إيجابية تجاه العلم.

ووقفت بعض البحوث على قياس الاتجاهات العلمية أي المعتقدات والآراء حول العلم التي تمكن صاحبها من اتخاذ موقف بالرفض أو تأكيده. وغالباً ما يصمم مقياس الاتجاهات العلمية على شكل فقرات تعرض كل منها موقفاً مثيراً للتعلم، يتضمن عرض ظاهرة معينة، أو حادثة واقعية أو خيالية، ويلى كل فقرة ثلاثة أبدال، يمثل أحدها موقفاً إيجابياً يدل على أن الطالب يمتلك درجة إيجابية من الاتجاه، وقد يقاس الاختبار الأبعاد التالية:

١- الاستفسار والاستطلاع.

٢- المنطقية والعقلانية وتأجيل الحكم حتى تستطلع أبعاد الموضوع.

٣- الانفتاح العقلي.

٤- الموضوعية والنزعة التجريبية.

٥- الأمانة العلمية والتواضع العلمي والنزاهة العلمية.

وإذا حاولنا رصد معايير الثقافة العلمية التي على النظام التعليمي التعليمي إكسابها للمتعلمين وتعزيزها لديهم بغية الإسهام في خلق مجتمع المعرفة ومواكبة

روح العصر بزاد علمي كاف للفهم، والتمثل، والاستيعاب، والإبداع، والابتكار، فإننا نلاحظ أن من هذه المعايير:

- ١- الابتعاد عن أحادية الرأي.
 - ٢- التواضع المعرفي.
 - ٣- الأمانة العلمية، والاستقلالية.
 - ٤- الانضباط المنهجي، والدقة العلمية.
 - ٥- أخلاقيات العمل وجودته.
 - ٦- بث روح المبادرة، والابتكار، والبحث، والاختراع.
 - ٧- توليد الدوافع الذاتية للمتابعة المعرفية، والتزود بالعلم.
 - ٨- تكريم العلماء والمبدعين في مجالات العلوم والثقافة، وإبرازهم على أنهم قدوة، يُحتذى بها.
 - ٩- تأصيل مفهوم المجتمع الدائم التعلم.
 - ١٠- إذكاء حماسة المجتمع للعلوم والتقانة.
 - ١١- تحفيز القدرة على التساؤل، وتنمية القدرة على النقد، والتحليل، والمقارنة، والاختيار، وتطوير مهارات التفكير العلمي.
 - ١٢- تأصيل القيم الديمقراطية، والانفتاح على الثقافات الأخرى واحترامها.^(١٩)
- وإذا لم يكن ثمة تناغم وانسجام بين جميع البيئات التي يتفاعل معها المتعلمون فإن اكتساب تلك المهارات لا يمكن له أن يتحقق، فإذا كانت المدرسة تعمل على بناء الفكر العلمي في الوقت الذي تعمل فيه الأسرة الأمية على غرس الترهات والتفكير الخرافي في

(١٩) الدكتور محمد عبد الباري القدسي - أدب وثقافة - مرجع سابق ص ١٠.

العقول فإن البنيان يتعرض إلى التصدع والانحيار. ومن هنا كان اعتماد استراتيجية واحدة تنطلق منها الجهات المعنية بتربية النشء يساعد أيها مساعدة على تحقيق الأهداف المرسومة للتربية السليمة المتوازنة والمتكاملة والمساهمة في نهضة المجتمع، وتقدمه، وارتقائه.

خامساً- من أساليب النهوض بواقع الثقافة العلمية في الوطن العربي

أبانت استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي^(٢٠) أن الدول العربية ماتزال تفتقر إلى الإعلام العلمي والتقاني، الهادف، والمؤثر بالاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة، والذي يعكس مدى التقدم العلمي والتقاني الجاري في العالم، وتبيان أثره في التقدم العلمي والتقاني للمجتمع العربي، إذ ما يزال وعي المجتمع العربي بأهمية الثقافة العلمية والتقانية محدوداً، كما أن هنالك اهتماماً ضعيفاً بالثقافة العلمية والتقانية في الدول العربية، وندرة في الاهتمام بالتعاون والتنسيق بين الجهات ذات العلاقة بتبني الثقافة العلمية والتقانية في الدول العربية وخاصة في مجال التنمية البشرية، وقلّة في الدراسات المتعمقة لمعالجة الأمية الإلكترونية المعاصرة.

ولقد حددت الاستراتيجية الأهداف المرجوة على النحو التالي:

- ١- تنمية القاعدة العلمية والتقانية المتطورة.
- ٢- تكوين الثقافة العلمية والتقانية الأساسية، لأن أي تقدم علمي يبقى قاصراً، وغير مترسخ على أساس متين، وغير قابل للاستمرار، مادام في منأى عن قطاعات الشعب ولغته وثقافته، وهذا يقتضي:

(٢٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن

- أ- نشر الثقافة العلمية والتقانية على أوسع نطاق بين الجماهير.
- ب- تكوين الإنسان العربي العقلاني، القادر على استخدام المنطق العلمي في ممارساته اليومية.
- ج- تحفيز كل الطاقات الممكنة، وعلى مختلف المستويات الرسمية، والأهلية، ذات العلاقة بالأنشطة التعليمية، والتربوية، والإعلامية، والثقافية، لنشر الثقافة العلمية والتقانية.
- د- وضع العلم في مركز الصدارة على صعيدي الفكر والعمل.
- هـ- كسر الحواجز، وتذليل العقبات، أمام انتشار الفكر العلمي.
- ٣- إيجاد الأسس العلمية لتكوين المناخ الملائم للإبداع والابتكار.
- ٤- تعزيز دور اللغة العربية، وتطويرها، لتستجيب للتقدم العلمي والتقاني في الحاضر والمستقبل.
- وما دمننا في صدد البحث في الارتقاء بواقع الثقافة العلمية في الوطن العربي فإن هذا المسعى يعتمد على الركائز التالية:
- ١- الدراسة العلمية للمجتمع، تحدد فلسفته، وقيمه، وآماله، وآلامه، ومشكلاته، وتصور واقعه، واتجاهات نموه الشامل، اقتصادياً، وصحياً، وتربوياً، وثقافياً... إلخ. أي في جميع الميادين والقطاعات.
- ٢- الدراسة العلمية للناشئة في جميع أعمارهم، ومستوياتهم، تحديداً لمطالب نموهم، واستعداداتهم، ودوافعهم، وسائر إمكاناتهم.
- ٣- الدراسة العلمية لطبيعة الثقافة المعاصرة، وروح العصر، وما يتسم به هذا العصر من سمات.

- ٤- اعتماد الأسلوب العلمي في دراسة الخطط، وتقويم الواقع.
- ٥- التخطيط العلمي الدقيق الذي يأخذ بالحسبان الأهداف، والظروف، والإمكانات، ويعتمد على بيانات علمية دقيقة، ويتسم بالشمولية والواقعية، والمرونة، والتوازن.
- ٦- خضوع التطوير للمتابعة العلمية، والتقويم المستمر، تمهيداً لمزيد من التطوير، مساندة لركب الحضارة والثقافة في عصر التغير المتلاحق والمستمر.
- ويقتضي الاهتمام بالتفكير العلمي، والتخطيط له في العملية التعليمية التعليمية:
- ١- العناية بتدريب الناشئة على استخدام الأسلوب العلمي في حل جميع ما يواجهونه من مشكلات في داخل المدرسة وخارجها.
- ٢- مساعدة الناشئة على اكتساب الاتجاهات العلمية المناسبة، وفي مقدمتها التحرر من الخرافات، والأثرة، والتحيز، والتعصب، وسعة الأفق العقلي، وتقبل النقد، والبحث عن الحقيقة لذاتها.
- ٣- تدريب الناشئة على التخطيط العلمي، إن ما يجري منه على المدى القريب، أو على المدى البعيد.^(٢١)
- ٤- الربط بين العلم والعمل والنظرية والتطبيق، ذلك لأن العلم النظري دون تطبيق روح بلا جسد، والتطبيق العملي دون علم يستند إليه جسد بلا روح.
- وعُني بعض الباحثين في ميدان الثقافة العلمية بوضع مشروع للارتقاء بهذه الثقافة على الصعيد العربي، فحدد الغايات التفصيلية لهذا المشروع على النحو التالي:^(٢٢)

(٢١) الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان- المناهج المعاصرة- مرجع سابق ص ٦٣.

(٢٢) الدكتور هشام غصيب- ثقافة البحث العلمي- مشروع الثقافة العلمية- الحوار المتمدن-

- ١- تفجير الكوامن التعبيرية الثرة في لغتنا العربية، لغة الضاد.
- ٢- إتقان فن الاستعمال المعبر الدقيق للغتنا العربية، وإزالة ما علق بها من غبار الركون والتخلف التاريخي، والاستبداد، والسبات الحضاري.
- ٣- إبراز العلم بوصفه فكراً، وتقانة، وإنتاجاً اجتماعياً رفيعاً، أي إبراز المنظومات الاجتماعية والفكرية للعلم، والكيفية التي تتركب بها النظريات، والمفاهيم العلمية، وتختبر بها الأفكار العلمية.
- ٤- إبراز العقلانية العلمية التي تشكل المرجعية الأساسية للممارسات العلمية، وبيان جوهرها المتمثل في العلاقة الجدلية بين النظرية والقياس المقداري الدقيق، وبيان أن العلم لا يعتمد أساساً له سوى العقل العلمي.
- ٥- إبراز أدوات الممارسة العلمية، ومعناها، وشرعيتها، مثل الاستنتاج، والاستقراء، والاشتقاق، والتركيب الجدلي، والاختبار العملي، والاختبار المخيالي، والنقد، والملاحظة الذكية.
- ٦- أما التركيب الجدلي فهو بناء المفاهيم الجديدة بحلّ التناقضات القائمة بين المفاهيم القديمة، ويعني الاختبار المخيالي تصور حالات تجريدية متتالية لاختبار الأفكار ومعقوليتها، ويعني النقد تفكيك الأفكار وبيان حدودها، وتناقضاتها وبنائها الداخلية، وعلاقتها. وتعني الملاحظة الذكية قراءة الحقائق الكبرى في الفروق المقدارية الصغيرة، مثل قراءة حقيقة كروية الأرض، ومقدار محيطها من ملاحظة الفرق الصغير في رؤية الظل بين الإسكندرية وأسوان في مصر، وملاحظة أن الحركة الدائرية هي نوع من السقوط الحر. ويعني الاستقراء فن التعميم السليم.

٧- إبراز الأفكار العلمية الثورية وتحدياتها الفكرية، وأصولها الفكرية والتجريبية كفكرة التطور في علم الحياة (البيولوجيا)، وفكرة الزمان في النسبية.

٨- إبراز المنظومات الفلسفية للممارسة العلمية.

٩- إبراز طبيعة الإنتاج العلمي وكيف يشتغل العلماء إبداعياً على موروثةم العلمي، وبه لأجل تطويره، وإن عملية الخلق العلمي تفترض تأهيلاً صارماً للعالم، مثل إمامه العميق بموروثة العلمي، وأدواته، ومواكبة آخر التطورات في الإنتاج العلمي، والالتزام الأخلاقي والوجداني بالعمل العلمي.

وإذا كان نشر الثقافة العلمية والتقانية يستلزم خلق مناخ علمي عام للبحث على ممارسة العلوم والإبداع والابتكار العلميين، ومحاربة عوائق انتشار الفكر العلمي ومنها الأمية، ودعم فكرة التخطيط والعقلنة في المجتمع العربي، وتحويل هذا المجتمع إلى مجتمع تواصل معرفي، وإعادة النظر في برامج الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئية، بغية تعميق الفكر العلمي لدى المواطنين، وردم الهوة بين المجتمع العلمي، والعامّة باستخدام الثورة المعلوماتية، وتمكين الجمهور من مناقشة الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للعلم، على أن يصبح الشعب ذا طبيعة تقانية علمية ومؤهلاً مهنيّاً، وتأهيل العلماء في المجالات الحيوية خارج تخصصاتهم، والانخراط في المؤسسات العلمية الرسمية وغير الرسمية والمنظمات والجمعيات والاتحادات والنقابات، ونقل الإرث العلمي والمهاري المكتسب من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، فإن تبسيط العلوم ونشرها مع الأخذ بالحسبان الفئات المستهدفة من حيث الشريحة العمرية، والمستوى الثقافي، والمهني، يكون بـ:

أ- الاهتمام بنوادي العلوم والمتاحف القومية العامة والمتخصصة، وجعلها مكوناً رئيساً في الأنشطة التعليمية اللاصفية.

ب- تشجيع المسابقات العلمية بين مختلف الفئات، ووضع حوافز مجزية للمتميزين.

ج- التوسع في عرض سيرة العلماء العرب البارزين القدماء والمعاصرين في مختلف المجالات.

د- توفير الكتب العلمية المبسطة بأسعار في متناول الجميع.^(٢٣)

هـ- التركيز على الأطفال، والشباب، لتكوين رؤى علمية لديهم في سنوات مبكرة من حياتهم لتعميق المبادئ، والمدارك العلمية.

و- الإكثار من الرحلات العلمية، والمحاضرات، والندوات العامة.

ز- إشاعة ثقافة الشبكة (الإنترنت) نظراً لأهمية هذه الوسيلة الفعالة في إتاحة تفاعل الفرد مع المعلومة، وتعدد مصادرها، وسهولة الحصول عليها، وفتح آفاق الاطلاع الواسعة، وهذا الأمر يستلزم إنشاء المواقع العربية ذات الطرح الجذاب والمهتمة بالتوعية العلمية التي تستهدف مختلف الفئات والشرائح في المجتمع.^(٢٤)

مع الأخذ بالحسبان أن على من يتعامل مع الشبكة أن يكون قادراً على التمييز بين الإيجابي والسلبي في مضمون المواد المبثوثة بها.

ونخلص من العرض السابق إلى أن الثقافة العلمية هي من ضرورات العصر ومتطلباته، وهي شأن مجتمعي، وعلى جميع قطاعات المجتمع العامة والخاصة أن تضطلع

(٢٣) الدكتور محمد عبد الباري القدسي - قراءة في نشر الثقافة العلمية والتقنية - مرجع سابق ص ١١.

(٢٤) الدكتور خضر محمد الشيباني - الثقافة العلمية مفتاح التقنية - مرجع سابق ص ٢٧.

بدورها في ترسيخ هذه الثقافة في جميع مناحي الحياة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يلقي عبء القيام بهذه المهمة على كاهل جهة واحدة، ذلك لأن ما يُبنى من طرف في مجالات التوعية العلمية يتعرض إلى الهدم من طرف آخر إذا لم يكن ثمة تنسيق بين جميع الجهات والأطراف والهياكل الاجتماعية التي يتفاعل معها المواطنون.

مراجِعُ البَحْثِ

أ- المراجع العربية:

- ١- الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان- المناهج المعاصرة- دار الفلاح- الكويت ١٩٩٢.
- ٢- شحادة الخوري- أوراق ثقافية- الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق ٢٠١٢.
- ٣- الدكتور محمد خضر الشيباني- الثقافة العلمية مفتاح التقنية - مجلة العلوم والتقنية- العدد (٥٥) عام ٢٠١١.
- ٤- الدكتور محمد عبد الباري القدسي- قراءة في نشر الثقافة العلمية والتقنية- صحيفة ٢٦ سبتمبر العدد ١٣٠٢ تشرين الأول ٢٠١١.
- ٥- الدكتور محمود أحمد السيد- في قضايا الثقافة- مطبعة العجلوني- دمشق- ٢٠٠٢.
- ٦- الدكتور محمود أحمد السيد- مقالات في الثقافة- وزارة الثقافة- دمشق- ٢٠٠٤.
- ٧- الدكتور محمود أحمد السيد- التراث بين الماضي الحي والغد المنشود- مجلة العرب- دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع- الرياض- ٢٠١٠.
- ٨- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- استراتيجية تطوير العلوم والتقانة- تونس ١٩٨٨.

٩- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- الخطة الشاملة للثقافة العربية- إدارة الثقافة- تونس ١٩٩٠.

١٠- الدكتور هشام غصيب- ثقافة البحث العلمي- مشروع الثقافة العلمية- الحوار المتمدن- العدد ٣٤٤٩ عام ٢٠١١.

ب- المراجع الأجنبية:

- 1- Gibbons, B, A «Supporting Elementary science Education for English learning: A constructivist Evaluation instrument» The journal of Educational Research 96 (6), 2003.
- 2- Hony, P. and Mumford, A. The learning styles questionnaire, Peter Honey pubbication, maidengeard, Berkshire. U.K.2000.
- 3- Mackee, J. and Ogle, D. integrating instruction literacy and science, NY: Guilford Publications. 2005.



مراجعة في الدرس الصر في
الأسماء المنتهية بواو مضموم ما قبلها
بحث في المسكوت عنه

د. ممدوح خسارة (*)

(١) الظاهرة:

من الأحكام الصرفية التي تواطأت عليها كتب النحو والصرف أن ليس في كلام العرب اسم معرب آخره واو قبلها ضمة.

قال ابن السراج (٣١٦) هـ: «ليس في الأسماء اسم آخره واو قبلها ضمة، فمتى وقع شيء من هذا قلبت الواو فيه ياء»^(١).

وقال ابن جني (٣٩٢) هـ: «ليس في الكلام فعلي إلا بالهاء نحو حدرية، كما أنه ليس فيه (فعلو) إلا بالهاء نحو عنصوة»^(٢).

وقال ابن سيده (٤٥٨) هـ: ألا ترى أنه ليس في كلام العرب فُعلُو ولا فعلي»^(٣).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) ابن السراج - الأصول في النحو ٣ / ٣٣٣.

(٢) ابن جني - الخصائص ٣ / ١٩٣.

(٣) ابن سيده - المحكم ٧: ٢٩٤.

وقال الأشموني (٩٠٠) هـ: «ليس في الكلام فَعَلُو ولا فَعِلِي»^(٤).
وجاء في لسان العرب: «ألا تَرَى أنه ليس في الكلام فَعَلُو ولا فَعِلِي و فَيَعْلُ»^(٥).
ولكن الحكم يتعدى بناءي (فَعَلُو و فَعَلُو) إلى كل اسم منته بواو قبلها حركة. وجاء في
أسرار العربية لابن الأنباري (٥٧٧) هـ: «ليس في كلام العرب اسمٌ متمكّن في آخره
واو قبلها ضمّة»^(٦).

ولكن ابن سيده عمّم هذا الحكم أكثر عندما قال: «ألا ترى إلى إجماعهم على أنه
ليس في الكلام اسمٌ آخره واو قبلها حركة»^(٧).

وليس في القدماء من أجاز هذا البناء في الأسماء إلا الكوفيون بحسب ابن عقيل في
شرحه على ألفية ابن مالك، إذ قال: «وعُلم مما ذكر أن الاسم لا يكون في آخره واو
قبلها ضمّة. نعم إن كان مبنياً وُجد. نحو (هُوَ)، ولم يوجد ذلك في المعرب، إلا في
الأسماء الستة في حالة الرفع نحو (جاء أبوه). وأجاز الكوفيون ذلك في موضعين
آخرين: أحدهما ما سُمّي به من الفعل نحو (يَدْعُو وَيَعْزُو)، والثاني ما كان أعجمياً نحو
(سَمْنَدُو وَقَمْنَدُو)»^(٨). ويلحظ أن تمثيله بـ(أبوه) غير صحيح، لأن الحديث عن الأسماء
المفردة وليس عن المركّبات، كما أن كلامه في حال صحته ينطبق على جمع المذكر السالم
المرفوع المضاف نحو (جاء مُعَلِّمُو المدرسة)، وليس البحث في هذا.

(٤) الأشموني - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١: ٥٠٨.

(٥) ابن منظور - لسان العرب: ترجم، وينظرتاج العروس: غدق.

(٦) ابن الأنباري - أسرار العربية ١ / ٣٥٤.

(٧) ابن سيده - المحكم ٧: ٢٤١.

(٨) ابن عقيل - شرح الألفية ١ / ٨٣.

٢) الأسماء المنتهية بواو في العربية المعاصرة:

ولكن ما كان عند القدماء محدوداً ومعدوداً لم يعد كذلك، فقد فشّت الأسماء المنتهية بواو مضموم ما قبلها فشواً كبيراً في العربية المعاصرة. ولعل أهم مواضعها ما يأتي:

أ- الأسماء المعرّبة قديماً نحو سَمَنْدُو وقَمَنْدُو وخَوْفُو وسِنْفَرُو...

ب- الأسماء العربية المعرّبة حديثاً أعلاماً وغير أعلام:

• فمن الأعلام: أرسطو، فرانكو، طوكيو، كُنغو، سيراييفو، أسكيمو، أنطونيو، بورتوفينو، كولومبو، بلوتو...

• ومن غير الأعلام: فديو، كاجو-نانو [علم الصغريات].

ج- الأسماء المتوارثة من اللغات الجزيرية (العربيات القديمة)^(٩).

• منها أعلام، نحو: عبْدُو، ملكُو، كلمأخُو، تلْدُو، ظلْمُو^(١٠)، مندُو، كرمُو، سيفُو، سَعْدُو، فخرُو، شيخُو، زينو...

• ومنها غير أعلام مثل: سُنونو (الطائر المعروف).

وهكذا يرى أن هذا النوع من الأسماء الذي أهمله القدماء بحجة «أن الكلام العربي الأصيل لا يعرف اسماً مختوماً بالواو إلا نحو ثلاث كلمات منها سَمَنْدُو وقَمَنْدُو»^(١١)، صار إلى كثرة لا يمكن معها تجاهله، بل لا بد من إقراره ووضع الضوابط الصرفية والنحوية له.

(٩) المقصود باللغات الجزيرية ما يسميه بعضهم اللغات السامية.

(١٠) ورد مثلاً في نقش حران: «أنا شراحيل برظلمو بنيت ذا المرطول [القصر] شنت... بعد

مفسد خير بعم» (عن رمضان عبد التواب: فصول مرفقة اللغة العربية ٥٥).

(١١) عباس حسن: النحو الوافي ٤ / ٦١٤. وسَمَنْدُو وقَمَنْدُو اسما طائرین.

٣) معالجة القدمات لهذه الظاهرة.

لما كانت الأسماء العربية تخلو من اسم آخره واو مضموم ما قبلها، كان لزاماً على القوم معالجة هذه الظاهرة، لأنها اعترضتهم في تعريب أسماء تنتهي بواو قبلها ضمّة. فكيف عالج اللغويون القدمات هذه الأسماء؟

إن استقراء ما أمكن من تلك الأسماء، يبيّن أنهم اتبعوا الطرائق الآتية:

أ- حذف الواو من آخر الكلمة، ومثال ذلك نُقِلَ (لِفْتُو) من الآرامية إلى (لِفْتُ) في العربية العدنانية^(١٢)، وهو عند العرب (السَّلْجَم)، ونقلهم (عَرَبُونُو) السريانية إلى (عُرْبُون) العربية العدنانية^(١٣)، ونقلهم (تُنُورُو) السريانية إلى (تُنُور) بمعنى النَّبْع^(١٤).
ب- زيادة حرف في آخر الكلمة بعد الواو: والحرف المزيّد هو الجيم غالباً، ومن ذلك:
- الطَّسُوج: الناحية أو الدائق في الفارسية، وهي فيها (تَسُو)، فُعِرَّت إلى (طَسُوج) بزيادة الجيم^(١٥).

- الطَّهْيُوج: طائر رمادي اللون، معرَّب (تَيْهُو)^(١٦).

- الكَنْدُوج: الخلية أو الخزانة، عربت من الفارسية (كَنْدُو)^(١٧).

- البَادْرُوج: بَقْلَةٌ، نقلت من الآرامية (بَادْرُو)^(١٨).

(١٢) روفائيل نخلة غرائب اللغة: ٢٠٥.

(١٣) د. جهينة نصر علي - المعرب والدخيل في المعاجم العربية: ٧٦٠.

(١٤) روفائيل نخلة - غرائب اللغة: ١٧٥.

(١٥) د. محمد التونجي - المعربات الفارسية في اللغة العربية: ١١٧.

(١٦) الزبيدي - تاج العروس طهج.

(١٧) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ١٣ والزبيدي - تاج العروس: كندج.

(١٨) د. جهينة نصر علي - المعرب والدخيل في المعاجم العربية: ٩٥.

وقد زيدت النون في بعض الأسماء المنتهية بواو مضموم ما قبلها، وذلك نحو تعريبهم (لَيْمون) من الفارسية (ليمو)^(١٩). ومن زيادة النون على الاسم المنتهي بواو قبلها ضُمَّة تعريبهم اسم العلم (بلاَتُو) إلى (أفلاطون).

ج- إبدالها ألفاً: وأظهر الأمثلة على ذلك تعريبهم كلمة (خَسرو) الفارسية بكلمة (كِسرى)، وإبدال الواو ألفاً يستتبع فتح ما قبلها، لأن ما قبل الألف لا يكون إلا مجانساً لها؛ قال ابن درستويه في شرح الفصيح: «ليس في كلام العرب اسم آخره واو مضموم ما قبلها، فلذلك لما عَرَبُوا (خَسرو) بَنَوْه على (فَعَلَى) بالفتح في لغة، و(فَعَلَى) بالكسر في لغة أخرى، وأبدلوا الكاف في الخاء علامة تعريب فقالوا: (كِسرى)^(٢٠).

ومن إبدالها ألفاً نقلهم (كُمَثرو) الآرامية إلى (كُمَثرى) العربية العدنانية^(٢١).

د- إبدالها ياءً: قال ابن جني: «ليس في كلام العرب اسم آخره واو قبلها ضمة، إنما ذلك في الفعل نحو (يَعْزُو وَيَدْعُو)، فمتى وقع في الاسم من ذلك شيءٌ أُبدلت الضمة كسرة والواو ياءً، وذلك قولهم في جمع دَلُو: أدلٍ، وفي جمع حَقُو: أحقٍ، والأصل: أدلُّو وأحقُّو، ففعلٌ فيهما ما تقدم ذكَّره»^(٢٢). وقال ابن سيده: «ولا يكون في الأسماء ما آخره واو قبلها ضمة، فإذا أدَّى إلى ذلك صَرَبٌ من القياس رُفِض وأبدلت من الضمة الكسرة ومن الواو الياء، وذلك قولهم في جمع دَلُو وجَرُو ونحو ذلك في أقل

(١٩) المصدر السابق: ٦٨٤.

(٢٠) السيوطي - المزهري في اللغة ٢: ١٠٣.

(٢١) د. جهينة نصر علي - المعرب والدخيل في المعاجم العربية: ٦٥٦.

(٢٢) ابن جني: التصريف الملوكي: ١٩٠.

العدد [أي جمع القلة]: (أذِلُّ وأَجْرِي)، فإذا صار هذا، صار حكمه حُكْمَ ما تقدم من قاضٍ وداعٍ ونحوهما^(٢٣). أي إن أصل الجمع (أَذْلُوٌ وَأَجْرُوٌ)، ولكن الواو تُقلب ياءً ويُكسّر ما قبلها فتصبح على بناء (أَذْلِيٍّ وَأَجْرِيٍّ)، أي اسمين منقوصين، فيعاملان كالاسم المنقوص بحذف يائه عند التنوين، فيقال: هذه أذِلُّ واستَقَوْا من أذِلٍّ وحَمَلْتُ أذِلِيًّا.

وإلى مثل هذا ذهب الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل حين قال: «مثل أذِلِّ وَأَجْرٍ وَأَمٍّ، جمع دَلُوٌ وَجَرُوٌ، وأمة بفتحتين، وأصلها (أَذْلُوٌ وَأَجْرُوٌ وَأَمُّوٌ) بضم ما قبل الواو، قُلبت الضمّة كسرة توَضُّلاً لقلب الواو ياءً، لأنه ليس في العربية اسم معرب آخره واو قبلها ضمّة، ثم أُعِلَّ كقاضٍ»^(٢٤).

ومن إبدالها ياءً ما جاء في أوضح المسالك: «وتقول [في ترخيم ثمود]: (ياثمي) بإبدال الضمّة كسرة والواو ياءً كما في جَرُوٌ ودَلُوٌ: الأَجْرِي والأَذْلِي، لأنه ليس في العربية اسم معرب آخره واو لازمة مضمومٌ ما قبلها»^(٢٥).

ومن إبدالها ياءً ما جاء في الفاخر في شرح جمل عبد القاهر: «فليس في كلامهم اسمٌ معربٌ آخره واو يلي ضمّة، فمتى أدّى القياس إليه، وجب الإعلال. وإن كانت الحركة كسرةً وجب قلب الواو ياءً، نحو (غازي وداعي)، أصلها غازُوٌ وداعُوٌ»^(٢٦)، أي إن الواو الواقعة في آخر الاسم تقلب ياءً سواء أكانت الواو مسبوقه بضمّة أو كسرة.

(٢٣) ابن سيده - المخصص ١٥: ١٠١.

(٢٤) الخضري - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢: ١٨٤.

(٢٥) ابن هشام - أوضح المسالك ٢: ٣١.

(٢٦) محمد بن أبي الفتح البعلي - الفاخر في شرح جمل عبد القاهر ١: ٦٢.

وجاء في لسان العرب: «قال أبو علي: وأما (مُؤَقِّي) فالياء فيه للإلحاق بَبْرُئِن، وأصله (مُؤَقُّو) بزيادة الواو للإلحاق كَعُنُصُوة، إلا أنها قُلبت، كما قلبت في أدلٍ»^(٢٧)، أي أصلها (أَدْلُو).

ومن قَلَبُها ياءً ما يراه ابن سيده من أن (اليَمِي) في قول الشاعر: (مروان يا مروان لليوم اليَمِي) أصله (اليَمُو)، وقُلبت الواو ياء، لأنه ليس في الكلام اسم آخره واو قبلها ضَمَّة^(٢٨). وهذا ما ذهب إليه الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل، قال: «أما لو سَمَّيْتَ (بِغَزْوٍ وَيَدْعُو) فتكسر ما قبل الواو وتقلبها ياءً لأنه ليس في العربية اسم آخره واو قبلها ضَمَّة^(٢٩) أي يصبح الاسم (يَغْزِي وَيَدْعِي). وكان ابن السراج قد علَّل وجود الياء في كلمتي (المِي والسَّني) في قول الراجز:

حيدة خالي ولقيط وعيلي وحاتم الطائي وهاب المئي

يأكل أزمان الهزال والسني

نقول قد علملها بأن أصلهما (سِنُو مَتُو)، لأنه ليس في الأسماء اسم آخره واو قبلها ضَمَّة، فمتى وقع شيء من هذا قلبت الواو ياءً»^(٣٠).

ه - تضعيفها ونقل الاسم المعتل بواو ما قبلها ضَمَّة إلى اسم شبه صحيح من مثل (دَلُو وَحَقُو)، وهذا ما فهمته - إن صح فهمي - مما جاء في تهذيب اللغة: «قال الخليل في

(٢٧) ابن منظور - لسان العرب: ماق.

(٢٨) ابن سيده - المخصص ٩: ٦٠ و ١٥: ٧٢.

(٢٩) الخضري - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢: ١٢٨.

(٣٠) ينظر تفصيل القول في: ابن السراج - الأصول في النحو ٣: ٣٣٢ - ٣٣٣.

جماعة العَدُوَّ عُدَى، قال وكان الواحد (عَدُو) بسكون الواو، فقالوا (عَدُو)، لأنهم لم يجدوا في كلام العرب اسماً في آخره واو ساكنة»^(٣١).

ولعل هذا يفسّر لماذا ينطق العرب اسم المدينة المعروفة في شمالي شرقي سورية (قامشلي) بالياء، والتي ما زال بعض سكان المنطقة ينطقونها (قامِشَلو)، التي يقال إنه اسم المدينة باللغة الكردية^(٣٢).

ويمكن إجمال منهج العرب القدماء في التخلص من الأسماء المنتهية بواو قبلها ضمة بطريقتين:

أ- طريقة السليقة العربية التي تبدل الواو ياءً، فيقال (أدلي) وبالتنوين أدل، و(أجرئ) وبالتنوين أجرٍ في جمع دَلُو وجَرُو.

ب- طريقة الصناعة النحوية أو الصرفية التي افترضها النحاة والصرفيون كتسمية العلم يَغْزُو (بيغزي) ويَعْلُو (بيعلي)، وترخيمهم يا ثمود على يا (ثمي) بدل يا ثَمُو. وإذا كانت الطريقة الأولى مستقرّة في اللسان العربي لارتباطها عفوياً بقاعدة الخفة والثقل في النطق، وهي قاعدة أساسية في العربية وفي معظم لغات العالم، فإن الطريقة الصناعية النحوية الصرفية والافتراضية لم يُلجأ إليها، إذ لم نر من سمى ابنه بفعل معتل بالواو، وغيره إلى معتل بالياء، ولا من رَحَمَ يا محمود إلى (يا محمي).

٤) معالجة المولّدين والمحدثين لهذه الظاهرة:

لم تشكّل هذه الظاهرة حرجاً عند المحدثين لدى تسميتهم أعلاماً، فسَمّوا (عبدو، سعدو، فخرو، شيخو)، كما لم تشكّل حرجاً عند تعريبهم الأسماء الأجنبية

(٣١) الأزهري - تهذيب اللغة ٣: ١١٥-١١٦ / عدا.

(٣٢) مجلة الراصد، ع ٥٩: ٩١، ولم أجد الاسم في معجم البلدان ومعجم ما استعجم.

المنتهية بواو مضموم ما قبلها، سواء أكانت أعلاماً مثل: (أرسطو، أنطونيو، كولومبو، فرانكو)، أم غير أعلام مثل: (فديو، إيزو، نينو، نانو، يورو)، حتى إن المعاجم العربية الحديثة عربتها على لفظها بواو مضموم ما قبلها، جاء في الوسيط: «الإسكيمو: جيلٌ من الناس يسكنون منطقة القطب الشمالي.»^(٣٣)، وجاء في المعجم الكبير: «الدينامو: آلة تحوّل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية... ومن المجاز قولهم: فلان دينامو هذا العمل أي محرّكه ومديره»^(٣٤).

ولكن هذا لم يمنع بعض المحدثين من محاولة ترسّم خطأ القدماء وقواعدهم؛ إذ استعمل المجعّم مصطفي الشهابي أكاجو و(أكاجة) للنبات المعروف، أي بإبدال الواو تاءً، وقال تعليقاً على (أكاجو): إن سيويه لم يشترط الوزن العربي للمعرّبات^(٣٥). وكذا فعّل من عربّ كلمة (نوميرو) إلى (نمرة) بمعنى (رقم)، ومن عربّ (بانا دورو) الإيطالية إلى (بندورة)، ومن عربّها إلى (بنادوري) فقد قلب الواو ألفاً. أمّا من عربّ (برغو) إلى (برغي) بمعنى بُزال، فقد قلب الواو ياءً^(٣٦).

بيد أن هذا الالتزام بالتغيير كان محدوداً جداً ونادراً، ولم يكن إلا استثناءً من القاعدة التي هي إبقاء الاسم المنتهي بواو مضموم ما قبلها على حاله كما سبق.

٥) الرّأي والمقترح:

إن ما نراه وندعو إليه أمران: قبول الأسماء المعرّبة أو المنقولة المنتهية بواو قبلها ضمّة

(٣٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المعجم الوسيط: سكم.

(٣٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المعجم الكبير: دين.

(٣٥) مصطفي الشهابي - معجم الشهابي من مصطلحات العلوم الزراعية: ٤.

(٣٦) د. جهينة نصر علي - المعرب والدخيل في المعاجم العربية: ١٢٥.

في عداد أبنية الأسماء العربية، ثم التوافق على القواعد الصرفية التي تحكم هذا النوع من الأسماء، من حيث الثنية والجمع والوزن والاشتقاق والتسمية. وهاكم الأدلة والتفصيل:

• الأمر الأول: قبول الأسماء المنتهية بواو مضموم ما قبلها في المعرّبات ونحوها. إن ما دفعنا إلى هذا الاقتراح أشياء:

١- لم نجد بعد عصر الاحتجاج من التزم القواعد الصرفية الصناعية التي ذكرها النحاة والصرفيون القدماء. إذ لم تشع تلك الافتراضات في تعريب الأسماء المنتهية بواو مضموم ما قبلها من مثل قلب الواو أو حذفها أو الزيادة عليها ومن الأدلة على ذلك:

أ- إن أبرز كلمة قلبت فيها الواو ألفاً هي اسم (كِسْرَى) المعرّب عن أصله الفارسي (خُسرو)، لم يُعَدَّ يُعَرَّب بعد عصر الاحتجاج بكسرى، بل عُرِّبَ فيما عدا اسم (كسرى) الذي صار علماً على ملك الفرس أياً كان، ب(خُسرو) أي بقي الاسم على حاله بالواو، ولم يقلبها المولّدون ألفاً في أشعارهم عندما يأتي الاسم علماً لما سوى ملك الفرس، قال ابن حيّوس:

أرى المجد عقداً أنت واسطة له وعن جانبيه صالحٌ وفنّاً خُسرو^(٣٧)

وقد تكررت كلمة (خُسرو) مئات المرات في شعر الأدباء ونثرهم. حتى إن المتنبي، على رسوخ قدمه، أوردتها كما هي في قوله:

أبا شجاعٍ بفارسٍ عَضَدَ الـ دَوْلَةَ فَنَّا خُسْرُو شَهْنَشَاهَا^(٣٨)

وجاء في الكامل في التاريخ لابن الأثير: «ثم ملك ابنه خُسرو أربعين سنة»^(٣٩).

(٣٧) ابن حيّوس - ديوانه: ١: ٢٤٤.

(٣٨) المتنبي شرح ديوان المتنبي - عبد الرحمن البرقوقي ٤ / ٤١٠.

(٣٩) ابن الأثير الجزري - الكامل في التاريخ ١: ٢٢٠ - الطبري تاريخ الطبري ٢: ١٦٩.

ومثله في تاريخ الطبري، وجاء في خزانة الأدب للبغدادى: «ورواه المولى خسرو في حاشيته على البيضاوي»^(٤٠). وقد تكرر هذا الاسم كثيراً من المرات في كتبهم كأسماء الأعلام: محمد بن خسرو، وخسرو الدحلوي، وملاً خسرو^(٤١).

ب- لم ترد كلمة (السُنُونو) اسم الطائر المعروف، إلا بالواو في كتبهم، جاء في المستطرف: «وَنَوْعٌ أصغر يَألف المساجد يسميه الناس (السُنُونو)^(٤٢)»، وكذا ذكره الدميري في (حياة الحيوان الكبرى): «السُنُونو الذي يأوي الآن في المساجد، الواحدة سُنونَة»^(٤٣)، وقد تكررت كثيراً في استعمال المعاصرين.

ج- لم يستعمل القدماء ولا المعاصرون اسم (عَيْصُو) إلا بالواو، وهو ابن إسحاق وتوأم يعقوب. وقد ورد هذا الاسم عشرات المرات، لعل أقدمها ما جاء في الرّوض الأنف: «نسمة بنت إسماعيل، وهي امرأة عيصو بن إسحاق»^(٤٤)، وكذا أوردها لسان العرب بلفظة (عيصو) بالواو^(٤٥).

د- تكرر اسم (مَنْدُو) أكثر من عشرين مرة في كتب القدماء، وأهمها الوافي بالوفيات (٦/ ٤٥٨) وتاريخ أبي الفداء (٣/ ١٧٣)^(٤٦).

(٤٠) البغدادى - خزانة الأدب: ٨: ٧٢.

(٤١) ضبطت بعض المراجع الاسم بضم الحاء خسرو وبعضها الآخر بفتحها (خسرو)، في حين ينطقها الفرس بالضم.

(٤٢) الأبيهي - المستطرف من كل فن مستطرف.

(٤٣) الدميري - حياة الحيوان الكبرى ٢: ٦٧.

(٤٤) السهيلي - الرّوض الأنف: ١: ١٥.

(٤٥) ابن منظور: لسان العرب: عقب روم.

(٤٦) بحسب موقع المشكاة وبحسب موقع الوراق.

كما أن كتب التراجم لم تغيّر سنّفرو إلى سنّفري، ولا قَمَنَدو إلى قَمَندي، ولا سَمَنَدو إلى سَمَندي.

٢- إن نطق هذا البناء بواو مضموم ما قبلها ليس ممّا تاباه العربية وترفضه، إذ ورد في العربية الفصيحة، ومن ذلك:

أ- ورد هذا البناء من الأسماء في قراءات قرآنية؛ إذ قرأ أبو السّمال من بين جميع القراء (من الرّبُو) بكسر الراء المشدّدة وضم الباء وسكون الواو... وقال أبو الفتح عثمان بن جني: في هذا الحرف ضربان من الشذوذ: أحدهما الخروج من الكسر إلى الضم، والآخر: وقوع الواو بعد الضمة في آخر الاسم، وهذا شيء لم يأت إلا في الفعل، نحو يدعو ويحلّو^(٤٧).

وجاء في البحر المحيط: «وحكى أبو زيد أن بعضهم قرأ (الرّبُو) بكسر الراء وضمّ الباء وواو ساكنة، وهي قراءة بعيدة، لأنه لا يوجد في لسان العرب اسم آخره واو قبلها ضمة^(٤٨)».

قال ابن خالويه في قراءة (هُزُواً) من قوله تعالى في سورة البقرة [٦٧] ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾: «وفي (جُزء) أربع لغات: جُزُو، بالضم والهمز، وجُزء بالإسكان والهمز، وجُزُو بالإسكان والواو، و(جُزُو) بضم الزاي والواو من غير همز، وهو رديء لأنه ليس في كلامهم اسم آخره واو قبلها حركة إلا (الرّبُو)، وهذا شاذ، فإن كان أراد أن أصل الواو فيه الهمز جاز^(٤٩)».

(٤٧) ابن جني - المحتسب: ١: ١٤٢. والكلمة من قوله تعالى «الذين يأكلون الربا...» البقرة [٢٧٥، ٢٧٦].

(٤٨) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط ٢: ٣٣٣.

(٤٩) ابن خالويه - الحجة في القراءات السبع: ٥٨.

ب- وُسِّعَ من كلامهم عبارة: (يا هُو) التي يتناقلها الصوفيون من مثل «حين ينادي قلبي (يا هُو) مرّةً، يا مَنْ لا هُو إلا هُو»^(٥٠). وقد يُعْتَرَضُ أن هذه الواو مفتوحة وما قبلها مضموم وأنها ضمير مبنيّ، وحديث النحاة عن الأسماء المعربة. والجواب أن الاستئناس هنا بأنّ الكلمة تُنطق بواو ساكنة مضموم ما قبلها، وأن هذه الكلمة الضمير عوملت معاملة المتأدّى وكأها اسم، يؤيد هذا قول الخصري: «أما حديث (يا هُو من لا هُو إلا هُو)، فلفظُ هو في مثله اسم الذات العليّة، لا ضمير»^(٥١). وكان ابن السراج قال: «قولك (يا فلان)، ينوب عنه قولك أنادي فلاناً، لأن قولك (يا هُو) العمل بعينه، وأنه فارق سائر الكلام»^(٥٢). وحتى لو كانت هذه الكلمة مفتوحة الآخر فإنه يوقف عليها بالسكون، كما بقية الضمائر المبنية على الفتح، كما في قولنا: لا ملجأ منك إلا إليك، ولم يُفْزَ إلا أنت. والتقاء الساكنين جائز عند الوقف، نحو (جاءَ بَكْرٌ).

ج- ومن نُطِقَ العرب للاسم المنتهي بواو قبلها ضمّة ما جاء من أن «من العرب من يقول (اللذو)، ومنهم من يقول (الذي)^(٥٣)، وقال أبو حيان: «واستعماله [أي اللذون] بحذف النون جائز» أي [اللذو]^(٥٤). ومادام اسما الموصول (اللذان واللتان) يجوز إعرابهما إعراب المثني «وهو الأحسن»^(٥٥)، فهذا يعني أن الاسم الموصول (اللذو) يمكن أن يكون معرباً أيضاً لا مبنياً فحسب.

(٥٠) النجم الغزي - الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١: ٦٦.

(٥١) الخصري - حاشية الخصري على شرح ابن عقيل ٢: ١٧٧.

(٥٢) ابن السراج - الأصول في النحو ١: ٢٢٩.

(٥٣) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٨.

(٥٤) أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط ١/ ٢٦.

(٥٥) عباس حسن - النحو الوافي ١: ٢٣١.

د- أمّا وروُدُ هذه الحالة أو الظاهرة في الأفعال، فكثير شائع من نحو (يَدْعُو وَيَغْزُو وَيَعْلُو).

ه- ومن المنطوق كثيراً بالواو المضموم ما قبلها جمع المذكر السالم المرفوع المضاف في نحو قولهم: (حضر معلّمو المدرسة).

وكل ما قدمنا يبيّن أن نطق هذا البناء ليس غريباً ولا ثقیلاً على اللسان العربي، في عصر الاحتجاج والفصاحة.

٣- إن هذا البناء وما يُشبهه ليس غريباً، بل هو مألوف في اللغات الجزيرية كالآرامية والكنعانية أخوات العربية العدنانية، من مثل اسم (ظَلْمُو) الذي ورد في نقش حرّان: «أنا شراحيل بر ظَلْمُو بنيت ذا المَرْطُول [القصر] شنت... بعد مفسد خيبر بعم»^(٥٦)، سواءً أكانت هذه الواو علامة جمع في تلك اللغات أم علامة تعريف، ففي الآرامية مثلاً: «عَمَلُو: جمال، إِيامو: أئمة، نَبْطُو: أباط»^(٥٧)، وفيها أيضاً «رَمَزُو: الرّمز، عامولو: العامل، حَرْتُو: النتيجة»^(٥٨).

٤- ثمة أسماء أعلام في العاميات العربية لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها مثل: (عَبْدُو، سَعْدُو، زِينُو، حَمْدُو)، ولا يمكن تغييرها كأن نقول لأحدهم: غير اسمك من عبدو إلى عبده أو عَبْدون، وشيخو إلى شيخه أو شيخون، وحَمْدُو إلى حمده أو حَمْدون، أو إلى صيغة أخرى، فهذه حقيقة لا يمكن القفز فوقها أو إنكارها^(٥٩).

(٥٦) رمضان عبد التواب - فصول في فقه اللغة العربية: ٥٥.

(٥٧) جورج رزق الله - مفردات آرامية: ١.

(٥٨) د. محمد بهجت القيسي - ملامح في فقه اللهجات العربية: ٦٥.

(٥٩) والعامية تعمّم ذلك في كل ما ينتهي بضمير الغائب نحو (كتابه).

٥- إن انتهاء الاسم بواو قبلها ضمّة مما أجازة الكوفيون؛ جاء في شرح ابن عقيل: «وَعَلِمَ مِمَّا ذُكِرَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا يَكُونُ فِي آخِرِهِ وَوَقَبْلَهَا ضَمَّةٌ، نَعَمَ إِنْ كَانَ مَبْنِيًّا، وَوَجَدَ ذَلِكَ فِيهِ نَحْوُ (هُوَ)، وَلَمْ يَوْجَدْ ذَلِكَ فِي الْمُعْرَبِ إِلَّا فِي الْأَسْمَاءِ السَّتَّةِ فِي حَالَةِ الرَّفْعِ، نَحْوُ: (جَاءَ أَبُوهُ). وَأَجَازَ الْكُوفِيُّونَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعَيْنِ آخَرَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَا سُمِّيَ بِهِ الْفِعْلُ نَحْوُ (يَدْعُو وَيَعْزُو)، وَالثَّانِي: مَا كَانَ أَعْجَمِيًّا نَحْوُ (سَمَنْدُو وَقَمَنْدُو)»^(٦٠). وهذا نص صريح على قبول هذا النوع من الأسماء. ويلحظ أن الكوفيّين لم يشترطوا إبدال الواو ياءً، كما ذهب الخصري في حاشيته على شرح ابن عقيل عندما قال: «أما لو سَمَّيْتَ بِيَعْزُو وَيَدْعُو، فَتَكْسَرُ مَا قَبْلَ الْوَاوِ وَتَقْلِبُهَا يَاءً، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَرَبِيَّةِ اسْمٌ مُعْرَبٌ آخَرُهُ وَوَقَبْلَهَا ضَمَّةٌ.»^(٦١).

والأمر الثاني: التوافق على القواعد الصرفية والنحوية التي تحكم هذا النوع من الأسماء. إن استكمال أنواع الاسم المعتل بنوع مسكوت عنه هو الاسم المعرب المنتهي بواو متحرك ما قبلها وتقعيده. هو ما دعا إليه أبرز نحاة العصر الأستاذ عباس حسن حيث قال:

«بَقِيَ نَوْعٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُعْتَلَّةِ الْآخَرِ، لَمْ أَرِ مِنْ تَعَرُّضٍ لِلْكَلامِ عَلَى تَثْنِيَّتِهِ وَجَمْعِهِ، وَهُوَ الْمُعْتَلُّ الْآخَرُ بِالْوَاوِ، بَلْ إِنَّهُمْ حِينَ يَقْسِمُونَ الْأَسْمَاءَ الْمُعْتَلَّةَ الْآخَرَ إِلَى مَقْصُورٍ وَمَنْقُوصٍ، لَا يَذْكُرُونَ نَوْعَهُ وَحُكْمَهُ، بِحِجَّةِ أَنَّ الْكَلَامَ الْعَرَبِيَّ الْأَصِيلَ لَا يَعْرِفُ اسْمًا مَخْتُومًا بِالْوَاوِ إِلَّا نَحْوَ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ مِنْهَا (سَمَنْدُو وَقَمَنْدُو). وَقَدْ نَاقَشْنَا هَذَا الرَّأْيَ فِي

(٦٠) ابن عقيل - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٨٣، وسبق أن ذكرنا هذا في ص ٢.

(٦١) الخصري - حاشية الخصري على شرح ابن عقيل ٢: ١٢٨.

الجزء الأول، وانتهينا إلى أن الحاجة اليوم تدعو لاتخاذ ضابط عام في إعرابه لكثرة دورانه وشيوع استعماله عَلَمًا للأشخاص والبلدان وغيرها، ومن أمثلته: أَرِسْطُو وطوكيو وسِنْفرو وكُنْغُو»^(٦٢).

ولكن عباس حسن كان أكثر وضوحاً عندما قال عن الاسم المعتل «وهذا النوع المعتل الآخر الذي لا يشبه الصحيح ثلاثة أقسام على حسب حرف العلة الذي في آخره:

أولها: المقصور، وهو الاسم المعرب الذي آخره ألف لازمة نحو (الهُدَى)..

وثانيها: المنقوص، وهو الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمة غير مشددة قبلها

كسرة نحو (العالي، المرتقي)...

وثالثها: الاسم المعرب الذي آخره الحقيقي واو ساكنة لازمة قبلها ضمة، وهذا

نوعٌ لا تعرفه العربية الأصيلة، ولم يُسمع عن العرب إلا في بضع كلمات نقلوها من

غيرهم من الأجانب، ومنها سَمَنْدُو وقَمَنْدُو، ولكن لا مانع من تسمية بعض

الأشخاص وغيرهم بأسماء مختومة بتلك الواو كتسمية أَرِسْطُو أو خوفو أو سِنْفرو أو

يَدْعُو أو يَسْمُو، ولما كان هذا النوع غير عربي في أصله ونادراً في استعمال العرب، أهمله

النحاة فلم يَضْعُوا له اسماً ولا حُكْمًا فيما نعرف»^(٦٣).

إذن، فالحاجة مُلِحَّة اليوم لقبول هذا النوع من الأسماء وتسميته ووضع أحكام

صرفية له.

(٦٢) عباس حسن - النحو الوافي ٤: ٦١٤.

(٦٣) المصدر السابق ١/ ١٣٦ - ١٣٧.

أمّا وقد تكلمنا على جواز قبوله، فبقي أن نتكلم على أحكامه. والحديث على أحكامه يشمل الجانبين النحوي والصرفي.

أولاً: الجانب النحوي: وهو يتعلق بعلامات إعرابه. والقول الذي نرجّحه في هذا الجانب أن يُعرب الاسم المنتهي بواو مضموم ما قبلها بحركات مقدرة على آخره رفُعاً ونُصباً وجرّاً، وهو ما ذهب إليه الأستاذ عباس حسن حيث قال: «ولعلّ الحكم الذي يناسبه في رأينا أن يُعرب بحركات مقدّرة على آخره في جميع حالاته بغير تنوين، فيُرفع بالضمّة المقدّرة عليها بدلاً من الكسرة، تقول: (كان سنفرو ملكاً مصرياً قديماً، إن سنفرو أحد الفراعين، هل عرفت شيئاً عن سنفرو). وهذا الحكم يسري على الكلمات القليلة التي أخذها العرب عن غيرهم، كما يسري على الأسماء التي لم يأخذوها، وكذلك المستحدثة بعدهم للأشخاص والبلاد وغيرها. وبناء على هذا الرأي لا يصح إظهار الحركات الإعرابية على الواو، لأن ظهورها يؤدي إلى إدخال تغيير على العَلَم في مظهرها، مما يؤدي إلى اللبس»^(٦٤).

ويفهم من الكلام السابق أن هذا النوع من الأسماء يُعامل معاملة الممنوع من الصرف في تقدير الضمّة في حالة الرفع، والفتحة في حالة النصب والجر؛ لأن الأسماء المنتهية بواو مضموم ما قبلها إمّا أعلام أعجمية فهي ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة مثل (طوكيو وروميو)، أو أعلامٌ عربية كأن يُسمّى بـ(يغزو ويسمّو) فتمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل.

ولكن مما لا يُخفى أن ثمة كلمات من هذا النوع من الأسماء ليست أعلاماً أعجمية من مثل (فديو، دينامو، كاجو، يورُو)، أو هي أعلام عربية، ولكن ليس فيها مع العلمية

(٦٤) عباس حسن: النحو الوافي: ١: ١٩٤.

علة ثانية تمنعها الصرف من مثل (عبدو، شيخو، سعدو، زينو)، وفي هذه الحالة فالحكم أن تعرب بحركات مقدرة.

ولكن سواء أكان الاسم من هذا النوع مما تنطبق عليه شروط المنع من الصرف أم لا، فلا يصح تنوينه، إذ لا يمكن أن ينون اسم (عبدو) مثلاً، فيقال: (هذا عبدٌ رأيت عبداً مررت بعبدٍ)، فلو نَوَّنْتَهُ لَأَلْتَبَسَ بِالاسْمِ (عَبْدُ)، ولا يمكن التفريق بينها؛ ولا أن يقال (عَبْدُوْ وَعَبْدُوْا وَعَبْدُو) لأن ذلك يبعده عن أصله ونطقه وكذا اسم (شيخو) في حال التنوين سوف يلتبس بالاسم (شَيْخُ).

نلخص ما سبق بحُكْمَيْنِ:

١- يعرب الاسم المنتهي بواو مضموم ما قبلها بحركات مقدرة دائماً، وتقدر الفتحة عوضاً عن الكسرة إذا كان الاسم مما تنطبق عليه شروط المنع من الصرف، وهذه مسألة صناعية بحثت ليس لها أثر لفظي.

٢- لا يُنَوَّنُ هذا النوع من الأسماء بخلاف الاسم المقصور إذ يقال: جاء فتىً ورأيت فتىً ومررت بفتىً، وبخلاف الاسم المنقوص في حالتي الرفع والجر إذ يقال: جاء قاضٍ ومررتُ بقاضٍ.

وهذان الحكمان في إعراب هذا النوع من الأسماء محمولان على ما نُقِلَ عن بعض اللغويين والنحاة:

أ- «قال العكبري في شرح بيت المتنبي:

فإن يَقدُم فقد رُزنا سَمندو وإن يُججِم فموعدُه الخليج^(٦٥)

(٦٥) المتنبي: شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي ١: ٣٦٢ سمندو: قلعة بالروم يقال هي

ما نصُّه: قال ابن جنِّي: سألتُ المتنبِّي لمَ لم تُعربْ (سَمَنْدو)؟ يريد لم تُظهِرِ الفتحة على الواو في آخر كلمة (سَمَنْدو)، فقال: لو أعربْتُها لم يُعَرَفْ^(٦٦) فسمع ابن جنِّي الجواب ولم يعلِّق عليه، فسكوتُه يفيد الرِّضى بما سمِع^(٦٧).

ب- المعروف أن ياء الجزء الأول المنتهي بياء من المركَّب المزجي في نحو (مَعْدِي كَرِب)، لا تظهر عليه الحركة في الأشهر^(٦٨)، مع أنه اسم منقوص. ومن أمثلته: عَرَفْتُ دَاعِي سَلْمَ أو مَعْدِي كَرِب، ودخلت سواقي خيل أو (قالي قالا)، فالصدر الأول يعرب إعراب المنقوص من غير أن تظهر عليه الفتحة في حال نَصْبِه، يقال: (جُدُّه مَعْدِي كَرِب أو سَمَاه مَعْدِي كَرِب)، فلا تظهر عليه الحركة في النصب، كما هو حكم الاسم المنقوص، مع أن آخره هو موضع علامة الإعراب، لأن الجزء الثاني مجرور بالإضافة دائماً، فإذا خُرج عن القاعدة في الاسم المنقوص للتخفيف فحسب، فالخروج عن القاعدة في الاسم معتل الآخر بواو مضموم ما قبلها ليس مستهجناً.

ج- ومن الحالات التي تُجوهَلت فيها الحركة الإعرابية، الجزء الأول من المركب العددي الترتيبي المنتهي بياء وهو (الحادي عشر والثاني عشر) إذ تَبَقِيَ الياء ساكنة في كل الحالات الإعرابية، ويكون الجزء الأول مبنياً على السكون، أي لم تحرك الياء في هذه الحالة، فلا يُقال: (رأينا الفائز الثاني عشر)، في حين تحرك الياء في حالة النصب كما في العدد الترتيبي المعطوف فيقال: (رأيت المتسابق الثاني والعشرين).

اليوم ببلغراد. والخليج هو خليج القسطنطينية والكلام على قائد جيش الروم.

(٦٦) العكبري: شرح ديوان المتنبِّي ١: ٢٤٠.

(٦٧) الخضري: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢: ١٢٠.

(٦٨) المصدر السابق نفسه.

نريد أن نقول: إن وضع قواعد خاصة بهذا النوع من الأسماء، أمرٌ له سوابق في النحو العربي يمكن أن يُحمَل عليها.

ربما يرى بعضهم أن يُعرب هذا النوع من الأسماء بحركة مقدرة على سبيل الحكاية كما في قولنا (جاء تَأَبَّطُ شَرًّا). ونرى أن الإعراب على الحكاية إنما هو في المركب الإسنادي حَصْرًا، وفي المركب الإضافي شذوذاً عند من يميزه تساهلاً من نحو (جاء أبو سعيد ومررت بأبو سعيد...) ولا أرى هذا لما فيه من خروج واضح عن أصل ثابت.

ولكن سواء أعرب بحركة مقدرة على آخره لتعذرٍ أو لمراعاة حركة الحكاية فالمسألة هنا صناعية شكلية، لا أثر لها في النطق.

وهنا نصل إلى مسألة تسمية هذا النوع من الأسماء.

والذي نراه هو أن يُسَمَّى (شبه المقصور)، وذلك لأمر:

١- لا يصح أن يبقى هذا النوع من دون اسم، وأن تبقى أقسام المعتل الآخر هي المقصور والمنقوص، ثم نقول بعدهما: «وهناك نوعٌ ثالث هو الاسم المعرب الذي آخره واو ساكنة لازمة قبلها ضمّة، وهذا نوعٌ لا تعرفه العربية الأصلية»^(٦٩).

٢- لا يصح أن نسَمِّيه منقوصاً، لأنّه لا يَنْقُص منه حرفٌ في أيِّ من حالاته الإعرابية كما المنقوص.

٣- لا يصحّ أن نسَمِّيه مقصوراً، لأن المقصور سُمِّي مقصوراً «لأن القصر هو الحَبْس، والمقصور هو المحبوس عن ظهور الإعراب في لفظه»^(٧٠)، وهذا الاسم وإن

(٦٩) عباس حسن - النحو الوافي ٤: ٦١٤.

(٧٠) المصدر السابق ٤: ٦١٥.

كان مقصوراً عن ظهور الحركات الإعرابية على آخره، إلا أنه يخالف الاسم المقصور في أنه لا يقبل التنوين كالاسم المقصور.

٤- مادام النحاة قد قَسَمُوا ما ليس معتلاً ولا ممدوداً من الأسماء إلى (صحيح) وهو ما خلا آخره من أحرف العلة، وإلى (شبه صحيح) وهو ما كان آخره واواً أو ياءً ما قبلها ساكن نحو (دَلُوْ وِطْبِي)، لأنه يَجْمَع بين الصحيح من حيث ظهور الإعراب على آخره وبين المعتل من حيث البنية، إذ يَنْتَهِي بحرف عِلَّة. فلا أقرب من أن نقيس على تلك التسمية هذا النوع من المعتل الآخر الذي ليس هو بمقصور تماماً ولا بمنقوص تماماً فاقتربنا له (شبه المقصور) لأنه يوافق الاسم المقصور بخفاء علاماته الإعرابية، لكنه يخالفه بعدم التنوين، فتكون أقسام الاسم في العربية هي: الصحيح وشبه الصحيح، والممدود، والمنقوص والمقصور وشبه المقصور.

وعلى هذا فسوف أستعمل هذا الاسم فيما تَبَقَّى من البحث.

ثانياً: الجانب الصرفي: ونعني به الحديث عن تثنيته وجمعه وتأنيثه والنسبة إليه:

• تثنيته وجمعه: لعل من الأصوب عند تثنية هذا الاسم وجمعه «أن تبقى الواو مع تحريكها بالفتحة وزيادة علامتي التثنية والجمع، فيقال في أَرِسْطُو أَرِسْطُوَانِ وَأَرِسْطُوَيْنِ وَسِنْفَرُوَانِ وَسِنْفَرُوَيْنِ»^(٧١).

ولا أرى ما ذهب إليه الأستاذ عباس حسن من أن «الأحسن في جمع السلامة حذف حرف العلة (الواو) مع ضم ما قبلها في حالة الرفع، وكسره في حالتي النصب والجر، أي جمع (روميو) على (رُومين) وفي الرفع (رُومون)، لأن هذا سوف يؤدي إلى

(٧١) عباس حسن: النحو الوافي ٤: ٦١٤.

اللبس في جمع (روم)، وهذا ما كان قد اعترض عليه عباس حسن نفسه في كلام الصَّبَان عند الكلام على المنقوص من الأسماء الممنوعة من الصرف، إذ قال [أي الصَّبَان]: «ولو سَمَّيْتَ بالفعل (يَغْزُو وَيَدْعُو) ورجعت بالواو إلى الياء أجزَّيْتَه مجرى (جوارٍ)، وتقول في النصب: رأيت يَدْعِي وَيَغْزِي. وقال بعضهم: ووجه الرجوع بالواو للياء ما ثبت أن الأسماء المتمكنة ليس فيها ما آخره واو قبلها ضمَّة، فتقلب الواو ياءً ويُكْسَر ما قبلها»^(٧٢)، فعقَّب عباس حسن على هذا الرأي وأمثاله بقوله: «وفي هذا الكلام فوق ما فيه من تحيُّل بعيد، ما يستدعي التوقف والنظر، لأن الأخذ به يؤدي إلى تغيير صورة العلم تغييراً يوقع في اللبس والإبهام، ويُحدث لصاحبه مشقَّات في معاملاته»^(٧٣).

أقول لا أرى أن تحذف الواو - كما ذهب عباس حسن - لأنَّ هذه الواو من الأحرف الأصلية في اسم مثل (روميو وفديو)، ذلك أن أحرف المعرَّب كلها أصول^(٧٤)، لأن قاعدة الزائد والأصلي من الحروف تنطبق على الكلم العربي وليس على الأعجمي^(٧٥). لذا أرى أن يقال في جمع المذكر السالم لأرسطو وسمندو: (أرسطوون وأرسطوون وسمندوون وسمندوون)، وفي جمع المؤنث السالم نزيد الألف والتاء على الأصل فنجمع مثلاً (جَمَلُو) على (جَمَلُوات) و(كَنغُو) على (كَنغُوات)، فليس في هاتين الصيغتين ثقل أو خروج عن الضوابط الصرفية.

• تأنيته: تحافظ هذه الأسماء على حالة واحدة فلا تؤنث لأنها أسماء، والاسم

(٧٢) الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣: ٤١٠.

(٧٣) عباس حسن: النحو الوافي: ١: ١٩٣.

(٧٤) د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ٢٥.

(٧٥) الخفاجي: شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل: ١.

موضوع أصلاً على تذكير أو تأنيث، وما يؤنث هو الصفات أو الأسماء المنقولة من صفات نحو (خالد) وخالدة و(ناجي) وناجية.

• النسبة إليه: لعل الأصوب أن يُنسب إلى هذه الأسماء ببقاء الواو على حالها وزيادة ياء النسبة المشددة المكسور ما قبلها، فيقال في (فديو) فديوي، وفي (كاجو) كاجوي.

خلاصة القول: إننا نرى ونقترح في هذه المسألة أو الظاهرة:

١- قبول الاسم المنتهي بواو قبلها ضمّة في المعرّبات وما سُمّي به في العربية المعاصرة على أنه من أنواع الأسماء العربية أو المعرّبة المعتلة الآخر.

٢- تسمية هذا النوع من الأسماء (الاسم شبه المقصور).

٣- إعرابه بعلامات مقدّرة على آخره في كل الحالات الإعرابية كالاسم المقصور

ودون تنوين.

٤- تثنيته وجمعه ببقاء الواو في آخره وزيادة علامات التثنية أو جمع السلامة مثل فديوان، عبدوون، عبدوين، جملوات.

٥- النسبة إليه: بقاء الواو في آخره وزيادة الياء المشددة المكسور ما قبلها مثل:

(فديو) فديوي.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا.



المصنّعون وأرواد المطابع

- أثر المغرب والدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: د. مسعود بوبو، نشر وزارة الثقافة- دمشق- ١٩٨٢.
- أسرار العربية: ابن الأنباري- تح د. فخر صالح قدارة- دار الجليل- بيروت- ١٩٩٥ م.
- الأصول في النحو: ابن السراج- تح عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة- ط ٢- ١٩٨٨ م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- ابن هشام الأنصاري- قدم له إميل يعقوب- دار الكتب العلمية- لبنان- ط ١- ١٩٩٧ م.
- البحر المحيط- أبو حيان الأندلسي دار السعادة- نشر مطابع النصر الحديثة- مصر. د. ت.
- التصريف الملوكي- ابن جني- تح د. البدرواي زهران- مكتبة لبنان- ناشرون- ط ١- ٢٠٠١ م.
- تهذيب اللغة: الأزهرى- تح د. عبد الحلیم النجار ومحمد علي النجار- الدار المصرية للتأليف والترجمة. د. ت.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): المطبعة الحسينية المصرية ط ١ على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه.
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي دار إحياء التراث العربي- بيروت- ١٩٥٢ م.
- حياة الحيوان الكبرى: الدميري- دار التحرير للطبع والنشر- ١٩٦٦ م.
- الحجّة في القراءات السبع: ابن خالويه - تح عبد العال سالم مكرم- دار الشروق- بيروت- د. ت.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: المطبعة الكاستلية بمحروسة مصر المحمية- ط ١، ١٢٨٧ هـ.

- حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: - تح عبد الحميد الهنداوي - المكتبة العصرية - صيدا - لبنان - ط ١ - ٢٠٠٤ م.
- خزانة الأدب: البغدادي - تح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - مصر - ١٩٨١ م.
- الخصائص: ابن جني - تح محمد علي النجار - دار الكتاب العربي - بيروت (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م).
- ديوان ابن حيوس: تح خليل مردم بك - مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - ط ١، ١٩٥١ م.
- الروض الأنف: السهيلي - دار المعرفة - بيروت - ١٩٧٨ م.
- شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر - د. ت.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمّى نهج السالك إلى ألفية ابن مالك: تح محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - ط ١ - ١٩٥٥ م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تح محمد محيي الدين عبد الحميد - انتشارات ناصر خسرو - طهران - ط ٩ (نسخة مصورة).
- شرح ديوان المتنبي: العكبري - دار المعرفة - بيروت - د. ت.
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: الخفاجي - عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني - مطبعة دار السعادة بمصر - ط ١ - د. ت.
- غرائب اللغة العربية: روفائيل نخلة - المطبعة الكاثوليكية - ط ٢ - بيروت.
- الفاخر في شرح جمل عبد القاهر: محمد بن أبي الفتح البعلي - تح د. ممدوح خسارة - نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ط ١ - ٢٠٠٥ م.
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري - إدارة الطباعة المنيرية - ١٣٤٨ هـ.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: تح جبرائيل سليمان جبور - الناشر محمد أمين دمج وشركاه بيروت - د. ت.

- المحتسب: ابن جني - تح علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار - دار سزكين للطباعة - ١٩٨٦ م.
- المخصص: ابن سيده - تح خليل إبراهيم جفل - دار إحياء التراث - بيروت - ط ١٩٩٦، ١ م.
- المخصص: ابن سيده - المطبعة الكبرى الأميرية - مصر ١٣٢١ هـ.
- المخصص: ابن سيده - تح لجنة إحياء التراث العربي - دار الآفاق الحديثة - بيروت - د. ت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي - تح محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - دار الجيل ودار الفكر - بيروت - د. ت.
- المحكم: ابن سيده - تح محمد علي النجار - معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية - ط ١٩٧٣ - ١ م.
- المستطرف في كل فن مستظرف: تح عبد الله أنيس الطباع - دار القلم - بيروت - ط ١٩٨١ - ١ م.
- معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية: إعداد د. أحمد شفيق الخطيب مكتبة لبنان - ط ٢ - ١٩٨٢ م.
- المغرب والدخيل في المعاجم العربية: د. جهينة نصر علي - دار طلاس - دمشق - ط ١ - ٢٠٠١ م.
- المعربات الفارسية في اللغة العربية: د. محمد التونجي - دمشق - ١٩٨٨ م.
- مفردات آرامية (عربي - آرامي - إنكليزي)، جورج رزق الله ولايت جنغان - ط ٢ - ٢٠١١ م.
- ملامح في فقه اللهجات العربيات: د. محمد بهجة القيسي - دار شمال دمشق ١٩٩٩ م.
- النحو الوافي: عباس حسن - دار المعارف بمصر - د. ت.

أبو حاتم السجستاني في ضوء المذكر والمؤنث

د. طارق الجنابي (*)

هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ) البصريّ، الراوية، اللّغوي، المقرئ، المفسّر، المحدث، النحويّ. أخذ عن شيوخ البصريين المشاهير وفيهم: أبو زيد الأنصاريّ (ت ٢١٠هـ)، والأصمعي (ت ٢١٦هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٣هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرميّ (ت ٢٠٥هـ)، والأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ). أمّا أنّه الراوية^(١) فذلك المشهور المعروف، فهو الراوية العالم الشهير بالشعر واللغة، أمّا أنّه (اللّغوي)، فيدل عليه ما يتناقله الدارسون من أقواله في اللغة، وما ذكر له من كتب، ما طُبِع منها، وما فُقد: (فعلت وأفعلت)، و(الأضداد)، و(الفرق)، و(الإدغام)، و(المقصود والممدود)، و(المذكر والمؤنث)، وسواها^(٢).

(*) باحث في علوم اللغة العربية من العراق.

(١) كان موضوعاً لرسالة الماجستير التي أعدّها الدكتور سعيد الزبيدي .

(٢) ينظر: الفهرست: ٦٤، والثبّت المستقصي لآثار السجستاني في مقدمة تحقيق (فعلت وأفعلت) .

وأما أنّه (المقرئ) فيؤكد كتابه في (القراءات) الذي كان يفخر به أهل البصرة، وما نقله عنه أبو بكر بن الأنباري في (إيضاح الوقف والابتداء)، وأبو جعفر النحاس في (القطع والائتناف) و (إعراب القرآن)، وابن جنبي في (المحتسب)، وكان له اختبار في القراءة^(٣)، وقد ترك في كتابه «ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة...»^(٤)، يعضده أخذه عن المقرئ المعروف (يعقوب الحضرمي) القرأة الشامية، وتألّفه كتاب (اختلاف المصاحف).

وأما أنّه (المفسر) فيؤيّد ما صنّفه في (إعراب القرآن)، وأخذه عن أبي عبيدة والأخفش، وهو ما يشير إلى تمكّنه من (النحو)، وإلا فكيف يُفسّر إعرابه للقرآن يسبق به الطائفة الكريمة من العلماء الأفاضل الأئمة صنّفوا إعراب القرآن بعده، وقد نقلوا عنه أشياء جديرة بالقبول من الإعرابات من ذلك مثلاً:

١. أنّه حكى عن عبدالله بن عمر ضمّ الكاف في (كذاباً) في قوله تعالى ﴿بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾^(٥)، ولكنّه أنكره إلا أن يكون جمع (كاذب) منصوباً على الحال، وتقديره: (وكذبوا بآياتنا في حال كذبهم)^(٦).

٢. سوّغ نصب (ربّ العالمين)، بمعنى (أحمد الله ربّ العالمين)، وأيّد ابن كيسان، منكرأً النصب على النداء، لئلا يكون كلاماً جديداً^(٧).

(٣) المرشد الوجيز: ١٥٧.

(٤) المرشد: ١٥٢، وينظر: ٩٤ بشأن الأحرف السبعة من ١٣٠.

(٥) النبأ: (٢٨).

(٦) ينظر: المحتسب: ٣٤٨/٢.

(٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١/١٢١.

ثم كيف نفسّر أنّ السيرافي^(٨) ذكر له كتاباً سمّاه الزبيديّ: (المختصر في النحو)^(٩)، وقد عدّه الأول في الطبقة الثانية من النحويين البصريين، كما سلكه الثاني فيهم، وزعم أنّه روى علم سيويه عن الأخفش، وكانت تُقرأ عليه كتب الأخفش فیردّ ردّاً حسناً. وروى المبرّد أنّه قال: قرأت كتاب سيويه على الأخفش مرتين.

ولا يستقيم مع هذا كلّ ما نقله ابن خلّكان^(١٠) من «أنّه لم يكن حاذقاً في النحو»، إنّ التلبّث عند كتابه المهمّ (المذكر والمؤنث)، وهو ثاني اثنين حجماً، وتفصيلاً، واستطراداً، والأول كتاب ابن الأنباري، أقول: إنّ التلبّث عند هذا الكتاب يُظهر آراء لأبي حاتم في النحو، فيها من العلم والاجتهاد ما لا مجال لموافقته بحال، ولكنّه لا يرقى إلى صنيع من شغل بقضايا اللغة والرواية، وصادف هواه بها فصرفه عن النحو المحض إلا ما سرى في مباحثه في هذا الميدان.

أمّا كتاب (المذكر والمؤنث) ونسخته النفيسة الفريدة التي جال فيها فكر المرحوم الأستاذ (نهاد جتين) وقلمه وأعدّها للنشر، فإنّه كان مصدراً لطائفة من كتب التالين، أفاد منها أبو بكر بن الأنباري، ثم كانت من موارد (ابن سيده) في مخصّصه.

ومهما يكن من شيء، فإنّ في هذا الكتاب علماً وافراً وقفنا على ألوان منه في بحث سابق^(١١) ونقف على ألوان أخرى من مسائل النحو، وقضايا اللغة.

(٨) أخبار النحويين البصريين: ٥٥.

(٩) طبقات النحويين واللغويين: ١٠٠.

(١٠) وفيات الأعيان: ٢ / ٤٣١.

(١١) ينظر: بحث (كتاب المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني) مجلة المجمع العلمي العراقي،

أولاً: من مسائل النحو

١. تحدّث عن التضادّ الجنسيّ في الأعداد من ثلاثة إلى عشرة، فعزاً إسقاط التاء من العدد مع المعدود المؤنث، وإثباتها مع المذكر إلى الخفّة والثقل؛ لأنّ جمع المؤنث ثقيل فحذفوا التاء من عدده؛ لئلا يجتمع ثقيلاً، لما كان المعدود مذكراً، والمذكر خفيف، أدخلوا في عدده التاء ليجتمع خفيف مع ثقيل فيعتدلاً.

وحين تحدّث عن تسمية أعلام الذكور بالأعداد، ذهب إلى منعها من الصرف، لحقتها التاء أم لم تلحقها؛ لأنّها سمّيت بمؤنث على أربعة أحرف فصاعداً^(١٢)، واستثنى من ذلك (ثماني)، إذ زعم أنّها تُصرف صرف علّة كما في (جوار)^(١٣)، وقال: «ولا تصرف في النصب، فتقول: رأيت ثماني؛ لأنّه قد تمّ البناء وانفتح آخره، فتركت صرفه»^(١٤).

٢. زعم أنّ النسب إلى الأعداد المركّبة يكون بإلحاق ياء النسب بجزأي العدد، فتقول في النسبة إلى (أحد عشر) و(اثنى عشر): أحديّ عشريّ، واثنىّ عشريّ، كما نسبوا إلى (رامهرمز)، فقالوا راميّ هرزميّ، ومنه قول الشاعر:

تزوَّجْتُهَا رَامِيَّةً هُرْمَزِيَّةً بِفَضْلِ الَّذِي أَعْطَى الْأَمِيرُ مِنَ الرَّزْقِ^(١٥)

ج ٣، م ٣٥، ٢١٨، ونقف على ألوان أخرى من مسائل النحو، وقضايا اللغة .

(١٢) العدد عنده مؤنث لحقته التاء أم لم تلحقه .

(١٣) فيها رأيان: معاملتها معاملة المفرد المنقوص، أو معاملتها معاملة الجمع المتناهي، وقد جمع بين الرأيين في حذف الياء رفعاً وجراً حملاً على المنقوص، إذ صورتها واحدة، فإذا نُصب لم ينون، إذ تثبت الياء، فتكون معاملته معاملة غير المنصرف ينزع التنوين حسب.

(١٤) المذكر والمؤنث: ١١١ .

(١٥) المذكر والمؤنث: ١١١ .

٣. لم يُجَزِ العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، وهو مذهب للبصريين معروف، وأجازه الكوفيون، ولعل ذلك مقرون بالسمع، فالأول هو الكثير، وقياس البصريين على الكثير، وقد ارتضاه الكوفيون مع أنهم يرونه قبيحاً، وبذلك قرأ حمزة الرِّيات^(١٦)، والنَّعِيَّ وفتادة والأعمش^(١٧): ﴿وَأَثَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١٨)، بعطف (الأرحام) على الضمير المجرور، وقرأ غيرهم بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة، أو على محلّ (الماء)^(١٩).

أمّا أبو حاتم فقد علّل كراهة العطف على الضمير البارز في نحو: (الله ربّي وزيد) بأنه عطف على ضمير في موضع التنوين، والمضمر خفيف^(٢٠)، فكأنّ العطف لم يكن على شيء، وأنكر أيضاً العطف على الضمير المرفوع إلا بعد توكيده بضمير رفع، نحو: (قام وأخوه)، وهو أيضاً ممّا ارتضاه الكوفيون وأباه البصريون^(٢١).

وعلّل أبو حاتم ذلك بعدم جواز العطف على خفيّ، والإضمار هنا خفيّ، فكأنّه لم يكن، ومثّل بـ:
وَقُمْ أَنْتِ وَأَخُوكِ.

(١٦) السبعة في القراءات: ٢٢٦ .

(١٧) تفسير القرطبي: ٢ / ٥ .

(١٨) النساء: (١) .

(١٩) ينظر: مجالس العلماء: ٣٢٠-٣١٢. وهامشه، والمخصص: ١٧ / ١١٩ .

(٢٠) في المذكر والمؤنث لابن الأنباريّ: ٦٤٩، والمخصص: ١٧ / ١١٩: «ألا تراهم يقولون:

الله ربّي وربّ زيد فيكّررون؛ لخفاء المكنيّ المخفوض، إذا وقع موقع التنوين .

(٢١) فإذا أريد ذلك من غير توكيد لزم نصب ما بعد الواو على المعية .

قال: «ويقبُح: قَمِّ وأخوك»^(٢٢)، ولم يمثّل بالضمير البارز نحو (قُمْتُ) و(قُمْتِ) وأمثالهما، ولو مثّل بها لحملة - فيما يبدو - على ما ذكره في إعادة الجار لحنّة الضمير لا لحنّائه.

٤. أجاز الإضمار عن (كلا) و (كلتا) بالمشنى، فيقال: كلاهما منطلقان، وكلتاها منطلقتان^(٢٣).

إذ الأصل في (كلا) و(كلتا) الإضافة إلى الاثنين والإخبار عن واحد، فيقال: كلا أخويك كان قائماً، وكلتا المرأتين كانت جميلةً، وكلا الرجلين قائم، وكلتا المرأتين قائمة، ومنه قول الشاعر:

كلا يومي أمامة يومٌ صدي وإن لم نأتمها إلا لياماً^(٢٤)

وما ذهب إليه مذهب كوفي*.

٥. أجاز أبو حاتم تأنيث المصادر المنعوت بها وجمعها، نحو: رجلٌ عدلٌ، وامرأةٌ عدلةٌ، وقومٌ عدولٌ^(٢٥)، وهذا مما لم يُجزه البصريون، وأجازه الكوفيون معتمدين على السماع، والراجح عنده إلزام المصادر الأفراد والتذكير أبداً.

(٢٢) المذكر والمؤنث: ١١١ .

(٢٣) المذكر والمؤنث: ١١٢ / ب .

(٢٤) ينظر: اللسان (كلا): ١٥ / ٢٢٨-٢٢٩ .

* معاني الفراء: ٢ / ١٤٢-١٤٣ . والمذكر والمؤنث لابن الأنباري: ١٧٤ .

(٢٥) المذكر والمؤنث: ١٢٢ / ب ، ونقل ابن سيده في (المخصص: ٣٢ / ١٧) جوازه. وقد ورد في

شعر لبيد جمع (نوح) على (أنواح): قوما تنوحان مع الأنواح .

٦. أطلق جواز تذكير فعل الجمع وتأنيثه، قال: «وأما فعل الجميع المتقدم، فالتأنيث، والتذكير فيه معتدلان»^(٢٦)، ومثل لذلك بـ:
قالت النساء، وقال النساء.
هبت الرياح، وهبَّ الرياح.
كثرت الحيات، وكثر الحيات.

فلم يميِّز بين جمعي التصحيح والتكسير، ولم يميِّز بين المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي، إذ لكل من ذلك شأن في الجواز والوجوب عند النحاة^(٢٧).

أما الكوفيون فيجيزون تذكير الفعل وتأنيثه، وأشك أن يتابعهم أبو حاتم فيه لما عُرف به من حدة عصبية عليهم، وكرهته لهم^(٢٨)، إلا أن يكون ذلك توافقاً محضاً.
وأما البصريون فيرون جوازه إذا كان الفاعل اسم جنس أو جمعاً مكسراً
للمذكر صحيحاً فقد وجب التأنيث، وإذا كان جمعاً للمذكر صحيحاً وجب التذكير
لسلامة المفرد^(٢٩).

غير أنه يفهم من أمثلته التي سبق ذكرها قصره جواز الوجهين على ما ذكر
متابعة لأصحابه البصريين.

(٢٦) المذكر والمؤنث: ١٢٢ / ب .

(٢٧) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢٨٠ / ١ .

(٢٨) نقل أبو الطيب اللغوي في (مراتب النحويين: ١٦٠-١٦١) مقالة أبي حاتم: ((ويتحفظ أحدهم مسائل النحو بلا علة، ولا تفسير، فيكثر كلامه عند من يختلف إليه، وإنما هم أحدهم إذا سبق إلى العلم أن يسير اسماً يخترعه لينسب إليه...)).

(٢٩) أوضح المسالك: ٣٥٩ / ١ .

٧. أجاز البدل من الضمير في قوله تعالى ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾^(٣٠)،
و﴿وَأَسْرُوا التَّجَوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٣١)، ومثله:
تَبْرَأُ مِنْ دَمِّ الْقَتِيلِ وَبَزَّهُ وَقَدْ عَلَقْتُ دَمَّ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا
و:

وَسَوَدَّ مَاءَ الْمَرْدِ فَاهَا فَلَئُوهُ كَلَوْنَ النَّوْورِ فَهِيَ أَدْمَاءُ سَارُهَا^(٣٢)
فأعرب (إزار) بدلاً من الضمير في (علقت)، و(سار) بدلاً من الضمير
في (أدماء).

وأوضح ذلك بقوله: «كأنه في التمثيل: وقد علقت دم القتيل المرأة إزارها، فإن
قيل: أتبدل الثوب من المرأة، فالجواب: أني قد وجدت مثل هذا سهلاً في كلامهم،
قالوا: سلب عبد الله ثوبه، فرفعوا (الثوب) على البدل منه، وسلبت جاريتك إزارها؛
فهذا مذهبي في هذا البيت.»^(٣٣)، وليس هذا من مذهبه هو حقاً، إلا من حيث
التخريج، أما الإعراب فهو للأخفش^(٣٤).

(٣٠) المائة: ٧١ .

(٣١) الأنبياء: ٣، وهو عند الأخفش (المعاني: ٢/٤١٠) على التفسير .

(٣٢) سارها، أي ساءها، وفيه حذف، والبيت وسابقه من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي .

(٣٣) المذكر والمؤنث: ١٧٩، وينظر: ١٩٣/ب. والمذكر والمؤنث لابن الأنباري: ٣٦٦.

(٣٤) ينظر: مجالس العلماء: ١٣٠-١٣١، وينظر: بحث في اللهجات العربية ضمن (دراسات في

اللغة والنحو: ١٧١) .

٨. جعل نحو قوله: عَيْنُكَ وَالْأَنْفُ حَسَنَانِ

وَعَيْنُكَ وَالْأَنْفُ حَسَنٌ

على تقدير (حسنة) في الثانية خبراً محذوفاً عن (عينك)، استغناءً بخبر الثاني (الأنف).

وأجاز: عَيْنُكَ وَالْأَنْفُ حَسَنَةٌ، غيرَ الحذف من الثاني استغناءً بخبر الأول^(٣٥).

٩. اختلف النحاة في إعراب (مخضّباً) في قول الشاعر:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّهَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا*

فقال قائل منهم: أنه نعت لـ(كفّ)، و(كفّ) يجوز فيه التذكير والتأنيث، وهو وهم إذ (الكفّ) مؤنث بالإجماع، ولم يُنقل فيه التذكير، وذهب أبو حاتم وابن الأنباريّ إلى جواز أن يكون نعتاً لـ(رجل)، غير أنّ أبا حاتم انفرد بذكر وجهين آخرين، أولهما: أنّ التاء محذوفة على الترخيم في غير النداء، وهو ممّا يسوّغ للشاعر، والثاني: أنّه حال من ضمير الفاعل في (يضمّ) و(الهاء) في (كشحيه)^(٣٦).

(٣٥) المذكر والمؤنث: ١٥٢ / ب، ١٥٣ / أ.

(*) للأعشى، ديوانه: ١١٥.

(٣٦) المذكر والمؤنث: ١٥٢، وقد تأوّل أبو البركات الأنباريّ في (البلغة: ٧٠) إعرابه على النعت

لـ(كفّ) حملاً على المعنى، إذ الكفّ في المعنى عضو. وينظر: المخصّص: ١٦ / ١٨٧.

ثانياً: من قضايا اللّغة

النوادر

النوادر جمع نادرة، وهو ما خرج من كلام العرب^(٣٧)، وقد كان اللّغويون مشغوفين بتصيّد النوادر وإيداعها قراطيسهم، حتى لقد جمع منهم طائفة قدراً كبيراً وبنوا عليها مصنّفات، منهم أبو حاتم. ولم يفتُ بعض الأعراب أن يجمع منها شيئاً نافعاً كما صنع أبو مسحل الأعرابي، وأبو زياد الكلابي، وغيرهما، وصنع الصاغاني كتاباً فيما تفرّد به عدد من اللّغويين لمن ينقل عمّن سواهم^(٣٨) وفي كتاب أبي حاتم شيء من تلكم النوادر أمثل لها:

قال أبو حاتم: «قالوا في حرف نادر: حضر القاضي امرأة، ولا يقاس مثل هذا خاصة» وذلك في معرض حديثه عن وجوب تأنيث فعل المؤنث الحقيقي^(٣٩)، وهذه الجملة ليست ممّا انفرد بروايته أبو حاتم، إذ وردت عند سيبويه**، غير أنّ ندورها، هنا، يعني خروجها على القاعدة المذكورة، وقد كانت من بضاعة النحويين واللّغويين حين يتكلّمون على باب تذكير الفعل وتأنيثه بالنظر إلى الفاعل.

(٣٧) في الصحاح (ندر): ٢ / ٨٢٤، أندر الشيء يندر ندرًا، سقط وشدّ، ومنه النوادر .

(٣٨) حقّقه عدنان الدوري باسم (الشوارد في اللغة)، وفيه باب عن أبي حاتم من كتابه (تقديم المفسد والمزال عن جهته من كلام العرب): ٢٦٢، ٢٦٦ .

(٣٩) المذكر والمؤنث: ١٣٢ / ب .

** الكتاب: (ط هارون): ٣٨ / ٢ .

- ١- أورد عن أبي زيد أنّ من العرب من يجمع أرضاً على (أراض) (٤٠).
- ٢- يقال في خطاب الأنثى: ها هي ذه، غير أنّ أبا حاتم روى عن أبي زيد أنّه سمع من أكثر من مئة نفس من الأعراب أنّهم يقولون: ها هو ذه (٤١).
- ٣- روى بيت جرير الضبيّ:
يا ضُبُعاً أَكَلَتْ آيَارَ أَحْمِرَةٍ ففي البُطُونِ وقد راحَتْ قَرَايِرُ (٤٢)
- على أنّ (ضُبُعاً) بضم الضاد والباء على الجمع ظناً (٤٣)، وأنكر ابن الأنباريّ هذه الرواية؛ إذ لم يورد أحد هذا البيت على الجمع (٤٤).
- ٣- ظنّ السجستاني أنّ لحاق التاء بـ(اللَّبُؤَة) أنثى الأسد قد جاء من قولهم للأسد: اللبؤ، ثم ذهب هذه اللغة ودرست (٤٥)، وأنكر ابن الأنباريّ أنّه لم يروه أحد من أهل اللغة بلاتاء (٤٦).
- وفيه أمران:

(٤٠) المذكر والمؤنث: ١٧٧ / أ .

(٤١) المذكر والمؤنث: ٢٠٠ / ب .

(٤٢) البيت في المذكر والمؤنث لابن الأنباريّ: ٩٤، والبُلغة: ٧٤ .

(٤٣) المذكر والمؤنث: ١٣١ / ب .

(٤٤) ينظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباريّ: ٩٤، ونقل أنّ أبا زيد أنشده بضميتين، وأهل الحجاز يجمعونه هكذا .

(٤٥) المذكر والمؤنث: ١٣٢، والمخصّص: ١٠٠ / ١٦، وقد حرّف أبو حاتم إلى أبي خالد، وقال: ويمكن أن يكون اللبؤ جمع اللبؤة .

(٤٦) المذكر والمؤنث لابن الأنباريّ: ٩٩ .

- ٤- أن أبا حاتم لم يجزم به، وإنما ذكره على الظنّ.
- ٥- وأن أبا حاتم قاسه على الأصل في أن التفريق بين المذكر والمؤنث يكون بالعلامة، غير أن هذا مما لم يقرّه الدرس الحديث، إذ يذهب الدارسون إلى أن اللغة كانت للمذكر لفظاً آخر، ثم كثرت ألفاظ التذكير والتأنيث، فجنحت اللغة إلى التفريق بالعلامة، وهذا يعني أن هذا الضرب من التفريق مستحدث في اللغة.

اللغات

لقد عني أبو حاتم بإيراد لغات القبائل، وله في ذلك معرفة حسنة، وأجمل ما ورد منها على النحو الآتي:

١. يقال للرجل (زوج)، وللمرأة (زوج)، وزاد: «ومن أهل الحجاز من يقول: الزوجة، وفلانة زوجة فلان»^(٤٧)، والعبارة - هنا - قاصرة وموهمة، فقد أجمع اللغويون على أن (زوج) هي لغة أهل الحجاز، وهي اللغة الفصحى، وبها نزل القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾^(٤٨)، وقال تعالى ﴿قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ﴾^(٤٩). أمّا زوجة، فهي لغة تميم وسائر العرب^(٥٠)، ومنه قول الفرزدق، وهو من تميم:

وإنّ الذي يمشي يُحَرِّشُ زَوْجَتِي كماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا^(٥١)

ومن ثم عاد أبو حاتم إلى بيان المسألة بياناً لا إيهام فيه، فقال: «الرجل والمرأة

(٤٧) المذكر والمؤنث: ١١٤ / أ.

(٤٨) الأحزاب: ٣٧.

(٤٩) الأحزاب: (٥٩). و(أزواج) جمع (زوج) و(زوجة) تجمع على (زوجات).

(٥٠) ينظر: المذكر والمؤنث للقراء: ٩٥، ١٠٨.

(٥١) الديوان: ٦٠٥.

زوجان، وكل واحد منهما زوج، وفي القرآن: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾^(٥٢)، يعني (حواء))، وقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٥٣) فهذه لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن، والجمع أزواج، كما قالوا: أزواج النبي، وأهل نجد يقولون: زوجة، للمرأة، وأهل مكة والمدينة يتكلمون بذلك^(٥٤)، وعنده أن أهل المدينة أفصح من أهل مكة؛ لقلة مخالطة الأعاجم لهم، ومن ثمة كانت أهل مكة يلحنون، وإن كانوا جميعاً أفصح من أهل العراق على كل حال^(٥٥).

وخلاصة الجمع بين القولين: لعلّ أبا حاتم كان يرمي إلى القول بأن أهل الحجاز يقولون (زوج) دون سائر العرب، ومنهم من يقول (زوجة).

٢. الدرع مؤنثة، وذكر أبو حاتم أن تميماً تذكره، واستشهد بقول أوس بن حجر

في صفة الدرع:

وَأَمَلَسَ صَوْلِيًّا كُنْهِي قَرَارَةً أَحْسَسَ بِقَاعٍ نَفَحَ رِيحٍ فَأَجْفَلَا^(٥٦)

ويقول أبي الأخرز الحناني:

مُقَلِّصًا بِالذَّرْعِ ذِي التَّغْضُنِ^(٥٧)

(٥٢) البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩ .

(٥٣) النساء: ١ .

(٥٤) المذكر والمؤنث: ١٤٨ / ب .

(٥٥) المذكر والمؤنث: ٢٠٠ / ب .

(٥٦) الديوان: ٦٤ .

(٥٧) المذكر والمؤنث: ١٤٨ / أ، ب . وذهب الفراء: ٩٣ إلى أن درع الحديد أنثى، وعند المبرد: ٩٦

أثمها تذكر وتؤنث .

٣. لغة أهل الحجاز أنّ (صديق) يُراد بها المفرد والجمع والمؤنث، فيقولون: حدّثني بعض صديقي، أي: أصدقائي^(٥٨).

٤. جموع الأجناس، نحو: تمر، وبقر، ونحل، وواحدتها بالتاء، مذكرة عند أكثر العرب، فيقولون: هذا تمر، وهذا بقر، وذكر أبو حاتم أنّ أهل الحجاز يؤنثون بعض^(٥٩) هذا ولا يقيسونه في سائره، فيقولون: هي البقر وهي النحل، وورد في القرآن الكريم مؤنثاً، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي^(٦٠)، أمّا النحل، فيذكر ويؤنث^(٦١).

وملاك ما ذكره أبو حاتم أنّ كل جمع واحدته بالتاء مذكر، ويؤنث الحجازيون بعضه.

غير أنّ الفراء يعكس الأمر، ويقول: «إنّ أهل الحجاز يؤنثونه، وربّما ذكروا والأغلب عليهم التأنيث، وأهل نجد يذكرون ذلك، وربّما أنثوا، والأغلب عليهم التذكير.»^(٦٢).

(٥٨) المذكر والمؤنث: ١٢٤/أ.

(٥٩) (بعض) في عبارة أبي حاتم تدلّ على أكثر من واحد.

(٦٠) النحل: ٦٨.

(٦١) المذكر والمؤنث: ١٢٥/أ، ب.

(٦٢) المذكر والمؤنث للفراء: ١٠١. ويرى المبرّد التذكير والتأنيث في الأجناس مطلقاً، فالتذكير على جعلها أجناساً، والتأنيث حملاً على معنى الجماعة، وبها ورد قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، (المذكر والمؤنث للمبرّد: ٨٦-٨٧) والآيتان خاصتان بالنخل، وهو ما أطلق أبو حاتم فيه جواز الوجهين.

٥. السوق مؤنثة، ويذكرها بعض العرب^(٦٣) والتأنيث أغلب عند الفصحاء^(٦٤).

٦. الصاع مذكر، ويؤنثه بعض أهل الحجاز، ويجمعونه على أصوع، وجمعه (أصواع)، و (صيعان)^(٦٥)، وهذا معناه إجماع العرب إلا بعض أهل الحجاز على تذكيره، غير أن الفراء يعكس الأمر، فيرى أن التأنيث لغة أهل الحجاز وبعض بني أسد، والتذكير لغة أهل نجد وأسد^(٦٦)، كما أن أبا حاتم جعل (أصِوْع) هو الجمع القليل عند الحجازيين، وزاد الفراء عليه (أصْع) التي عدّها أبو حاتم من لحن العامّة.

٧. الطريق مذكر عند أهل نجد وأكثر العرب، وهو كذلك في القرآن الكريم، ويؤنثه أهل الحجاز^(٦٧)، وربّما ذكروه.

٨. بَوْع لغة في (الباع)^(٦٨)

٩. الهوى مذكر عند العرب إلا بني أسد فإنهم يؤنثونه، فيقولون: هذه هوى حسنة^(٦٩).

(٦٣) المذكر والمؤنث: ١٤٩ / أ.

(٦٤) المذكر والمؤنث للفراء: ٩٦.

(٦٥) المذكر والمؤنث: ١٦٧ / ب.

(٦٦) المذكر والمؤنث: ٩٦.

(٦٧) المذكر والمؤنث: ١٦١ / ب، وينظر: المذكر والمؤنث للفراء: ٨٧.

(٦٨) المذكر والمؤنث: ١٠٠ / أ.

(٦٩) المذكر والمؤنث: ١٦٢ / أ. وينظر: الفراء: ٨٧.

١٠. الهَيْف من أسماء الرياح، والهَوْف لغة^(٧٠).
١١. الفَوْغَاء مذكّر ومؤنث لغتان^(٧١).
١٢. الأفعى مؤنّثة في لغة تميم، ومذكّرة في لغة قيس^(٧٢).
١٣. المنون مؤنّثة، وقد يذكرها قوم^(٧٣).
١٤. المنجنون مؤنّثة، والمنجنين لغة أخرى، أنشد الأصمعيّ:
ومنجنينٍ كالأتانٍ الفارق^(٧٤)
١٥. الرِّخْل، بفتح الراء وكسر الخاء، هي الأنثى من أولاد الضّان، ولغة تميم
(رِخْل) بكسر الراء وإسكان الخاء^(٧٥).
١٦. العَضْد، بفتح فضمّ، والعَضْد، بضمّتين، والعَضْد بفتح فسكون، والعَضْد
بضمّ فسكون، لغات، والأولى أفصحها^(٧٦)، ومثله (العَجْز)^(٧٧).
١٧. (هَلْمَم) بلا علامة للتأنيث أو التثنية أو الجمع يخاطب بها الواحد
والاثنتان والجمع لغة أفصح العرب وأكثرهم، ولغة كثير من تميم: هَلْمَم، وهَلْمًا،
-
- (٧٠) المذكر والمؤنث: ١٦٨/ ب، والهَيْف: المارّة (رسالة في أسماء الرياح لابن خالويه: ٣٩٨).
- (٧١) المذكر والمؤنث: ١٧٧/ ب.
- (٧٢) المذكر والمؤنث: ١٥٥/ ب.
- (٧٣) المذكر والمؤنث: ١٧١/ أ.
- (٧٤) المذكر والمؤنث ١٧١/ أ- ١٧٢/ أ.
- (٧٥) المذكر والمؤنث: ١٦٣/ أ.
- (٧٦) ١٤٥/ أ.
- (٧٧) ١٥٣/ أ.

وهلمّوا، وفي التأنيث: هلمّي، هلمّا، وهلمّمُنْ، يشبهونه بالفعل المضاعف مثل باب (ردّ)^(٧٨).

١٨. لغة العرب أنّ (ذو) من الأسماء الستة، يقولون: ذو أدب، وذو كرم، و«لغة لكثير من العرب: فلان ذو سمعت به، يريد الذي سمعت به»^(٧٩) أي: على الموصوليّة، وهي لغة طيّب.

١٩. (تيكم) لغة في (تلكم)، قال أبو حاتم: «وكان الرسول صلوات الله عليه يقول إذا دخل على عائشة رحمة الله عليها، وهي مريضة أيّام الإفك، يقول: كيف تيكم، لا يزيد عليها. وهذه اللغة أيضاً ليست في القرآن، وهي اللغة البالغة المشهورة»^(٨٠).

٢٠- فصّ الخاتم مفتوح والكسر لغة فيما ذكره أبو زيد^(٨١).

الكرّش، مفتوحة الكاف مكسورة الراء، قال: «وقد يُسكن قوم الراء، ويكسر الكاف، وهي لغة من لم يسمع الكلام»^(٨٢).

(٧٨) المذكر والمؤنث: ١٩٠/ب-١٩١/أ.

(٧٩) ١٩٣/ب-١٩٤/أ.

(٨٠) ١٩٠/أ.

(٨١) ١٣٩/ب، وابن الأنباري: ١٩٥-١٩٦.

(٨٢) ١٤٢/أ.

لحنُ العامَّةِ (٨٣)

وكان أبو حاتم يشير إلى ما يسمّيه اللغويون بـ (لحن العامّة) ممّا يغلط فيه غير الفصحاء أو الذين لانت ألسنتهم، وهو قد وضع كتابه في الأصل بُغية تقويم اللسان أن يزيغ أو يلتوي، فممّا أشار إليه:

١. ذكر أن تصغير (عين) يكون على (عُينة)؛ فالياء أصلية، وألحقت التاء؛ لأنّ الاسم ثلاثي مؤنث، وكانت العامّة تنطقها (عُوية) توهمًا بأن أصل الياء واو، ومثله تصغير (عيب) على (عُيب) لا (عُويب) (٨٤).

٢. وذكر أن (الظُفر) بضمّ الظاء والفاء هو الفصح، ويجوز إسكان الفاء، ولا تُكسر الظاء قطّ في فصح الكلام، وهو ما تصنعه العامّة (٨٥).

٣. جعل السجستاني جمع (صُواع) على (أصُع) مما تُخطئ فيه العامّة، لأنّ الجمع عنده: أصواع، وصيعان، وأصُوع (٨٦)، غير أنّ الفراء يرى صوابه (٨٧)، وهو في

(٨٣) إنّ لأبي حاتم كتاباً في (لحن العامّة) ذكره الزبيدي في صدر كتابه (لحن العامّة) من ٣٥ (ط) عبد العزيز مطر، ووجد أنّ ما أورده من (لحن العامّة) نزر بإزاء ما جاء به من تفسير الغريب، وتصريف الأفعال، وتوجيه اللغات، وهو إلماح إلى علم الرجل، وينظر: من ٣٧، ٣٨، ٤٤، ٥٦، ٥٨، ٧٠، ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٧٧، ١٨٣.

(٨٤) ينظر: المذكر والمؤنث: ١٣٩ / أ.

(٨٥) المذكر والمؤنث: ١٥٠ / ب. وينظر: لحن العامّة للزبيدي: ١٠٧، ويقال له: أظفور، أيضاً.

(٨٦) المذكر والمؤنث: ١٦٧ / ب.

(٨٧) المذكر والمؤنث: ٩٦.

مذهب ابن الأنباري صحيح قياساً على (أبَار) و (أَبَار) وما بينهما من القلب المكاني، وإن لم يك مسموعاً عند العرب^(٨٨).

٤. وذكر أن العامّة تظنّ أنّ (السُّوقَة) و (السُّوق) من (السُّوق) وليس الأمر كذلك^(٨٩)، إذ السُّوقَة الرعيّة التي تُساس، ومن لا سلطان له، وهو ممّا يستوي فيه المفرد والجمع، والمذكر والمؤنث، وقد يُجمع على (سوق)^(٩٠).

٥. لا يقال: رِخْلَة، وهي أنثى أولاد الضأن، بالتاء وكسر الراء وسكون الخاء، لأنّها لغة المخطئين من العامّة، إنّما هي رِخْل، بفتح فكسر^(٩١) على لغة أكثر العرب.

٦. يقال في خطاب الرجل: أعطيتكّه، وفي خطاب المرأة: أعطيتكّه، وتقول العامّة بالكوفة: أعطيتكاه، وأعطيتكيه^(٩٢)، ويقصد به إشباع الفتحة والكسرة، وذلك عنده مرفوض؛ لأنّ الكسرة علامة التأنيث^(٩٣)، كما أنّ الفتحة علامة التذكير.

٧. يقال في خطاب البعيد: ذاك، وذلك في التذكير، وعليهما تجري أخواتهما باللام وبدونها، غير أنّ أبا حاتم يرى أنّ (ذاك) بلا لام وأخواته ممّا أولعت به العامّة، وفي القرآن كلّ: ذلك، وذلكما، وذلكم، ونحوها باللام^(٩٤).

(٨٨) المذكر والمؤنث لابن الأنباري: ٣٥٧.

(٨٩) المذكر والمؤنث: ١٤٩/أ.

(٩٠) اللسان (سوق): ١٠/١٧٠.

(٩١) المذكر والمؤنث: ١٦٣/أ.

(٩٢) المذكر والمؤنث: ١٩٢/أ.

(٩٣) المذكر والمؤنث: ١٩٧/أ.

(٩٤) المذكر والمؤنث: ١٨٩/أ.

٨. وفي خطاب الأنثى (تلك) والعامّة تقول (ذيك)، وهو خطأ عند أبي حاتم، قال: «وكانّ العامّة بالخطأ أولع، وعليه أشدّ اتّفاقاً»^(٩٥).

في الدلالة

عني أبو حاتم عناية بالغة في كتابه بإيضاح دلالة الألفاظ، وتغيّر هذه الدلالة تبعاً لما يطرأ على المفردة من زيادة أو تبدل في البناء، وهو يُكثّر من الإتيان بالأمثلة وبالشواهد من القرآن الكريم والشعر، ومما تحدّث فيه فأطال: «نعت المؤنث بما لا يشركه فيه المذكر»^(٩٦)، كالصفات التي ترد على وزان (فاعل) نحو (قاعد وقاعدة)، (طالق وطارقة)، وعلى وزان (مُفعل) نحو (مرضع ومرضعة) و (مطفل ومطفلة)، وعلى وزان (فعليل) نحو (عقيم).

من ذلك:

١. وناقاة عائد للحديثة النتاج^(٩٧).

٢. وقالوا: امرأة طاهر لتي طهرت من الحيض، فإن أردت من طهارة الخلق والوضوء، قلت: طاهرة.

٣. ويقال للمرأة: آمت تئيم أياً، إذا مات زوجها، وكذلك الرجل إذا مات امرأته.

(٩٥) المذكر والمؤنث: ١٩٠ / أ.

(٩٦) المذكر والمؤنث: ١١٦ / أ، ١٢١ / ب.

(٩٧) الإبل للأصمعيّ (الكنز اللغوي): ١٤٥.

٤. وامرأة تَفَلَة، إذا تركت الطيب، وقد تفلت تتفل تَفَلًا، وفي الحديث: «يخرجن إلى المسجد تَفَلان»^(٩٨).

٥. وأتن ملمع، إذا أشرف ضرعها للولاد^(٩٩).

وقد وقف في مواضع كثيرة عند ظاهرة الترادف - وإن لم يُسمَّها - انطلاقاً من حديثه عن المعاني التي تخرج إليها اللفظة التي يذكرها في سياق التذكير والتأنيث، وفي ذلك ما فيه من النفع والبيان. ومن ذلك:

أ- ذكر (العُقَاب) وهو طائر في المؤنث الذي لا يذكر بحال، ثم أورد المعنيين اللذين تخرج إليهما، وهما: الحجر النادر^(١٠٠) من وسط البئر، والراية^(١٠١). وقد جاء في (العين)^(١٠٢) «العلم الضخم تشبيهاً لها بالطائر»، وأتمها «مرقى في عرض جبل، وهي حنجرة ناتئة ناشزة...» وقيد صاحب القاموس^(١٠٣) المعنيين بأنه الحجر الناتئ في جوف البئر يخرق الدلو، وأنه راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا مطلق الرايات، غير أن ما ذكره الجوهري في الصحاح^(١٠٤) هو ما ذكره أبو حاتم.

(٩٨) غريب الحديث لابن الجوزي: ١/١٠٩، وتخريجه في الهامش، والحديث فيه «وليخرجن تَفَلان».

(٩٩) والإلماع في الإبل، والإنسان أيضاً. ينظر: الإبل وخلق الإنسان للأصمعي (الكنز اللغوي): ١٤١، ١٥٨.

(١٠٠) أي: الظاهر، الناتئ.

(١٠١) المذكر والمؤنث: ١٦٦/أ.

(١٠٢) ١/١٨١.

(١٠٣) القاموس: (عقب).

(١٠٤) الصحاح (عقب): ١/١٨٧.

ب- وذكر أيضاً معاني أخرى للصقر^(١٠٥)، وهو طائر، مذكر، وهي: الصقر من الدبس، ووقع الحديد على الحجارة، ووقع الشمس، وفي (العين)^(١٠٦) أن الصقر من الجوارح، وأنه شدة الوقع، وأنه «ما تحلب من العنب والتمر من غير عصر، وما مصل من اللبن».

وقد ورد المعنيان الأول والثالث في (القاموس)^(١٠٧)، ولم يرد المعنى الثاني في معاني (الصقر)، غير أن صاحب التاج^(١٠٨) قال، وهو يذكر (الصاقور الفأس العظيمة التي لها رأس واحد دقيق تكسر به الحجارة، وهو المعول أيضاً وقال في موضع آخر، وهو يتحدث عن (السقار)^(١٠٩): قيل: «هو اللعان لغير المستحقين والصاد أكثر، سيممي بذلك؛ لأنه يضرب الناس بلسانه من (الصقر)، وهو ضربك الصخرة بالصاقور، وهو المعول»، وما ذكره صاحب التاج هو ما نقله صاحب الصحاح^(١١٠) عن عمرو بن العلاء والأصمعي، ويبدو أن (الصاقور) هو المأخوذ اشتقاقاً من الصقر، لا الصقر مأخوذ من الصاقور، وبذا كان لأبي حاتم فضل التقدم في ذكر المعنى الأصل، وإن كان مسبقاً بما ورد في (العين)

(١٠٥) المذكر والمؤنث: ١٦٦/ب .

(١٠٦) العين: ٧/٥ .

(١٠٧) ينظر: القاموس (سقر) و (صقر) .

(١٠٨) التاج (صقر): ٣/٣٣٩ .

(١٠٩) التاج (سقر): ٣/٢٧٢ .

(١١٠) الصحاح (صقر): ٢/٧١٥ .

واضحاً من غير لبس، فالصقر: شدو الوقع، والصاقورة: المطرقة^(١١١)، والمعاني كلها راجعة إلى الأوّل.

ج- وحين تحدّث أبو حاتم عن تأنيث (الأرض) عرج على ما تخرج إليه من معانٍ، وهي: أرض الدّابة، وهو ما يلي حوافرها من الأرض، وضرب من الزّكام يصيب منه الإنسان دُوارً، ومصدر الأرض، أي الذي أكلته الأرضة^(١١٢).

وقد وردت هذه المعاني في (العين)^(١١٣) و (الصّحاح)^(١١٤)، ولكن باختلاف:

د- فالأرض عند الخليل والجوهري تأتي بمعنى الرعدة، وتأتي بمعنى الزّكام، فهما معنيان، وعند أبي حاتم هو الزّكام الذي يصيب الإنسان منه دُوار، وهو معنى واحد، وثمة تفاوت مهمّ بين المعنيين.

ه- استشهاد الجوهري على المعنى الأوّل، وهو النّقضة والرّعدة، بقول ابن عبّاس: «أزلزلت الأرض أم بي أرض»^(١١٥)، واستشهد به أبو حاتم على الدُّوار الناتج عن الزّكام، ولعلّ استشهاد أبي حاتم قد جاء في موضعه.

(١١١) العين: ٥ / ٦٠ .

(١١٢) المذكر والمؤنث: ١٧٧ / أ، ب .

(١١٣) المذكر والمؤنث ٥٦ / ٧ .

(١١٤) الصّحاح (أرض): ٣ / ١٠٦٤، وقال أيضاً قوائم الدّابة، ولم يقل: (من الأرض) كما قال أبو حاتم، وهو ما ذكره صاحب التاج (أرض): ٥ / ٤، وفي العين أنّه حافر .

(١١٥) غريب الحديث لابن الجوزي: ١ / ١٩، وفيه: أي: رعدة .

من مسائل التصريف

وردت في كتاب (المذكر والمؤنث) مسائل تصريفية عن بعض ما استطرد إليه أبو حاتم من فوائد نافعة آثرت ذكر عدد منها لاستكمال ملامح الصورة العلمية للرجل في كتابه:

١. ذهب إلى أن زنة (مُفْعِل) للإناث تدلّ على أنّ الفعل خاصّ بها لا شركة للمذكر فيه، نحو (مُتَيْم) لمن كانت ذات توأمين أو أكثر، ومثله: مُذَكِّر، ومذكّار، ومُؤنّث، ومثناة، إذا كانت أمّ ذكر أو أنثى، أو كان من عاداتها أن تلد الذكور أو تلد الإناث^(١١٦).

٢. أورد زنة (فَعِيل) جمعاً، فقد ذكر أنّ من جموع (مِعْزَى)، وهو اسم جنس جمعيّ (مِعْزَاً)^(١١٧).



(١١٦) المذكر والمؤنث: ١١٨-١١٩. وقد أشار الفراء في (المذكر والمؤنث: ٦٥) إلى صيغة

(مُفْعِل) بالتاء؛ لأنه وصف خاص بالإناث. وعليه سائر الباب.

(١١٧) المذكر والمؤنث: ١٦٥ / أ.

التشبيه المجازي

د. سمير أحمد معلوف (*)

مقدمة أصولية

بنى دارسو اللغة العربية القدامى عملهم على أن اللغة بنیان متكامل، يُحمل بعضه على بعض، ولذلك حملوا المفرد على المركب كما حملوا المركب على المفرد، وانتبهوا إلى أن التركيب العربي قائم في الأصل على بنية فكرية لا يمكن فصل أجزائها، فالعربي حين يصوغ كلامه إنما يفعل ذلك مستنداً إلى هذه البنية، ولا يصوغ هذا الكلام من غير أن يعود إليها، فاللغة قائمة على ما يمكن تسميته (فلسفة تفكير)، وليست مجرد رصف كلمات بعضها إلى جانب بعض، وإلا تحول الكلام إلى مجرد معرفة بالكلمات، ونجد مصداق ذلك فيما سماه ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) غلبة الفروع على الأصول، ووجد أن العربي يُغلب أحياناً الفروع على الأصول، وساق على ذلك دليلاً من التشبيه المقلوب، حيث رأى أن الأصل أن يُشبه الشيء بشيء تكون فيه الصفة المطلوبة أكثر وضوحاً، وحين ينعكس الأمر يصبح من غلبة الفرع على الأصل كما جاء في قول ذي الرمة:

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَذَارَى قَطَعْتُهُ إِذَا أَلْبَسْتُهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ^(١)

(*) عضو الهيئة التدريسية في جامعة البعث بحمص.

(١) ديوان ذي الرمة، ص: ١٤٨.

فجعل ذو الرمة الأصل (الرملي) فرعاً، وذلك حين شبهه بأوراك العذارى. وهذه الصيغة الدلالية يمكن على رأي ابن جني أن تكون دليلاً على طبيعة تعامل العربي مع اللغة، من حيث حمل الأصول على الفروع، فحُملت صيغة (الحسن الوَجْهِ) على صيغة (الضَّارِبِ الرَّجْلِ) كما حُملت صيغة (الضَّارِبِ الرَّجْلِ) على (الحسن الوجه) (٢).

وقد دفعتهم نظرهم إلى اللغة وفق هذه الوجهة إلى أن يبحثوا عن قضايا في التركيب اللغوي بعيدة عن الصورة الظاهرية للتركيب، فبحثوا فيما نسميه جمال التركيب، ونشأت لديهم تصورات لهذا الجمال تقوم على فكرة المواضع، ولذلك قسم سيبويه التركيب قسمين أساسيين يقومان على علاقة القاعدة بالدلالة، وهما قسماً (الحسن والقبیح)، أما ماله صلة بالقاعدة فسماه تسمية أخرى تتصل بالاستقامة، فكانت تقسيماته تجمع بين القاعدة والدلالة، فالكلام حين يكون مستقيماً فهو متسق مع القاعدة اللغوية، وحين يكون حسناً فهو متسق مع صحة الدلالة ووضوحها، أما حين تختلُّ الدلالة فإن الكلام يغدو قبيحاً بسبب وضع الكلام في غير مواضعه، وحين يخرج الكلام على القاعدة يتحول إلى مُحال (٣). فكانت نظرهم إلى التركيب اللغوي تجمع بين صحة التركيب وصحة الدلالة ووضوحها، وهو أمرٌ سيفضي- بهم إلى تأكيد فكرة أن الكلام موجهٌ إلى متلقٍ، ومن شروط هذا الكلام أن يكون ذا فائدة، وينقل إلى المتلقي معنى ما، وإلا كان الكلام عبثاً.

(٢) الخصائص، ج ١، ص: ٣٣.

(٣) كتاب سيبويه، ج ١، ص: ٢٥-٢٦.

وقد تصوّر هؤلاء الدارسون، وهم يعتقدون أن وراء الصيغة اللغوية بنية فكرية أن هناك كليات عامة لا بد من الأخذ بها حين النظر إلى اللغة، ومن أولى هذه الكليات البحث عن الأصول العامة التي ينطلق منها المتكلم، وهذه الأصول ليست إلا جزءاً من البنية الفكرية التي يعتمد عليها، فجعلوا لكل شيء أصلاً يعود إليه، وفعراً يقوم على هذا الأصل، ومن أوضح الأصول التي حددها ما أورده سيبويه في مفتتح كتابه، حين تحدث عن (العربية)، وبين أن هذا المصطلح أوسع من مفهوم اللغة الذي حدده فيما يعد ابن جني بقوله: (اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)^(٤)، فالعربية مجموعة من الأصول يقوم عليها الكلام العربي، ولا يصحُّ كلام من غير الأخذ بها، ومن أهم عناصرها أنواع الكلم في اللغة، والإعراب والبناء، والحذف والتعويض، والإسناد، وغير ذلك مما يدخل في أصول الكلام. وجعل سيبويه للكلام أصولاً بناها على قواعد العربية، ووضع في كل باب من أبواب كتابه ما يتعلق بهذه الأصول^(٥).

وقد كانت فكرة الأصل مدار عمل اللغويين، فحددوا ما أرادوه به، ورأوا أن الأصل: (تارة يُطلق ويراد به الغالب، وتارة يُراد به الدليل)^(٦). وطبقوا هذا الكلام على المجاز (فقولهم: المجاز خلاف الأصل؛ إما بخلاف الغالب، والخلاف في ذلك

(٤) الخصائص، ج ١، ص: ٣٣.

(٥) راجع في هذه المسائل، منهجية الدرس النحوي، د. سمير معلوف، مجلة مجمع اللغة العربية

بدمشق، المجلد ٨١، الجزء ٢، ص: ٢٧٩.

(٦) المزهر، السيوطي، ج ١، ص: ٣٦١.

مع ابن جنّي، حيث ادّعى أن المجاز غالب على اللغات، أو بالمعنى الثاني، والفرص أن الأصل الحقيقة، والمجاز خلاف الأصل؛ فإذا دار اللفظ بين احتمال المجاز واحتمال الحقيقة فاحتمال الحقيقة أرجح^(٧). وجعلوا الحقيقة دالة على أصل الوضع، أما المجاز فعلى خلاف هذا الأصل، و(الوضع عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء، بحيث إذا أُطلق الأول فهم منه الثاني)^(٨).

نشأت البلاغة العربية ضمن هذه الرؤية العامة للغة، واشتغل بها علماءؤها مثل: سيويه، والمبرد وثلعب، وابن قتيبة، وابن فارس، وعبد القاهر الجرجاني، والزنجشيري، وكان لاشتغال هؤلاء العلماء اللغويين الأفاضل بالبلاغة أثره في ربط البلاغة بالمعايير والأصول التي توصل إليها اللغويون، وهذا ما أنتج مجموعة من القواعد البلاغية الأصولية التي حاولت أن تحذو حذو قواعد اللغة الأصولية في تحليلها للظاهرة الجمالية البلاغية. بيد أن تياراً آخر دخل إلى موضوع البلاغة، وقد اصطنعه مجموعة من الأدباء على رأسهم الجاحظ (- ٢٥٥ هـ)، وهو التيار الأدبي التدوقي الذي اعتدّ بالبلاغة على أنها (فن القول) وراح يستنبط معايير تدوقية للكلام العربي، فصار العمل في البلاغة بين يدي الأدباء الذين يتدقون الكلام، ويشيرون إلى مواضع الجمال فيه. اهتم الجاحظ بموضوع (البلاغة)، وحاول تفسير هذه الظاهرة، بأن نقل إلينا تعريفات عديدة لها في كتابه البيان والتبيين^(٩). وجاءت هذه التعريفات

(٧) المزهر، السيوطي، ج ١، ص: ٣٦١.

(٨) المرجع السابق نفسه، ج ١، ص: ٣٨.

(٩) البيان والتبيين، ج ١، ص: ٨٨.

لتضع بين يدي القارئ رؤية أقوام غير العرب للبلاغة من أجل أن تفيده في اكتشاف البلاغة العربية، ومواضع وجودها والحكم عليها. ولعل آراءه التي أوردها في تحليل بعض الشعر توضح لنا أنه كان يريد أن يتجه بالبحث البلاغي صوب التذوق، ولذلك اتجه إلى الأدباء ليطلب عندهم علم الشعر، ولم يعتد بما يقوله اللغويون عنه لأنهم ذوو نظرات ضيقة تتعلق بطبيعة علمهم، قال في ذلك: (طلبت علم الشعر عند الأصمعي، فوجدته لا يُحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش، فوجدته لا يُتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلّق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب: كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات)^(١٠).

واتجه الجاحظ إلى الصورة الفنية فأشار إلى بعض عناصرها، وحلل باختصار الاستعارة التي وردت في بعض الشعر، فقال: (تبكي على عراصها عيناها، عيناها هاهنا للسحاب. وجعل المطر بكاءً من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه)^(١١).

وتابع الجاحظ على هذا المنوال أدباء كثير منهم ابن المعتز وغيره. وقد تبادل هذان التياران التأثير والتأثير، فأخذ كل تيار من الآخر وأضاف إليه، ولعل عبد القاهر الجرجاني يُعدُّ أوضح مثالٍ على تأثر اللغويين بالتيار التذوقي، فقد جمع في كتابيه (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) بين النظرة اللغوية للبلاغة والنظرة التذوقية.

(١٠) العمدة، ابن رشيق، ج ٢، ص: ١٠٥.

(١١) البيان والتبيين، الجاحظ، ج ٣، ص: ١٥٣.

ويبدو أن مسألة التشبيه المجازي كانت جزءاً من مشكلة القاعدة والذوق في البلاغة العربية، فقد اعتمد البلاغيون في دراستهم لهذا النوع من التشبيه على أصول أقاموا عليها معايير نظرتهم إلى التشبيه والاستعارة، ومعرفة هذه الأصول توضح طريقة نظرتهم إلى الموضوع الذي نحن بصدد بحثه، ذلك أن العلاقة بين التشبيه والاستعارة مسألة تُعدُّ من أصول البلاغة، وقد أثارَت نقاشاً واسعاً واختلافات تدلُّ على توجُّهات متعدِّدة في فهم دلالات العبارات العربية، وتوجيه الصورة الفنية. فإذا أخذنا تعريف الرماني (ت ٣٨٦ هـ) نجد أنه قال: (التشبيه هو العَدُّ على أن أحد الشَّيئين يسدُّ مسدَّ الآخر في حسٍّ أو عقل)، وبهذا التعريف أثار مسألة سوف تكون أساس النظر إلى الاستعارة، وهي مسألة أداة التشبيه، فقد علَّق الرماني وجود التشبيه على وجود أدواته فقال: (ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس. فأما القول فتحو قولك: (زيدٌ شديد كالأسد. فالكاف عقدت المشبَّه بالمشبَّه به)^(١٢).

وقد ارتضى معظم المتأخرين من البلاغيين أن ينظروا إلى التشبيه على أنه (الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى)^(١٣)، وحددوا المراد بالتشبيه في علم البيان بأنه (ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد...)^(١٤). فهو ما كان تشبيهاً بلا خلاف، وهو الذي ذكرت أدواته، وما كان تشبيهاً على ما اختاره صاحب الإيضاح، وهو التشبيه الذي حُذفت أدواته، وكان اسم المشبه به خبراً أو في حكم الخبر، مثل: زيدٌ أسدٌ^(١٥).

(١٢) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: ٧٤.

(١٣) الإيضاح، القزويني، ص: ٣٢٨.

(١٤) نفسه.

(١٥) نفسه.

ومن الواضح أنهم أرادوا بهذه التحديدات أن يميّزوا بين التشبيه والاستعارة، وأن يجعلوا التشبيه جنساً مفرداً، وأن يفرّدوا الاستعارة بمفهوم خاصّ بها. ونلاحظ في هذا المقام أن ما حُذفت أدواته من التشبيه صار موضع خلاف بين البلاغيين من حيث نسبته إلى التشبيه أو نسبته إلى الاستعارة، ولذلك فإن ما حذفت أدواته صار لدى بعضهم استعارة^(١٦). والمشاركة التي أشار إليها البلاغيون في هذا المقام لا تعني التماثل في كل أمر، وإلا كان الأمران المتشاركين شيئاً واحداً، ولذلك فإن كل أمر منهما قائم بنفسه له خصوصيته، ويبقى كذلك ضمن تركيب التشبيه، فليس التشبيه على هذا الأساس إلا قياس شيء على آخر، لإيضاحه، وتقديمه إلى السامع بما يؤثر فيه.

ولما كان الأمر كذلك، فالتشبيه ليس قائماً وفق هذه النظرة على العدول، فالمشبه حقيقة، وكذلك المشبه به، بيد أن المسألة تأخذ وجهاً آخر حين نعود إلى الدارسين البلاغيين واللغويين الآخرين، فنلاحظ لديهم أمراً يستوقفنا، ويقع هذا الأمر في طريقة النظر إلى التشبيه من حيث دلالة التركيب اللغوي، والنفوذ إلى ما وراء الصيغة اللغوية التي يقوم عليها، إنها طريقة في استيحاء ما يمكن أن يكون وراء هذه الصيغة من عدول، يضيف إليها أطياً من المعنى.

وهذا ما نجده لدى بعض متذوّقي التشبيه من الدارسين الذين نظروا إلى صيغته اللغوية على أنها صيغة خاصة يعود صنعها إلى الخيال أكثر من الحقيقة، فرأوا أن التشبيه (إنما هو للقوة المخيِّلة، وهي التي تُركَّب أنواعاً من التراكيب، كرأس أسدٍ على ابن آدم وقوائم جملٍ على ثورٍ وجبل زُمُرْدٍ وبحرٍ زنبقٍ وأقمارٍ نشيرةٍ وشموسٍ كثيرةٍ

(١٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ص: ٧٢.

...إلى غير ذلك من التخيلات التي لا تُحصى كثرة؛ لأن الحواسَّ الباطنة المدركة للجزئيات إما أن تكون مُدرَكَةً فقط، أو تكون متصرِّفة^(١٧). وعلى هذا عرَّف بعضهم التشبيه بأنه: [القول المُخيَّل وجود شيء في شيء إما بأحد أدوات التشبيه الموضوعه له كالكاف وحرف كأن أو مثل. وإما على جهة التبديل والتنزيل، كقوله:

وليلٍ كموج البحرِ (البيت)

وقوله:

هو البحرُ من أيِّ التَّوَّاحي أتيته (البيت) [١٨].

فقيمة التشبيه ليست في طرفيه مفردين بل في التركيب الذي يجعل هذين الطرفين يكوّنان صورة تثير الخيَّلة، ومسألة التركيب في الصورة سوف تُثار أيضاً في الاستعارة. والتخييل في التشبيه جعل السجلماسي يُعرِّفه بأنه قول مخيَّل، فقال: (والتشبيه هو القولُ المُخيَّل وجود شيء في شيء إما بأحد أدوات التشبيه الموضوعه له كالكاف وحرف كأن أو مثل. وإما على جهة التبديل والتنزيل)^(١٩). وجعل حاصل الاستعارة المبالغة في التخييل والتشبيه مع الإيجاز غير المُخل بالمعنى والتوسُّع على المتكلم في العبارة^(٢٠).

(١٧) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، ابن أبيك الصفدي، ص: ٥٨.

(١٨) المنزِع البديع، السجلماسي، ص: ٢٢٠ - ٢٢١، يبدو أن صاحب المنزِع البديع قد حُصَّص كلام الرُّماني في رسالته: (النكت في إعجاز القرآن)، أو أنه اعتمد على نص آخر للرُّماني، والرمانى في النكت لا يشير إلى مجازية التشبيه، بل يسمي هذا النوع من التشبيه القائم على التأويل (تشبيه بلاغة)، أما النوع الآخر فيسميه تشبيه حقيقة، فقال: (تشبيه البلاغة كتشبيه أعمال الكفَّار بالسراب، وتشبيه الحقيقة نحو: هذا الدينار كهذا الدينار). انظر النكت في إعجاز القرآن للرُّماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: ٧٤ - ٧٥.

(١٩) المنزِع البديع، السجلماسي، ص: ٢٢٠.

(٢٠) المرجع السابق نفسه، ص: ٢٣٥.

وقد ميّز الرماني النحوي (ت ٣٨٦ هـ) في هذا المقام بين نوعين من التشبيه، وهذا التمييز يتيح لنا أن ندرس التركيب الذي يقع فيه التشبيه بطريقة تبحث عن العلاقة الدلالية للألفاظ داخل التركيب، وليس خارجه. فقد وجد الرماني أن التشبيه (تشبيهان؛ تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر، مثل قولك: ماء النيل كماء الفرات، وتشبيه العَرَضِ بالعرضِ كقولك: حُمْرَةُ الخدِّ كحُمْرَةِ الورد، وتشبيه الجسم بالجسم، كقولك: الزَّبْرُ جُدُّ مثل الزُّمْرُد. وتشبيه شيئين مختلفين بالذات يجمعهما معنى مشترك بينهما، كقولك: حاتمٌ كالغمام، وعنترَةٌ كالصُّرغام، والتشبيه المنفَقُ تشبيه حقيقة، والتشبيه المختلف تشبيه مجاز للمبالغة، وحدُّ التشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حُسن التأليف)^(٢١).

إن نظرة الرُّماني إلى التشبيه تختلف عن نظرة من تقدّم ذكرهم، لأن التشبيه لديه نوعان أحدهما تشبيه يماثل بين شيئين متفقين في الجوهر أو العرض، وهذا التشبيه لا يعدو أن يكون قياسَ شيء على آخر، أما النوع الثاني من التشبيه، فهو قائم على تشبيه شيئين مختلفين، ولذلك لا يمكن للسامع أن يدرك العلاقة بينهما من غير أن ينتقل من معاني العلاقة المباشرة التي ترسم في ذهنه بعد سماع التركيب إلى محاولة التقريب بين معنى كلٍّ منهما وما يؤول إليه، فهو انتقال من معنى إلى آخر، وهذا ما دفع الرُّماني إلى القول: (والتشبيه المختلف مجاز للمبالغة).

وما قاله الرُّماني كان - على ما يبدو - مرجع عبد القاهر الجرجاني في دراسته للتشبيه في كتابه (أسرار البلاغة). فقد تحدث الجرجاني أيضاً عن نوعين من التشبيه، الضرب الأول (يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأوّل والآخر: أن يكون الشبه

(٢١) الكشف والتنبه، ص: ١١٨.

محصلاً بضرب من التأوّل)^(٢٢). ومن يتأمل الأمثلة التي أوردها الجرجاني يعلم أن ما قاله ليس إلتياناً وتفصيلاً لما قاله الرّماني. قال الجرجاني: (فمثال الأول: تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، نحو أن يُشَبَّه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدّ بالورد، والشعر بالليل... ومثال الثاني: وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأوّل كقولك: حجة كالشمس في الظهور، وقد شبّهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها كما شبّهت فيها مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأوّل)^(٢٣). وإذا كان الجرجاني لم يعتدّ بمجازية التشبيه، ولم يأخذ بكلام الرّماني في هذا الشأن فإنّ حديثه عن التأوّل لا يتعدّد كثيراً عن كلام الرّماني، فالتشبيه في هذه الحالة نوع من البحث عن (معنى المعنى)، وهو مدار عمل الجرجاني في المجاز.

ونجد أثراً لكلام الرّماني والجرجاني في هذه المسألة عند بعض اللاحقين، فقد ذكر ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) في العمدة، ما يشير إلى هذا في قوله: (وأما كون التشبيه داخلاً تحت المجاز فلأنّ المشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقاربة والمساحة)^(٢٤).

وقد فرّق المتأخرون بين التشبيه بمعناه اللغوي والتشبيه بمعناه الاصطلاحي فعدوا التشبيه بمعناه اللغوي حقيقة، والتشبيه بمعناه الاصطلاحي مجازاً؛ لأن فيه

(٢٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص: ٧٠-٧١.

(٢٣) المرجع السابق نفسه، ص: ٧٢-٧٣.

(٢٤) العمدة، ابن رشيق، ص: ١ ص: ٢٦٨، وانظر ج ١، ص: ٢٢٦.

ادّعاء التشبيه أو اعتقاده مجازاً عند وصفه بذلك كقولك زيدٌ كعمروٍ وتسميته تشبيهاً مجازاً؛ لأنه نُقل إليه من اعتقاد التشبيه^(٢٥).

أما الاستعارة فقد مرّت دراستها بمراحل متعددة؛ وبدأ الحديث عنها منذ سيبويه الذي أتى بأمثلة لها في كتابه من غير أن يحدد لها مصطلحاً^(٢٦)، وكان الفراء (ت ٢٠٧ هـ) أول من تنبّه إلى علاقة الاستعارة بالتشبيه^(٢٧)، ولذلك أمثلة عديدة منها ما ذكره في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] حيث يقول: (بطريقٍ لهم يمرُّون عليها بأسفارهم. فجعل الطريق إماماً؛ لأنه يُؤمُّ ويُتبع)^(٢٨). ثم يأتي ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، الذي تكاد الاستعارة لديه تُطلق على كل أنواع المجاز^(٢٩).

وهذا ما ذهب إليه علماء أصول الفقه^(٣٠). وما يلفت الانتباه هنا أن ابن قتيبة جعل التشبيه المحذوف الأداة استعارةً، وعلى هذا أوّل قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرَثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٣٢٣] على أنه استعارة فقال: (أي مُزْدَرَعٌ لكم كما تُزْدَرَعُ الأرض)^(٣١).

وفي تعريفات الاستعارة ما ينبىء عن طبيعتها لدى علماء البلاغة، ويبين تعريف ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) طريقة فهمهم لها، فذكر أنها (استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف

(٢٥) حاشية السبكي على التلخيص، شروح التلخيص، ص: ٢٩٢.

(٢٦) أثر النحاة في البحث البلاغي، ص: ١٢١.

(٢٧) المرجع السابق نفسه، ص: ١٦٠.

(٢٨) معاني القرآن، الفراء، ج ١، ص: ٩١.

(٢٩) أثر النحاة في البحث البلاغي، ص: ١٨٥.

(٣٠) يُطلق الأصوليون الاستعارة على كل مجاز، حاشية المطول، حسن الجليبي، ص: ٥١٩.

(٣١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص: ١٤١.

بها إلى شيء قد عُرف بها^(٣٢). فنرى الاستعارة لديه تعني استعارة الكلمة، أي استعارة اللفظ، وأتى الرماني بعد ذلك بتعريفه الخاص للاستعارة الذي اعتمد فيه على فكرة النقل، فقال في تعريفها: (الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة)^(٣٣). وبينه التعريف على أمور تفيدها في معرفة طريقة هؤلاء الدارسين في النظر إلى الاستعارة، منها أن الاستعارة تتعلق بالعبارة، وأنها تستند إلى أصل متواضع عليه، وأن الاستعارة تقوم على مبدأ النقل. والمسألة الأولى في هذا التعريف هي تحديد مفهوم (العبارة)، فقد فسّرت كلمة العبارة لغوياً بأنها (الكلام العابر من لسان المتكلم إلى سماع السامع)^(٣٤). وهذا يدلُّ على أنها تعني الألفاظ المركّبة، لأن الكلام لا يدلُّ على اللفظ المفرد^(٣٥)، واصطُح على أن العبارة تعني الألفاظ الدالّة على المعاني؛ لأنها تُفسّر ما في الضمير الذي هو مستور^(٣٦). أما عند البلغاء فالعبارة (هي الألفاظ الفصيحة الدالّة على المعاني المركّبة بتركيب فصيح بليغ)^(٣٧). ففهم من هذه الإشارات أن العبارة حين تعني اللفظ المفرد فإنها تعني هذا اللفظ ضمن التركيب، وليس اللفظ المنفرد.

(٣٢) البيهقي، ابن المعتز، ص: ٢.

(٣٣) النكت في إعجاز القرآن، الرّماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: ٧٩.

(٣٤) تاج العروس للزبيدي، عبر.

(٣٥) قال ابن جني في الخصائص، (أما الكلام فكلُّ لفظ مستقلٌّ بنفسه، مفيدٍ لمعناه، وهو الذي

يسمّيه النحويون الجمل)، الخصائص، ج ١، ص: ١٧.

(٣٦) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ج ٢، ص: ١١٦١.

(٣٧) المرجع السابق نفسه.

ولذلك فإن الاستعارة - وإن كانت تقع في اللفظ - لكنها لا تكون استعارة من غير أن يكون اللفظ في تركيب استعاري، وهو تركيب له أركانه التي حددها الرماني بقوله: (وكل استعارة فلا بدَّ فيها من أشياء: مُستعارٌ ومستعارٌ له ومستعارٌ منه). فهذا يدلُّ على أنه لم ينظر إلى الاستعارة بمعزلٍ عن التركيب بل قرَّر أن الاستعارة لا تتمُّ إلا به. وهذه العناصر تتضافر لتُحقِّق الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي. وهو ما أكَّده الجرجاني في قوله: (وذلك لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون، لأنه لا يتصوَّر أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يُتَوَخَّ فيما بينها حكم من أحكام النحو)^(٣٨).

أما النقل فقد نظر الرماني إليه على أنه انتقال من أصل إلى فرع للبيان أي لإيضاح المعنى وتثبيته، والأصل في هذا المقام هو الحقيقة لأنه لا بد لكل استعارة من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، ويُفهم من هذا الكلام أن النقل ليس متعلِّقاً باللفظ بل هو متَّصلٌ بالمعنى ودلالة اللفظ، فالانتقال من الحقيقة إلى المجاز انتقال في الدلالة واستعمال للمعنى، إنه عدول عن معنى حقيقي إلى آخر مجازي؛ فالاستعارة ليست استعارة لفظية بل استعارة في المعنى، وهذا ما أشار إليه الجرجاني فرأى (أن ليست الاستعارة نقلَ اسم عن شيء إلى شيء، ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء)^(٣٩). ويلفت الانتباه هنا أن الرماني تحدث عن الفرق بين الاستعارة والتشبيه فأكد أن

(٣٨) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: ٣٩٣.

(٣٩) المرجع السابق نفسه، ص: ٤٣٤.

الفرق بينهما أن التشبيه الواقع بأداة التشبيه قائم على أصل الكلام أي على الحقيقة لم يُغَيَّر عنه في الاستعمال، أما الاستعارة فليست كذلك (لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة)^(٤٠)، وحين يجعل الرماني التشبيه قائماً على أصل الكلام يؤكد أنه التشبيه الواقع بأداة التشبيه. ويضيف إلى ذلك أن (كل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه)، ولكنَّ الفرق الواضح بين هذين الأمرين أن الجمع بين الشيئين بمعنى مشترك بينهما في الاستعارة يَحْدُثُ بنقل الكلمة، أي بتحوُّل دلالي من الحقيقة إلى المجاز أما في التشبيه فيتم ذلك بأداة التشبيه الدالة عليه في اللغة^(٤١).

وقد جعل البلاغيون التشبيه أصلاً للاستعارة، وحقق ذلك عبد القاهر الجرجاني، فأدخل هذه العلاقة في عملية الإبداع ذاتها، حيث رأى أن الاستعارة قائمة على تشبيه شيءٍ بآخر، وحصراً - الاستعارة في ضربين، ولكنها معاً قائمان على فكرة التشبيه. (فالاستعارة: أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه، وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجره عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسداً. وضربٌ آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله:

إِذْ أَصْبَحْتُ بِبَيْدِ الشَّهَالِ زِمَامِهَا

هذا الضرب، وإن كان الناس يضمُّه إلى الأول حيث يذكرون الاستعارة، فليسا

(٤٠) النكت في إعجاز القرآن، ص: ٧٩.

(٤١) المرجع السابق نفسه.

سواءً. وذلك أنك في الأول تجعل للشيء الشيء ليس به، وفي الثاني تجعل للشيء الشيء (٤٢). والضرب الثاني من الاستعارة لا يقوم على مفهوم النقل، ولا يمكن جعل هذا النوع من الاستعارة من صفة اللفظ؛ لأنه محال أن نقول: إنه استعار لفظ اليد للشمال. وإنما المعنى (على أنه أراد أن يُثبت للشمال في تصرفها الغداة على طبيعتها، شبه الإنسان قد أخذ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد) (٤٣). وهذا النوع من الاستعارة يدل تأويله على أنه مركب، وليس قائماً على الكلمة الواحدة، لأن طبيعة التأويل الذي ذكره الجرجاني تجعله صيغة مركبة لا مفردة.

إن هذه النظرات للتشبيه والاستعارة كانت أساس نظرة البلاغيين إلى التشبيه المجازي، وذلك لأن توجه الكثير منهم إلى مجازية التشبيه، وجعله من الكلام المخيل، ونظرتهم إلى الاستعارة على أنها تركيب استعاري، وليس مجرد نقل الاسم أو الكلمة إلى أمر آخر جعلهم ينظرون إلى التشبيه المجازي المبني على الإسناد والتركيب على أنه أقرب إلى الاستعارة منه إلى التشبيه.

مفهوم التشبيه المجازي

التشبيه المجازي جزء من التشبيه المؤكد محذوف الأداة، أو ما يسميه ابن الأثير التشبيه البليغ (٤٤) وهو الذي يأتي في حالة يكون الاسم فيها خبراً أو منتزلاً منزلته، فيكون خبر كان وخبر إن ومفعولاً ثانياً لباب علمت، وحالاً، وهذا الخبر مفردٌ نكرة، فيكون المشبه اسم عين أو اسم ذات والمشبه به اسم معنى أو اسم ذات. مثل: (زيدٌ

(٤٢) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: ٦٧.

(٤٣) المرجع السابق نفسه، ص: ٤٣٦.

(٤٤) جوهر الكثر، ابن الأثير، ص: ٦٠.

أسد)، أما ما كان الخبر فيه معرفة مثل: (زيدُ الأسد) فلا يدخل في هذه المسألة؛ لأنه لا خلاف في أنه تشبيه خالص. أما النوع الأول فقد وقع الخلاف في كونه تشبيهاً أو استعارة، وهذا النوع من التشبيه سيكون موضوع بحثنا. وقد جاءت تسمية هذا النوع تشبيهاً مجازياً موافقة لما قرره ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) في كتابه المثل السائر حيث سمى التشبيه المضمّر الأداة تشبيهاً مجازياً قاصداً بذلك أنه من مجاز الحذف، وليس من المجاز المعروف الذي يقوم على تغْيُر الدلالة^(٤٥). واعتمدنا هذه التسمية لما رأينا من دلالتها على المقصود بهذا النوع من التشبيه الذي يمتلك عناصره التي تميزه من غيره من أنواع التشبيه، ولأنه يوافق التشبيه الذي ذكره ابن الأثير في أنها محذوف الأداة.

أخذت صيغة التشبيه المجازي من أبحاث البلاغيين حيزاً كبيراً، وذلك ناتج عن مسألة العلاقة بين القاعدة والذوق. فمن البلاغيين من أراد تحكيم القاعدة في هذه المسألة، ومنهم من رأى أن الصيغة اللغوية تتحمّل من الدلالات ما هو أبعد من القاعدة ولا سيما حين تتصل هذه الصيغة بالخيال. أما أصول المسألة فترجع إلى النحاة الذين رأوا أن هذه الصيغة خاصّة تختلف عن صيغ الخبر المعروفة، وكان كلامهم عليها دافعاً إلى نظر البلاغيين فيها، ودراستها على نحو جمالي ودلاليّ في آن معاً.

وقف النحاة أمام الصيغة اللغوية التي جاء فيها الخبر حالة خاصّة، وقد جاء ذلك في صيغ مختلفة فقد جاء في بعضها المبتدأ اسم عين والخبر اسم معنى، ولزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هو^(٤٦) كقول الخنساء^(٤٧):

(٤٥) المثل السائر، ج ٢، ص: ١٢٤.

(٤٦) شرح الكافية في النحو، الرضي الأسترابادي، ج ١، ص: ٩٧.

(٤٧) ديوان الخنساء، ص: ٤٦.

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

فتوقف سيبويه عند عبارة الخنساء: (فإنما هي إقبال وإدبار)، وأول ذلك بقوله: (فجعلها الإقبال والإدبار، مجاز على سعة الكلام، كقولك: نهارك صائم، وليك قائم)^(٤٨). وقد اشتغل النحاة بهذا الشاهد، وذهبوا في تأويله مذاهب شتى^(٤٩). ولخص البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) أقاويل النحاة في هذه المسألة بأن الشاهد جاء (على أن اسم المعنى يصحُّ وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هي، هذا من قبيل: زيدٌ عدلٌ، وفيه ثلاث توجيهات: أحدها كونه مجازاً عقلياً بحمله على الظاهر، وهو جعل المعنى نفس العين مبالغة، والثاني: أن المصدر في تأويل اسم الفاعل في نحوه، وتأويل اسم المفعول في نحو: زيدٌ خلَقَ أي مخلوق. والثالث: أنه على تقدير مضافٍ محذوف أي ذات إقبال)^(٥٠). وواضح أن كلام سيبويه يدخل في حمل العبارة على أنها من المجاز العقلي.

ونعتقد أن تنبه سيبويه إلى مجازية التركيب قد فتح الباب أمام الدارسين لتأويل ما شابهها من الصيغ تأويلاً مجازياً. وهذا ما ذهب إليه ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، الذي فضّل أن تكون العبارة على المبالغة بجعل الإقبال والإدبار إياها^(٥١). وكان هذا مذهب عبد القاهر الجرجاني الذي لم يرتض أن تكون العبارة استعارة^(٥٢)، وهذا يعني

(٤٨) كتاب سيبويه، ج ١، ص: ٣٣٧.

(٤٩) الكامل، المبرد، ج ١، ص: ٣٦٤، وانظر شرح السيرافي للكتاب، ج ١، ص: ٢٢٧.

(٥٠) خزانة الأدب، البغدادي، ج ١، ص: ٤٣١.

(٥١) المحتسب، ج ٢، ص: ٤٣.

(٥٢) ذهب ابن مالك في شرح الكافية إلى أن الخبر في هذا التركيب استعارة إذا لم نقدر أداة التشبيه.

أنها ليست من التشبيه في شيء، وجاء كلامه ردًا على من جعلها استعارة، لأن في الاستعارة تشبيهاً ضمناً كما يقال، وهنا لا مجال لجعل هذه الصيغة من التشبيه، ولذلك حملها على المجاز الحكمي أو مجاز الإسناد^(٥٣). فقال: (وذاك أنها لم تُرد بالإقبال والإدبار غير معنهما، فتكون قد تجوّزت في نفس الكلمة، وإنما تجوّزت في أن جعلتها لكثرة ما تُقبل وتُدبر، ولغلبة ذاك عليها، وأنه لم يكن لها حالٌ غيرُهُما كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار، وإنما يكون الإقبال والإدبار في نفس الكلمة، لو أنها قد استعارت الإقبال والإدبار لمعنى غير معنهما الذي وُضعا له في اللغة. ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء)^(٥٤).

وهذا يدلُّ على أن هذه الصيغة قد اتجه بها الدارسون في طريقتين، وأنها حُمّلت في وجه ضعيف على الاستعارة، وكان حملها على المجاز الحكمي من قبيل البحث عن الاتساق مع قاعدة الاستعارة، ومفهومها لديهم، وجاء كلام الجرجاني تعبيراً عن نظرهم إلى الاستعارة، مستنداً إلى دلالة التركيب ومقصده في تقوية حكمه.

ويبدو أن سيويوه حين أوّل دلالة التركيب تأويلاً مجازياً كان على دراية أن مثل هذا التركيب لا يُمكن حمله على الحقيقة، وقد فتح الباب بعمله هذا للنظر في هذه الصيغة على أنها صيغة خاصّة يجدر بالباحث في دلالتها أن يتعمّق هذه الدلالة، وأن يحاول توجيهها.

وهذا ما كان من أمر اللغويين والنحاة والبلاغيين الذين جاؤوا بعد سيويوه، وهم: ابن قتيبة، وثعلب والقاضي الجرجاني، والرماني، وعبد القاهر الجرجاني الذين

(٥٣) حاشية السبكي على التلخيص، شروح التلخيص، ج ٣، ص: ٢٩٩.

(٥٤) دلائل الإعجاز، ص: ٣٠٠ - ٣٠١.

سنذكر آراءهم، ونضيف إليها ما يتعلق بها من أقوال الدارسين الآخرين لإيضاحها أو التعليق عليها، فقد ذهب من جاء بعد سيبويه في تأويل دلالة مثل هذه الصيغة مذاهب شتى.

ابن قتيبة: (ت ٢٧٦ هـ) ذهب ابن قتيبة بهذه الصيغة في اتجاه الاستعارة في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، وذلك حين أول قوله تعالى: ﴿فَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، فجعل هاتين الآيتين من باب الاستعارة^(٥٥)، وهما عند الدارسين من باب التشبيه البليغ؛ لأنها تشتملان على المشبه والمشبه به المذكورين، ولا نستطيع أن نقول: إن ابن قتيبة قد التبس عليه الأمر بين الفين، أو إنه خلط بينهما بسبب عدم وضوح كلٍّ منهما في عصره، لأن مسألة جعل التشبيه الذي يأتي خبر المبتدأ فيه نكرة من الاستعارة كانت آراء مجموعة من الدارسين.

وقد وجّه الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) قوله تعالى: ﴿فَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ﴾ على أنه مجاز، فقال: ﴿حَرَّتْ لَكُمْ﴾ مواضع الحرث لكم، وهذا مجاز، شَبَّهَنَ بالمحارث تشبيهاً لما يُلْقَى في رِحَامِهِنَّ من النَّطْفِ التي منها النَّسْلُ بالبذور^(٥٦). فقوله: (مجاز) صريح في أنه استعارة، وقوله: (شبههن بالمحارث) لا يمنع ذلك؛ فإن في كل استعارة تشبيهاً معنوياً^(٥٧).

ولكنَّ الزمخشري يحمل صيغةً مماثلة في آية أخرى على غير هذا التوجُّه، فجعل

(٥٥) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص: ١٤١.

(٥٦) الكشف، الزمخشري، ج ١، ص: ٤٣٤.

(٥٧) حاشية السبكي على التلخيص، شرواح التلخيص، ج ٣، ص: ٣٠٠.

الصيغة من التشبيه، ونسب ذلك إلى المحققين، ويبيّن سبب هذا الاختيار. ففي تفسيره الآية الكريمة من سورة البقرة ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ﴾ [البقرة: ١٨] يتساءل قائلاً: (هل يُسَمَّى ما في الآية استعارة؟)، ويُجيب بقوله: (مختلفٌ فيه. والمحققون على تسميته تشبيهاً لا استعارة: لأن المُستعار له مذكور، وهم المنافقون، والاستعارة إنما تُطلق حيث يطوى ذكر المُستعار له، ويُجعل الكلام خلوّاً عنه صالحاً لأن يُراد به المنقول عنه والمنقول إليه، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام.. ومن ثمّ ترى المفلقين السّحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحاً.. وليس لقائل أن يقول: طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأنساق إلى تسميته استعارة؛ لأنه في حكم المنطوق به)^(٥٨). لقد قيّد الزمخشري بكلامه هذا الاستعارة بقيود تستحق النظر، وأول قيد لها أنها تُطلق حيث يطوى ذكر المُستعار له، بمعنى أن الاستعارة لا يمكن أن تكون إذا ذُكر طرفا التشبيه، وذلك لأنها قائمة على تناسي التشبيه، وهذا ما أكده بقوله: (ومن ثمّ ترى المفلقين السحرة منهم يتناسون التشبيه، ويضربون عن توهمه صفحاً، والقيد الثاني، أن التركيب الاستعاري قد يُحمل على الحقيقة والمجاز لولا القرينة المانعة لحمله على الحقيقة).

أما القيد الأول، وهو تناسي التشبيه فقد أدى بهم إلى تأويلات بعيدة لِنفي أي ظهور للتشبيه في التركيب الاستعاري، ففي هذه الآية الكريمة نجد تأويلاً جميلاً يدلُّ على مدى تعمّقتهم في دلالات التركيب اللغوي، وقد أتى بهذا التأويل السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، فرأى أنه لا شك أن التقدير في الآية (هُم صُمُّ) (لكن مع

(٥٨) الكشاف، الزمخشري، ج ١، ص: ١٩٦ - ١٩٧.

ذلك ليس المستعار له مذكوراً ههنا لأنه أحوال مشاعر المنافقين وحواسهم لا ذواتهم .. ففي هذه الصفات استعارة تبعية مُصَرَّحٌ بها، فلا ينبغي أن يختلف فيها؛ لأنه استعير مصادرها لتلك الأحوال، ثم اشتقت هي منها.. أو بأن قوله: (هُم صُمَّ) في قوة قولنا: حال أسماعهم صمم مثلاً، وهو بمحل مستغنى عنه، فإن قولك: (لقيت صُمَّاً) استعارة قطعاً مع أن تقديره أشخاصاً صمّاً، وهو في قوة الحمل. وغاية ما يُتكلّف له أن يُقال: تشبيه ذوات المنافقين بذوات الأشخاص الصم متفرع على تشبيه حالهم بالصمم، فكان القصد إلى إثبات هذه الفروع أقوى وأبلغ، كأن المشابهة بين الحالين تعدّت إلى الذاتين^(٥٩). وقد وصف الألويسي (ت ١٢٧٠ هـ) في روح المعاني هذا التأويل بأنه (ليس من البعيد جداً)^(٦٠). والملاحظ أن هذا التأويل محاولة للخروج من مشكلة ذكر طرفي التشبيه في العبارة، لأن ذكرهما ينفي الاستعارة، ولذلك لا بد من تأويل الكلام لنفي وجود الطرفين.

أما القيد الثاني، وهو إمكان حمل الاستعارة على الحقيقة لولا القرينة، فقد أثار نقاشاً حوله، وقد بينَّ البهاء السبكي أن قولهم: إن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه لا حاصل له، (لأننا نقول: ليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصفه إلى الحقيقة في الظاهر، بل لو عكس ذلك، وقيل، لا بد من عدم صلاحيته لكان أقرب؛ لأن الاستعارة مجاز، لا بد له من قرينة، وإن لم تكن قرينة امتنع صفه إلى الاستعارة، وصرناه إلى حقيقته، وإنما نصرناه إلى الاستعارة بقرينة، غير أن تلك القرينة تارة تكون معنوية حالية، مثل:

(٥٩) حاشية السيد الشريف على الكشاف، الكشاف، الزمخشري، ج ١، ص: ٢٠٧.

(٦٠) روح المعاني، الألويسي، ج ١، ص: ١٦٩.

رأيت أسداً، وتارة تكون لفظية، مثل (زيدٌ) مخبراً عنه بالأسد، فإنه قريبة تصرف الأسد عن إرادة حقيقته^(٦١).

وتابع أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) الزمخشري على ما قاله في هذه الآية الكريمة، وحملها - على قول المحققين - على التشبيه البليغ، وليس الاستعارة، وعلل ذلك بأن المستعار له مذكور، وهم المنافقون، والاستعارة تُطلق حيث يطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خلوّاً عنه صالحاً لأن يُراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام^(٦٢).

ثعلب: (ت ٢٩١ هـ) تابع ثعلب توجه ابن قتيبة، فأتى بشاهد من التشبيه وسلكه في الاستعارة، فأورد قول أعرابي:

وداهية جرّه جارمٌ جعلت رداءك فيها خمارا

ثم قال: (يقول: قنعت بسيفك رؤوس أبطالها)^(٦٣). وقد أراد الشاعر بالرداء السيف، ثم شبهه بالخمار، ويلاحظ في هذا الشاهد أن طرفي التشبيه مذكوران.

ثم جاء القاضي الجرجاني (ت ٣٦٦ هـ)، الذي نقل عن بعض أهل الأدب أنهم يوجهون هذه الصيغة نحو الاستعارة، وعدوا قول أبي نواس:

والحُبُّ ظَهْرٌ أَنْتَ رَاكِبُهُ فإذا صرّفت عنائه انصرفت

من الاستعارة، ورأى أن هذا القول من التشبيه أو المثل، وفاء في ذلك إلى القاعدة

(٦١) حاشية السبكي على التلخيص، شروح التلخيص، ج ١، ص: ٢٩٩.

(٦٢) البحر المحيط، ج ١، ص: ٢١٦.

(٦٣) قواعد الشعر، ثعلب، ص: ٥٦.

التي تقول: (الاستعارة ما اُكتفي فيها بالاسم المُستعار عن الأصل، وتُقلت العبارة فجُعلت في مكان غيرها)^(٦٤). ويصل الأمر إلى الرّماني الذي أعطى هذه المسألة وضعها النظري، وذلك حين يبيّن الفرق بين التشبيه والاستعارة، ورأى أن الاستعارة البليغة جمعٌ (بين شيئين في معنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه بنقل الكلمة، والتشبيه بأداته الدالة عليه في اللغة)^(٦٥). فجعل ما يسمى التشبيه البليغ، وهو الذي حُذفت أداته ووجه الشبه منه استعارة.

ومن البيّن أن هناك اتجاهات في موضوع الصيغة، ولم يستقرّ الأمر على حال، فمن كان في ذهنه القاعدة لا يتخلى عنها آلت المسألة لديه إلى التشبيه، ومن نظر أبعد من القاعدة اتجه بها إلى الاستعارة. وبقيت هذه المسألة مُثارة بعد ذلك، فردّ ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) ما أتى به الرماني، فرأى أن الفرق بين التشبيه والاستعارة لا يقع بأداة التشبيه فقط، (لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعية له، ويكون حسناً مختاراً، ولا يعده أحد في جملة الاستعارة لخلوه من آلة التشبيه، ومن هذا قول الشاعر:

سَفَرْنَ بُدُوراً وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً وَمَسَنَّ عُصُوناً وَالتَّقَتْنَ جَاذِراً^(٦٦)

عبد القاهر الجرجاني: أخذ الجرجاني كلام القاضي الجرجاني في الوساطة وبنى عليه نظرتَه إلى صيغة التشبيه البليغ، فذكر أن ما يقتضيه القياس وعليه يدل كلام القاضي في الوساطة أن لا تُطلق الاستعارة على نحو قولنا: (زيدٌ أسدٌ وهندٌ بدرٌ)،

(٦٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص: ٤٥.

(٦٥) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: ٧٩.

(٦٦) سر الفصاحة، الخفاجي، ص: ١٢٢.

ولكن تقول هو تشبيهه^(٦٧). والقياس في هذا الموضع ليس إلا القاعدة التي تقوم عليها فكرة الاستعارة، وقد علل الجرجاني عدم إطلاق الاستعارة على هذا النوع من العبارات بأن فرّق بين التشبيه والاستعارة بما يتلاءم ونظرة القوم إلى هذه المسألة، فالاستعارة تقوم - كما يرى - على أن تعزل الاسم الأصلي وتطرحه وتجعله كأن ليس باسم له، وتجعل الاسم الثاني هو الواقع عليه والمتناول له، فصار بذلك القصد إلى التشبيه مطوّباً في النفس مكنوناً في الضمير، وصار في ظاهر الحال وصورة الكلام وقضيته، كأنه الاسم في اللغة، وتصور أن تعلقه الوهم كذلك. وليس الأمر كذلك في التشبيه البليغ؛ لأنك صرّحت فيه بالمشبه وذكرك له صريحاً يأبى أن تتوهم كونه من جنس المشبه به^(٦٨). وحلل هذا الكلام بالأمثلة، فقال: (وإذا سمع السامع قولك: زيدٌ أسدٌ، وهذا الرجل سيفٌ صارمٌ على الأعداء، استحال أن يظنّ أنك قصدت أسدًا وسيفًا، وأكثر ما يمكن أن يدعي تحيّل في هذا أن يقع في نفسه من قولك: زيدٌ أسدٌ، حال الأسد في جرائته وإقدامه وبطشه، فأما أن يقع في وهمه أنه رجلٌ وأسدٌ معاً بالصورة والشخص فمحال)^(٦٩). وعدم دخول المشبه في جنس المشبه به يلغي القاعدة التي بنيت على أن الاستعارة تقوم على دخول المشبه في جنس المشبه به، وجعله فرداً من أفرادهِ. ويُحاكم الجرجاني هذه القضية محاكمة عقلية خالصة، وهو يحاول أن يُقنع قارئه بأن هذه الصيغة لا يمكن أن تكون استعارة بل هي تشبيه بليغ، ومن يقرأ هذا الكلام الذي أتى به الجرجاني يشعر أنه لا يحاول إقناع قارئه بقدر ما

(٦٧) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص: ٢٧٩.

(٦٨) المرجع السابق نفسه، ص: ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٦٩) المرجع السابق نفسه، ص: ٢٨٠.

يحاول إقناع نفسه بهذه المسألة، ويحتج لفكرته بأنه لما كانت الحالة التي يُختلف في الاسم إذا وقع فيها أيسمى استعارة أم لا يسمى؟ هي الحالة التي يكون الاسم فيها خبر مبتدأ أو متنزلاً منزله، (والاسم إذا وقع في هذه المواضع فأنت واضع كلامك لإثبات معناه، وإن أدخلت النفي على كلامك تعلق النفي بمعناه..

وإذا كان الأمر كذلك فأنت إذا قلت: زيدٌ أسدٌ، ورأيت أسداً فقد جعلت اسم المشبه به خبراً عن المشبه. والاسم إذا كان خبراً عن الشيء كان لإثبات وصف هو مشتقٌ منه لذلك الشيء كالانطلاق في قولك: زيدٌ منطلقٌ أو إثبات جنسية هو موضوع لها كقولك: هذا رجلٌ. فإن امتنع في قولنا زيدٌ أسدٌ أن تُثبت شبه الجنسية لزيدٍ على الحقيقة كان للإثبات شبه من الجنس له، وإذا كنا إنما نُثبت شبه الجنس، فقد اجتلبنا الاسم لِنُحدثَ به التشبيه الآن ونُقرّره، ونُدخله في حيز الحصول والثبوت، وإذا كان كذلك كان خليقاً بأن نسميه تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليفيده ويوجهه^(٧٠).

ويبدأ الجرجاني بالتراجع عن هذه النتيجة التي أوردتها، فيترك الخيار للقارئ بأن يسمى بعض هذه الصيغ استعارة، فيرى أن إطلاق الاستعارة (لا يجوز في كل موضع يحسن دخول حرف التشبيه عليه بسهولة، وذلك نحو قولك: هو الأسد، وهو شمس النهار)^(٧١). ويعني بذلك مجيء الخبر معرفة لانكرة، ثم إذا به يعذر من أطلق الاستعارة على أمثلة جاء فيها الخبر نكرة مثل: (هو بحرٌ، وهو ليثٌ، ووجدته بحراً)، وذلك (أن الاسم قد خرج بالتنكير عن أن يحسن دخول حرف التشبيه عليه، فلو

(٧٠) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص: ٢٨٣.

(٧١) المرجع السابق نفسه، ص: ٢٨٥.

قلت: هو كأسد، وهو كبحر، كان كلاماً نازلاً غير مقبول كما يكون هو كالأسد^(٧٢). ويستدرك على هذا الكلام لأنه أدرك أن الكاف لا تحسن في بعض المواضع، فوجه بإدخال (كأن)، ثم استدرك بأن مكان الكاف وكأن قد يغمض في بعض المواضع (بأن يوصف الاسم الذي فيه التشبيه بصفة لا تكون في ذلك الجنس، وأمر خاص غريب، فقيل: هو بحرٌ من البلاغة.. فهو أقرب إلى أن تُسميه استعارة؛ لأنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه؛ إذ لا تصل إلى الكاف حتى تُبطل بنية الكلام وتُبدل صورته^(٧٣). ويلجأ الجرجاني لتعليل قبوله بأن يكون التركيب استعارة في بعض المواضع إلى نظريته في النظم، فيحلل الكلام بالنظر إلى سياق المقال، وهكذا رأى أنه يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو والصلات التي توصل بها ما يختلُّ به تقدير التشبيه، فيقرب حينئذ من قبيل ما يُطلق عليه استعارة. مثل قول الشاعر^(٧٤):

أَسْدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبِرِ خَضَابُهُ مَوْتُ فَرِيضِ الْمَوْتِ مِنْهُ تَرَعْدُ

وذلك أنه (لا سبيل لك إلى أن تقول: هو كالأسد، وهو كالموت لما يكون في ذلك من التناقض؛ لأنك إذا قلت: هو كالأسد، فقد شبهته بجنس السبع المعروف، ومحال أن تجعله محمولاً في الشبه على هذا الجنس أولاً ثم تجعل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده؛ لأن حملك له عليه في الشبه دليل على أنه دونه، وقولك بعد (دم الأسد الهزبر خضابه) دليل على أنه فوقها. وكذلك محال أن تُشبهه بالموت

(٧٢) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص: ٢٨٥.

(٧٣) المرجع السابق نفسه، ص: ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٧٤) البيت للمتنبي، انظر ديوان المتنبي بشرح العكبري، ج ١، ص: ٣٣٨.

المعروف ثم تجعله يخافه، وترتعد منه أكتافه^(٧٥). فتدرّج كلام الجرجاني من الدفاع عن جعل هذه التراكيب تشبيهاً إلى القبول بها على وجه الاستعارة، وبذلك يكون قد انتقل من القاعدة إلى الذوق، والبحث عن الدلالة الكامنة وراء التركيب.

التشبيه المجازي عند المتأخرين

لم ينجح المتأخرون من الاضطراب الذي وقع فيه من سبقهم في هذه المسألة، فقد ذهبوا فيها مذاهب كما فعل متقدموهم، وتباينت آراؤهم بين حمل صيغة التشبيه المجازي على التشبيه أو الاستعارة، واعتمدوا في آرائهم على ما قدمه لهم من سلفهم، وأول من بحث المسألة منهم صاحب كتاب مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، وكان كلامه على المسألة باباً واسعاً دخله خلقٌ كثير، وما أتى به السكاكي يعدّ صورة من صور الحجاج العقلي الذي يعتمد بعض قواعد اللغة دليلاً على ما يذهب إليه، فقد ذهب إلى أن (زيدٌ أسدٌ) تشبيه لا استعارة، (وذلك لأنك حين أوقعت أسداً وهو مفرد غير جملة، خبرٌ لزيد استدعى أن يكون هو إياه، مثله في زيدٌ منطلقٌ، وإلا كان زيدٌ أسدٌ مجرد تعديد، نحو خيل فرس لا إسناداً، لكن العقل يأبى أن يكون الذي هو إنسان هو بعينه أسداً، فيلزم لامتناع جعل اسم الجنس وصفاً للإنسان، حتى يصبح إسناده إلى المبتدأ المصير إلى التشبيه بحذف كلمته قصداً إلى المبالغة)^(٧٦).

وعلى الخطأ ذاتها سار القزويني صاحب تلخيص المفتاح (ت ٧٣٩ هـ)، فذهب إلى ما ذهب إليه السكاكي من أن التركيب المقصود تشبيه لا استعارة، وذلك (لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه،

(٧٥) أسرار البلاغة، الجرجاني، ص: ٢٨٦.

(٧٦) مفتاح العلوم، ص: ٣٥٤.

فإذا قلت: زيدٌ أسدٌ فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات شبه من الأسد لزيد، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه، فيكون خليقاً بأن يُسمّى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده^(٧٧).

وقد بينَّ السبكي (ت ٧٦٣ هـ) في عروس الأفراح أن توجيه الزمخشري والسكاكي هذا التركيب نحو التشبيه لا الاستعارة (لامتناع حمل الكلام على الحقيقة، وأن من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر، وتناسي التشبيه)^(٧٨). وردَّ هذا التوجه لأنه ليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر^(٧٩).

والواقع أن القزويني نفسه لم ينج من حمل بعض الأمثلة والشواهد التي تحتوي مثل هذه الصيغة على الاستعارة، ويوضح هذا الأمر أن مشكلة الحمل على التشبيه أو الاستعارة بقيت على أيدي المتأخرين في مكانها من غير حسم، فهم أحياناً يتمسكون بالقاعدة، وفي أحيانٍ أخرى تحملهم الدلالة، والذوق اللغوي على اللجوء إلى الاستعارة، فقد أورد أن السكاكي رأى (أن تُبنى دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق التأويل: متعارف، وهو الذي له غاية الجراءة، ونهاية البطش، ومع الصورة المخصوصة، وغير متعارف، وهو الذي له تلك الجراءة، وتلك القوة، لا مع تلك الصورة)^(٨٠). وجعل القزويني القرينة تخصص بنفيها

(٧٧) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ج ٢، ص: ٩٦.

(٧٨) حاشية السبكي على التلخيص، شروح التلخيص، ج ٣، ص: ٢٩٩.

(٧٩) المرجع السابق نفسه.

(٨٠) الإيضاح، القزويني، ص: ٤١٦.

المتعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتعين الآخر، واستشهد على ذلك بشاهد فيه المشبه والمشبه به مذكورين وحمله على الاستعارة، وهو قول الشاعر:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

والشاهد في الشطر الثاني، في قوله: تحية بينهم ضرب وجيع، فقد ذكر المشبه والمشبه به، وجاء المشبه مبتدأً والمشبه به خبراً له. وكذلك أورد قولهم: (عتابك السيف)^(٨١)، فهذه أمثلة تدل على أن القزويني لم يرفض مطلقاً أن تكون الصيغة من الاستعارة لا التشبيه.

وقد ذهب بعض المتأخرين إلى أن هذه الصيغة من التشبيه استعارة، ومن هؤلاء، التنوخي (ت ٧٤٨ هـ)، صاحب الأقصى القريب، وقد جعل الاستعارة تشمل عدة صيغ حملها غيره على التشبيه، فذكر أن الاستعارة نوع من أنواع المجاز، ثم ذكر أن معناها في الحقيقة التشبيه لكن حُذفت أدواته، فأدخل بذلك التشبيه المؤكد في جنس الاستعارة، من غير أن يعتدّ بذكر وجه الشبه أو عدم ذكره، وأضاف مبيناً أنواع الاستعارة (فمنه نقل اسم المنقول منه إلى المنقول إليه من غير ذكر اسم المنقول إليه كأنك جعلته إياه حقيقة للمبالغة كقولك: يا بدر، ويا ظبي ..

ومنه ما يُذكر معه اسم المنقول إليه كقولك: زيدٌ أسدٌ إخباراً، وجاء زيدٌ الأسدُ صفة من غير أن تذكر المعنى المستعار له.. وقد يُذكر المستعار لأجله كقولك: زيدٌ أسدٌ بسالةً)^(٨٢).

(٨١) المرجع السابق نفسه.

(٨٢) الأقصى القريب، التنوخي، ص: ٤٠.

وقد جعل القزويني الخلاف في هذه المسألة خلافاً لفظياً^(٨٣)، ومعنى الخلاف اللفظي يرجع إلى الاختلاف في تعريف الاستعارة والتشبيه، وهو قائم على فهم معنى الصيغة المعروفة (زيدٌ أسدٌ). (فالمراد من قولنا زيدٌ أسدٌ ليس إثبات الهيكل المخصوص لزيد بل إثبات مماثله له في ضمن دعوى أنه هو)^(٨٤). وهذا أمر متفق عليه بين من يقول بأن التركيب تشبيه، ومن يقول بأنه استعارة، والخلاف في فهم معنى الاستعارة والتشبيه. (فإن من فسر الاستعارة بإعطاء اسم المشبه به للمشبه سواء ذكر المشبه تحقيقاً أو تقديراً أو نية^(٨٥) أو لم يذكر، وفُسر التشبيه بالدلالة على

(٨٣) الإيضاح، القزويني، ص: ٤١٠.

(٨٤) حاشية المطول، حسن الجلبي، ص: ٥٠٣.

(٨٥) التقدير مثل قولنا: أسدٌ، فلا يتم الكلام من غير تقدير: زيدٌ، أما المنوي، فهو المشبه الذي لا يحتاج إلى تقديره لإتمام الكلام لفظاً، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر، ١٢]، إذ لم يُرد بالبحرين الإسلام والكفر على سبيل الاستعارة، بل أريد البحرين حقيقة، - كما يشهد بذلك سياق الآية إلى قوله: وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ عند من له ذوق سليم شهادة قاطعة، وأريد تشبيه الإسلام والكفر بهما، فكأنه قيل: الإسلام بحرٌ عذبٌ فرات، والكفر بحرٌ ملحٌ أُجاج، فلفظ المشبه منويٌّ في الإرادة غير مقدر في نظم الآية لكونه مُعَيَّرًا لنظمها، وفي هذا الموضع يلتبس التشبيه بالاستعارة، فيفترق بينهما بأن اسم المشبه به في الاستعارة يكون في معنى المشبه بحيث لو أقيم مقامه لاستقام الكلام إلا أنه يفوت المبالغة المستفادة من الاستعارة، وفي التشبيه يكون مستعملاً في معناه الحقيقي، فلا يستقيم إقامة اسم المشبه مقامه قطعاً، وبذلك يُعرف كون اسم المشبه مراداً منوياً، وإن لم يكن مقدرًا في نظم الكلام، كما في الآية .
المصباح في شرح المفتاح، السيد الشريف الجرجاني، ص: ٥٦٢.

مشاركة شيء لغيره مع كون أداته المذكورة جعل المثل استعارة^(٨٦)، ومن فسّر الاستعارة بإعطاء اسم المشبه به للمشبه مع كون اسم المشبه مطويّ الذكر تحقياً أو تقديراً أو نيّة وفسّر التشبيه بالدلالة المذكورة مع كون الطرفين المذكورين، ولم يشترط ذكر الأداة جعله تشبيهاً^(٨٧).

ويبدو من هذا الكلام أن الخلاف، وإن جُعل لفظياً إلا أنه ليس كذلك، بل هو خلاف معنوي، ذلك أن جعل كلمة (أسد) في (زيد أسد) استعارة يعني أنها مجاز، وحين نحمل التركيب على التشبيه فإنه حسب ما يقول البلاغيون صارت تدل على الحقيقة، وهما أمران متغايران^(٨٨).

لقد كانت مشكلة التشبيه المجازي وحمله على الاستعارة أو التشبيه من المشكلات التي لا تحتمل أن يكون الخلاف فيها لفظياً؛ لأنها تتعلق في الحقيقة بالأصول التي قامت عليها البلاغة العربية، من حيث النظر إلى التشبيه على أنه مقارنة شيء لآخر، والقياس عليه، أو النظر إليه على أنه صورة مخيَّلة تبتعد عن الحقيقة، وتلتحق بالمجاز، فهذا النوع من التشبيه وصل بالصورة إلى مرحلة أعلى من التشبيه العادي أو ما يسمى التشبيه الساذج؛ لأنه وصل إلى مرحلة ما يسميه البلاغيون (المبالغة)، وهي شأن الاستعارة أيضاً.

(٨٦) وهذا ما ذهب إليه عبد اللطيف البغدادي في قوانين البلاغة، فقال: (التشبيه مُصرّح بحرفه، والاستعارة أن يُطلق على المشبه اسم المشبه به من غير تصريح بأداة التشبيه: يقال: زيد أسدٌ وبحرٌ وغيثٌ أو زيدٌ أسدٌ في شجاعته). شروح التلخيص، ج ١، ص: ٣٠٠.

(٨٧) المرجع السابق نفسه، ص: ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٨٨) شروح التلخيص، ج ١، ص: ٣٠٢.

وقضية التشبيه المجازي تجعلنا نعود إلى موضوع القاعدة والذوق، فتحكيم القاعدة بالدلالات اللغوية سيجعل من هذه القاعدة حاجزاً أمام تفسير الظاهرة الدلالية المتجددة، وجعلها كذلك سيحدُّ من استنباط ما هو أعمق من الظواهر التي تبدى أمام المتلقي، ولا بد من تذكّر أن الإبداع مبني على تعمق الظاهرة الدلالية، و التلقي الفاعل مبني على اكتشاف ما تحبئه النصوص اللغوية وتراكيبها، ويمكن للقاعدة أن تساعد على ذلك من غير أن تقف عائقاً في طريقه.

ثم إن النظر إلى التركيب الاستعاري على أنه مكوّن للاستعارة يجعل هذه الاستعارة غير محصورة في اللفظ ذاته بل هي بناء لغوي يقوم على صيغة لغوية يستند بعضها إلى بعضها الآخر، وهذا ما ينبغي أن يكون في تحليلنا للاستعارة، يضاف إليه أن بناء الاستعارة على التشبيه يجعل من هذه الاستعارة تابعة لصورة أقل منها في التعبير والتخيّل، ومن المفترض النظر إلى هذه الاستعارة على أنها نوع من التحول الدلالي في الكلمة داخل الصيغة التركيبية اللغوية، على أن تكون القرينة الحالية والمعنوية أو اللفظية معياراً لهذا التحول.

والواقع أن كثيراً من الشعر الحديث يقوم على الصيغة التي ذهب الكثيرون إلى أنها من التشبيه، وحملها على ذلك يجعل الصورة الفنية تبدو أقل أهمية مما لو أننا حملناها على الاستعارة، بل يمكن القول: إن حمل الصورة الفنية في هذا الشعر مما جاء بصيغة التشبيه البليغ على التشبيه يذهب بجمال الصورة ودلالاتها التي رمى إليها الشاعر، ولننظر إلى ما قاله محمود درويش في ديوانه (حالة حصار)، لنرى كيف يمكننا حمل صورته على التشبيه البليغ بتقدير الأداة، يقول محمود درويش:

الضباب ظلامٌ، ظلامٌ كثيفٌ البياض

ثُقِّسَتْهُ البرتقالة الواعدة^(٨٩)

إذا ما قدَّرنا الأداة ستكون العبارة (الضباب كظلام)، وهذا يجعل من الكلام أقل مما يتطلبه المعنى، فالشاعر يريد أن يجعل من الضباب ظلاماً لا أن يجعله يشبه الظلام، ولذلك فإن تقدير الأداة في هذا التركيب يلغي ما أراده الشاعر، ويقلل من المعنى الذي يريده. يعني ذلك أن التركيب يريد أن يُظهر دلالة ما، وحمله على التشبيه أو الاستعارة لا يكون بقاعدة تُطبَّقها على كل تركيب بل نفهم سياق التركيب المقالي والمعنوي والحالي ثم نقرّر بعد ذلك على أيّ وجه يُحمل.

الْحَيَاةُ

إن قضية التشبيه المجازي واحدة من المسائل المهمة في دراسة البلاغة العربية، لأنها تكشف عن الأصول التي اعتمدها البلاغيون في دراستهم للتشبيه والاستعارة، والعلاقة بين هذين الفنين.

وتظهر المشكلة الكبرى في هذا المجال في جعل التشبيه أصلاً للاستعارة بدلاً من النظر إليها على أنها نوعٌ من التحول الدلالي طرأ على العبارة. وقد كان الرماني قد أشار إلى أن الاستعارة ليست إلا نقلاً طرأ على العبارة، فحولها إلى المجاز. كما أن هذه المسألة تكشف مشكلة أخرى عانت منها البلاغة العربية وهي تحكيم القاعدة في النصوص المدروسة، وكأن القاعدة ثابتة لا يطرأ عليها تغيير، على حين يجب أن ننظر إلى النصوص نظرة أكثر تحرراً من القاعدة، لأن لكل نص ما يُضيفه إليها.

(٨٩) قصيدة حالة حصار، محمود درويش، ص: ١٢.

لقد حاول البحث أن يدرس هذه المسائل كلها، وتوصل إلى أن التشبيه المجازي أنسب التسميات لهذا النوع من التشبيه الذي يقترب من الاستعارة، ولكيلا نخلط بين الاستعارة والتشبيه فإن إطلاق مصطلح التشبيه المجازي على هذا النوع من التشبيهات يضيف إلى دراسة الصورة الفنية ما يساعد على إغنائها.

المصباح وأصوله

١. أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار غريب، مصر، ١٩٨٨.
٢. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، لبنان، ١٩٨٢ م.
٣. الأقصى القريب، التنوخي، مكتبة الخانجي، مصر والآستانة، ط ١، ١٣٢٧ هـ.
٤. الإيضاح، القزويني، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط ٦، ١٩٨٥ م.
٥. البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق، الشيخ، عادل عبد الموجود، وزملاؤه، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م.
٦. البديع، ابن المعتز، تحقيق، أغناطيوي كراتشوفسكي، دار الحكمة، دمشق.
٧. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦ م.
٨. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجيل، دار الفكر.
٩. تاج العروس، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الكويت.
١٠. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٢ م.
١١. جوهر الكنز، ابن الأثير، تحقيق، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.
١٢. حاشية السيد الشريف الجرجاني، في هامش الكشف، ط، دار المعرفة لبنان، طبعة مصورة.

١٣. حاشية المطول، حسن جليبي، مطبعة شركة الصحافية العثمانية، ١٣٠٩ هـ.
١٤. خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٨٦.
١٥. الخصائص، ابن جنبي، تحقيق، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، لبنان.
١٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر.
١٧. ديوان الخنساء، عناية وشرح، حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٤ م.
١٨. ديوان ذي الرمة، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦ م.
١٩. ديوان المتنبي، شرح العكبري، ضبط نصه وصححه، د. كمال طالب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٧ م.
٢٠. روح المعاني، الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
٢١. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، اعتنى به وخرج شعره وعمل فهارسه، د. داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٦ م.
٢٢. شرح السيرافي للكتاب، تحقيق، أحمد حسن مهدي، وعلي سيد حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٨.
٢٣. شرح الكافية في النحو، الرضي الأستراباذي، دار الكتب العلمية، طبعة مصورة.
٢٤. شروح التلخيص، نسخة مصورة، نشر دار الحوزة.
٢٥. العمدة، ابن رشيق، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط٥، ١٩٨١ م.
٢٦. قواعد الشعر، ثعلب، تحقيق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ١٩٦٦ م.
٢٧. الكامل، المبرد، تحقيق، محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢، ١٩٩٢ م.
٢٨. كتاب سيبويه، سيبويه، تحقيق، عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
٢٩. الكشاف، الزمخشري، تحقيق، الشيخ، عادل أحمد عبد المودود، ورفيقاه، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٩٩٨ م.

٣٠. كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تحقيق د. علي دحروج، ورفاقه، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.
٣١. الكشف والتنبه على الوصف والتشبيه، ابن أبيك الصفدي، تحقيق، د. هلال ناجي، ووليد بن أحمد الحسين، منشورات، دار الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٩٩٩م.
٣٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق، د. أحمد الحوفي، و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط٢.
٣٣. المحتسب، ابن جنبي، تحقيق، علي النجدي ناصف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٤م.
٣٤. المزهرة، السيوطي، تحقيق، محمد أحمد جاد المولى، ورفيقاه، دار الفكر.
٣٥. معاني القرآن، الفراء، تحقيق، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، والأستاذ، علي النجدي ناصف، دار السرور.
٣٦. مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.
٣٧. المصباح في شرح المفتاح، السيد الشريف الجرجاني، رسالة دكتوراه، إعداد الطالب، بوكسل جليك، بإشراف د. طوران أرسلان، جامعة مرمره، معهد العلوم الاجتماعية، كلية الإلهيات، قسم اللغة العربية.
٣٨. المنزعة البديع، السجلماسي، تحقيق، علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٩٨٠م.
٣٩. النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق، محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.
٤٠. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.



شبكة الكلمات العربية

«المنهجية والتطبيق»

د. المعتز بالله السعيد طه (*)

الكلمات الدالة

شبكة الكلمات، الأنطولوجيا، المدونة اللغوية، صناعة المعجم.

ملخص

تعرض هذه الورقة مدخلاً إلى الشبكات اللغوية للكلمات WordNets باعتبارها تمثيلاً معرفياً واسعاً لجوانب اللغة الإنسانية. ويُقدّم الباحث - فيها - منهجاً مقترحاً لبناء شبكةٍ للكلمات العربية Arabic Word Net انطلاقاً من الشبكات المعيارية المنجزة، مع مراعاة طبيعة اللغة العربية الاشتقاقية ونظامها المعجمي والدلالي - على مستوى المباني والمعاني. كما يعرضُ الباحثُ لجوانب الإفادة من شبكة الكلمات المنشودة في تطوير الصناعة المعجمية للعربية المعاصرة، مع العناية بالمعجمات المتخصصة.

(*) باحث في علم اللغة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

١- مقدمة

١.١ - شبكة الكلمات.

يُمكنُ تعريفُ شبكةِ الكلماتِ بأنَّها قاعدةُ بياناتٍ مُعْجَمِيَّةٌ Lexical Database؛ أو بعبارةٍ أخرى: شبكةٌ من العلاقاتِ المُعْجَمِيَّةِ Lexical Relations، تُعالجُ فيها نُصُوصُ اللُّغة بتعيينِ أقسامِ الكلامِ (Parts of Speech (POS)، ثُمَّ تُصنَّفُ في مجموعاتٍ مُترابطةٍ من المُترادفاتِ Synonyms / Sets of Cognitive Synonyms (Synsets) الَّتِي تُعبَّرُ عن مفاهيمٍ ثابتةٍ^(١)، وتتنقُّ في معانيها الدلاليَّة - وإن اختلفت في المعاني السِّيَاقِيَّة؛ وتربطُ هذه المُترادفاتِ فيما بينها بشبكةٍ من العلاقاتِ الدلاليَّةِ Semantic Relations.

٢.١ - الخلفيَّة والإرهاصات.

١.٢.١ - شبكة كلمات برينستون PWN.

ظَهَرَت فِكْرَةُ شَبْكَةِ الكَلِمَاتِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ لِتَكُونَ أَدَاةً لِتَطْوِيرِ صِنَاعَةِ المُعْجَمِ Lexicography وتطبيقات الذكاء الصنعيّ (Artificial Intelligence (AI) ومُعالِجَةِ اللُّغَاتِ الطَّبيعيَّةِ (Natural Language Processing (NLP). وكانت البدايةُ الحَقِيقِيَّةَ لِشَبْكَاتِ الكَلِمَاتِ فِي عَامِ ١٩٨٥ م، إِذْ بَدَأَ العَمَلُ فِي بِنَاءِ وَتَطْوِيرِ شَبْكَةٍ كَامِلَةٍ لِمُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ فِي مُخْتَبَرِ العُلُومِ الإِدْرَاكِيَّةِ بِجَامِعَةِ بَرِينْسْتُونِ Princeton الأمريكيَّةِ^(٢)؛ وَتَمَكَّنَ الفَرِيقُ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَيْهِ عَالِمُ النَّفْسِ الأَمْرِيكِيِّ جُورْجِ مِيلَرِ George Miller مِنْ بِنَاءِ الشَّبْكَةِ وَتَعْبِئَتِهَا يَدَوِيًّا قَبْلَ إِتَاحَتِهَا عَلَى الشَّبْكَةِ العَنكَبُوتِيَّةِ

(1) Fellbaum, C. (1998). WordNet: an electronic lexical database. Cambridge, Mass: MIT Press.

(2) Fellbaum, C., (1998). Ibid.

تحت مُسَمَّى «شبكة كلمات برينستون Princeton WordNet». وقد بلغ عدد الكلمات المفردة Unique words في هذه الشبكة 155287 كلمة، تَصُمُّ الأقسام الكلامية: الاسم = Noun = 117798 كلمة، والفعل Verb = 11529 كلمة، والصفة Adjective = 21479 كلمة، والظرف (الحال) Adverb = 4481 كلمة (PWN 3.0 - 2011). ويبلغ عدد المجموعات الترادفية Synsets التي تَصُمُّ كلمات الشبكة 117659 مجموعة (82115 للأسماء، 13767 للأفعال، 18156 للصفات، 3621 للظروف)، حيث ترتبط كلمات كل مجموعة عن طريق شبكة مَوْسَعَةٍ من العلاقات الدلالية، نستطيع التمثيل لها بالعلاقات الموضحة في الجدول التالي⁽³⁾:

المثال	المفهوم (التعبير الرياضي)	العلاقة
canine is a hypernym of dog	Y is a hypernym of X if every X is a (kind of) Y	الاشتمالية Hypernyms
dog is a hyponym of canine	Y is a hyponym of X if every Y is a (kind of) X	النوعية Hyponyms
building is a holonym of window	Y is a holonym of X if X is a part of Y	الكلية Holonym
window is a meronym of building	Y is a meronym of X if Y is a part of X	الجزئية Meronym
to lisp is a troponym of to talk	the verb Y is a troponym of the verb X if the activity Y is doing X in some manner	التلازمية Troponym (خاصة بالأفعال)
to sleep is entailed by to snore	the verb Y is entailed by X if by doing X you must be doing Y	الاستلزامية Entailment

الجدول 1: من العلاقات الدلالية في شبكة كلمات برينستون PWN

(3) Fellbaum, C., (1998). Ibid.

WordNet Search - 3.1
 - [WordNet home page](#) - [Glossary](#) - [Help](#)

Word to search for:

Display Options:

Key: S: = Show Synset (semantic relations), "W:" = Show Word (lexical) relations
 Display options for sense (ig.oss), "an example sentence"

Noun

- **S:** (n) **dictionary**, **lexicon** is a reference book containing an alphabetical list of words with information about them;

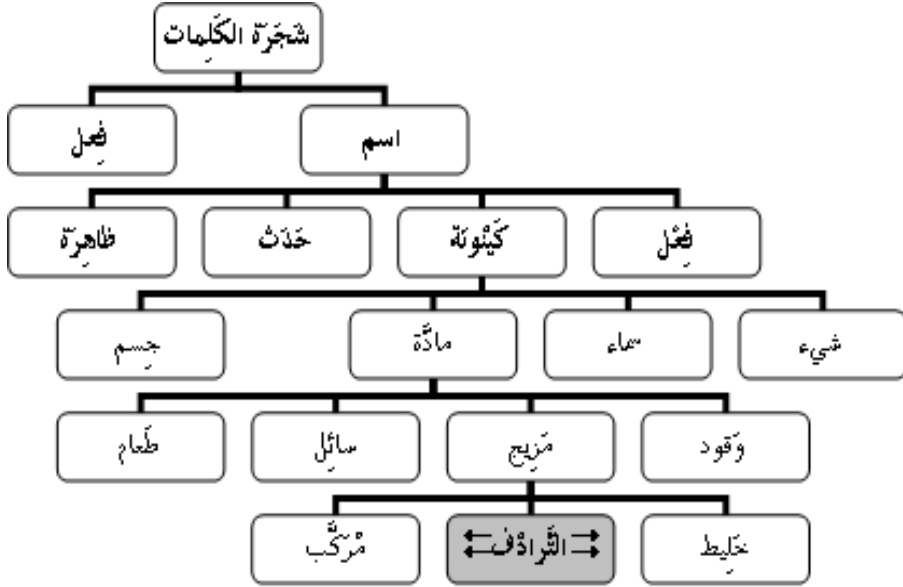
الشكل ١: نموذج من شبكة كلمات برينستون للغة الإنكليزية «PWN 3.1 - 2011»

٢.٢.١ - شبكة الكلمات العربية AWN.

في المدة من ٢٠٠٥م إلى ٢٠٠٧م، سعى فريقٌ بحثيٌّ - في جامعات برينستون وبرشلونة ومانشستر - لبناء شبكةٍ للكلمات العربيّة على غرار شبكة برينستون. وأشرفَت الباحثةُ الألمانية كريستيان فيلباوم Christiane Fellbaum - التي شاركت من قبل في بناء شبكة كلمات برينستون بقيادة جورج ميلر - على بناء شبكة الكلمات العربيّة AWN؛ إلا أن العملَ توقّف نتيجة نقص الموارد المتاحة لفريق العمل.

وتقومُ الفكرةُ الأساسيّةُ لمشروع شبكة الكلمات العربيّة AWN على تزويد قاعدة بيانات الشبكة بمجموعةٍ من المفردات «المفاهيم» المترجمة عن شبكة برينستون

انطلاقاً من نظرية الحُقُول الدلالية Semantic fields حيث تتشكّل الشبّكة في بناء شجريّ تُصنّف فيه المفردات إلى أسماء وأفعال، ويتفرّع عن كلّ منهما مجموعة من الحُقُول التي تضمّ عددًا من المفردات الموزّعة على حُقُول فرعيّة، وترتبط هذه المفردات فيما بينها بعلاقات دلالية^(٤). ويبلغ عدد كلمات شبكة الكلمات العربيةAWN 17561 كلمة مفردة؛ أمّا عدد المجموعات التّرادفيّة Synsets التي تضمّ كلمات الشبّكة فيبلغ ٧٨٢٢ مجموعة.



الشكل ٢: نموذج من شجرة الكلمات العربيّة في شبّكة الكلمات العربيّة

«AWN 2.0 – 2007»

(4) Black, W., Elkateb, S., Rodriguez, H, Alkhalifa, M., Vossen, P., Pease, A. and Fellbaum, C., (2006). Introducing the Arabic WordNet Project, in Proceedings of the Third International WordNet Conference, Sojka, Choi, Fellbaum and Vossen eds.

٣.١ - شبكة الكلمات بين الشبكات الدلالية والأنطولوجيا.

تتكوّن شبكة الكلمات من مجموعة من الشبكات الدلالية Semantic Nets التي تربط بين المفاهيم باعتبارها شكلاً من أشكال التمثيل المعرفي؛ وفي الوقت ذاته يتكوّن من الارتباط بين مجموعة من شبكات الكلمات هيكل معرفي ضخم، يُستعمل في تطبيقات عديدة تتبع الذكاء الصناعي وعلوم المكتبات وصناعة المعجّات وتطبيقات الويب الدلالي Semantic web، ويُطلق عليه «الأنطولوجيا Ontology». ومثّل الأنطولوجيا مجموعة من الكتل المعرفية التي تتلاحم عناصرها لتكوّن تمثيلاً لمجموعات منظمّة من المفاهيم المشتركة في حقول دلالية محدّدة، مترابطة بعلاقات دلالية^(٥)، وتُستقى مادتها من مختلف فروع المعرفة شريطة أن تُبرز واقع اللغة المعينة.

وإذا كان الأصل في شبكات الكلمات أن تكون قواعد بيانات معجمية، تتلاحم عناصرها باستعمال العلاقات الدلالية، فإنها - أي شبكات الكلمات - تُمثّل مجموعة من الأنطولوجيات الجزئية. وعلى هذا، فإن وجود شبكة معيارية للكلمات العربية يفتح الطريق أمام بناء أنطولوجيا عربية كاملة؛ وهو مشروع طموح يعوق تحقيقه ضخامة المحتوى العربي وتناميّه المستمر، والغموض في كثير من مفاهيم هذا المحتوى.

(5) Staab, S., Studer, R., (2004). Handbook on ontologies. Birkhäuser.
And: Poli, R., Healy, M., Kameas, A., (2010). Theory and Applications of Ontology: Computer Applications. Springer.



الشكل ٣: العلاقات بين المفاهيم (الشبكة الدلالية - شبكة الكلمات - الأنطولوجيا)

٢- الإشكالية.

سارت شبكة الكلمات العربية AWN على منهج شبكة كلمات برينستون PWN في مادتها الأساسية. وإذا أردنا أن نتحرى الدقة، فيمكن القول إن شبكة الكلمات AWN ليست عربية بالمفهوم الدقيق، بل إنها ترجمة لبعض أجزاء شبكة كلمات برينستون PWN.

وللوقوف على جوانب القصور التي يمكن أن تنتج عن مثل هذه الترجمة، فتمّة بعض الحقائق التي تساعدنا على فهم طبيعة اللغات الإنسانية وأوجه التباين بينها، نحاول أن نجعلها في النقاط التالية:

١. يستعمل الجنس البشري ما يربو على ستة آلاف وتسعمئة (٦٩.٩) لغة

مُتخَلِّفة في الحديث والكِتابة، ولكُلِّ لُغَةٍ من هذه اللُّغات مفرداتها التي لها نظائرها في اللُّغات الأخرى^(٦).

٢. البيئة العربيَّة هي التي صَنَعَت مِئات الكلمات لوصف الجَمَل والجِوَاد والسَّيف، وليس لذلك مَثيلٌ فيها عداها من لُغات.

٣. في لغة جرينلاند القطبيَّة ثلاثٌ وسِتُّون كلمة بِمعنى (ثلج)^(٧).

٤. في لغة هاواي مئة وثماني كلمات بِمعنى (بطاطا حلوة)^(٨).

٥. لا وُجودٌ للأرقام في قبائل بيرو البدائيَّة إلا (من 1 إلى 4)، ويُعبَّر عن غير ذلك من الأرقام بكلمة واحدة هي (tübāytē)^(٩).

٦. تختلف دَلالةُ المفردات على المُذكَر والمؤنَّث من لُغةٍ إلى أخرى، ونُلاحظُ هذا بين العربيَّة والألمانيَّة - مثلاً - في كلماتٍ مثل (قهوة Kaffee، طاولة Tisch) حيثُ تدلُّ على مؤنَّثٍ في العربيَّة ومُذكَرٍ في الألمانيَّة، ومثلها (الباب Tür) التي تدلُّ على مُذكَرٍ في العربيَّة ومؤنَّثٍ في الألمانيَّة.

إنَّ طبيعة اللُّغات الإنسانيَّة Human Languages تقتضي أن تختلفَ عناصرُ الأنظمة اللُّغويَّة وتتباينَ فيما بينها باختلافِ الزَّمان والمكان؛ وهذا حالُ اللُّغة العربيَّة، إذ

(6) Finegan, E., (2011). Language: its structure and use. Thomson Wadsworth. 6th Edition. and Ginsburgh, V., Weber, S., (2011). How many languages do we need?: the economics of linguistic diversity. Princeton University Press.

(٧) السَّعيد (المُعترِّ بالله): اللُّغة الإنسانيَّة، دار الهاني، القاهرة، ٢٠١١.

(٨) السَّعيد (المُعترِّ بالله): السَّابق.

(٩) السَّعيد (المُعترِّ بالله): السَّابق.

تتمتع ببعض الخصائص التي تُميّزها عن غيرها من لغات الفصائل اللغوية الأخرى، بل وتُميّزها - كذلك - عن بعض شقيقاتها من اللغات السامية. فهي لغة اشتقاقية، يقوم نظامها المعجمي على توليد الألفاظ والمعاني؛ وهي - كذلك - لغة معربة، تتغير أواخر كلماتها تبعاً لموقعها الإعرابي. وبعبارة أخرى تتسم اللغة العربية ببعض السمات التي تُميّزها عن غيرها من اللغات الإنسانية على مستوى المباني والمعاني.

فعلى مستوى المباني، تتشكل ألفاظ اللغة العربية من أربعة وثلاثين فونيمًا قطعياً Segmental Phoneme؛ وينتج عن التداخل بين الفونيمات (المنطوقة) تداخل بين الجرافيمات (المكتوبة)؛ وهذا ما يؤدي إلى تغير شكل الحرف الواحد في الكلمة تبعاً لموضعه فيها من ناحية، وتعدد الألفاظ والمعاني المنسدة عن المجموعات الكتابية المتفقة في حروفها من ناحية أخرى.

المعنى	PoS	الكلمة	
كتب			
Write	فِعْل	Kataba	كَتَبَ
Writing	مَصْدَر	Katb	كُتِبَ
Books	جَمْع	Kotob	كُتُب
بل			
But	أداة	Bal	بَلْ
Wet	فِعْل	Balla	بَلَّ
Drencher	اسم	Ball	بَلَّة

الجدول ٢: نموذج - التداخل (الفونيمي والجرافيمي) للأشكال الكتابية في العربية

أمّا على مُستوى المعاني، فيبدو أنّ البيئة العربيّة واضحةً في تعدّد دلالة المفردة الواحدة من ناحية، وتعدّد المفردات التي تُشيرُ إلى دلالةٍ واحدةٍ من ناحيةٍ أخرى. فمثالٌ تعدّد دلالة المفردة الواحدة: كلمة (حاجب) التي تُشيرُ إلى العديد من الدلالات، منها:

الدلالة العربيّة	المقابل الإنجليزي
مُساعد المحكمة	Usher
خازن الباب وحارسه	Doorman
الشعر النَّابت فوق العين	Brow
علمٌ مُذكّر (من أسياء الذكور)	Hajeb

الجدول ٣: نموذج - تعدّد دلالة كلمة (حاجب) في العربيّة

ومثالٌ تعدّد المفردات التي تُشيرُ إلى دلالةٍ واحدةٍ: الكلمات (سَبَع / غَضَنَفَر / حارث / هزبر / أسامة / حيدر / بهنس / ليث / فسورة / فرناس / باسل / درغام / حمزة / ...)، إذ تُشيرُ جميعها إلى (الأسد) فيما يُعرف بظاهرة (التّرادف / Synonym).

ووفقاً لمنهج الشبكة المنجزة AWN، لا وجودٌ لهذه الكلمات في قاعدة البيانات المعجميّة، إذ تُشيرُ جميعها إلى المقابل الإنجليزي "Lion"، وإن كانت البيئة الإنكليزيّة، التي وُجدَ فيها الأسدُ منذُ القدم، تسمح بالتمييز بين دلالات الكلمة، حيثُ يُشارُ إلى المذكر (أسد = Lion)، وإلى المؤنث (لبؤة = Lioness) وإلى الصّغير (شبل = Cub)؛ وهو أمرٌ لا نجدُه في كلمةٍ مُستمدّةٍ من البيئة العربيّة، مثل كلمة

(جَمَل) الَّتِي يُشَارُ إِلَى دَلَالَتِهَا الثَّلَاثِ (الْمُدَّكَّر «جَمَل»، وَالْمَوْثُث «نَاقَة»، وَالصَّغِير «حُور») بِالْمُقَابِلِ الْإِنْكَلِيزِيِّ «Camel».

تَكْمُنُ إِشْكَالِيَّةَ التَّرْجُمَةِ إِذْنِ فِي أَمْرَيْنِ:

أ. اعتبار العربية لغةً لصقيّة، وهو ما يتنافى مع طبيعة مبانيها.

ب. إغفال أثر البيئة في اللغة، وهو ما يتنافى مع طبيعة معانيها.

٣- المنهجية المقترحة.

في ضوء ما ذكرناه حول مفهوم شبكة الكلمات وطبيعة الشبكات المنجزة، يُمكن القول إنه ليست لدينا - حتى الآن - شبكةً لكلمات اللغة العربية بالمفهوم الدقيق لشبكات الكلمات؛ ولذا، تقترح الدراسة بناءً شبكةً للكلمات العربية انطلاقاً من المعايير المنهجية التي سارت عليها شبكة كلمات برينستون PWN والشبكات اللغوية للكلمات التي أنجزت تحت مظلة شبكة الكلمات العالمية Global WordNet، مثل: شبكة الكلمات الأوربية Euro WordNet (EWN)⁽¹⁰⁾، وشبكة الكلمات الحرة للغة الفرنسية WordNet Libre du Français (WOLF)⁽¹¹⁾، والأنطولوجيا المعيارية الموحدة - سومو Suggested Upper Merged Ontology (SUMO)⁽¹²⁾، وأنطولوجيا ياجو Yet Another Great Ontology (YAGO)⁽¹³⁾، وغيرها.

ويُفترَضُ في محتوى شبكة الكلمات العربية المنشودة أن يكون مناسباً للمنطق اللغويّ وموافقاً لطبيعة اللغة العربية الاشتقاقية ونظامها المعجمي، كما يُفترَضُ أن يُظهر صورةً للعربية المعاصرة على مستوى المباني والمعاني، بما يتناسب مع الهدف من

(10) <http://www.illc.uva.nl/EuroWordNet/>.

(11) <https://gforge.inria.fr/projects/wolf/>.

(12) <http://www.ontologyportal.org/>.

(13) <http://www.mpi-inf.mpg.de/yago-naga/yago/>.

شبكات الكلمات في صناعة المعجمات اللغوية وتطبيقات الويب الدلالي من ناحية، وبما يفتح الطريق أمام بناء الأنطولوجيا العربية الكاملة من ناحية أخرى. وإذا كان الأصل في شبكة الكلمات WordNet أن تكون قاعدة بياناتٍ مُعجمية Lexical database، أو بعبارةٍ أخرى: أن تكون شبكةً من العلاقات اللغوية المتداخلة، لا تقتصر مادتها على العلاقات الدلالية بين المفردات، وإنما تمتد لتشمل العلاقات الناتجة عن مستويات التحليل اللغوي التي تتكوّن عنها المعجمات اللغوية، فالدراسة تقترح ثلاث مراحل لبناء شبكةٍ لكلمات اللغة العربية، هي (الإدخال «التعبئة»، والإثراء «الإغناء»، والربط بين البيانات). وبيان هذه المراحل فيما يلي.

١.٣ - المرحلة ١: إدخال البيانات.

تعتمد هذه المرحلة على الموارد اللغوية الأساسية للشبكة المنشودة، وتمثّل في:

١.١.٣ - المدونة اللغوية Linguistic Corpus.

هي المصدر الأساسي لمفردات شبكة الكلمات؛ وتمثّل المدونة اللغوية - عموماً - مجموعة من نصوص اللغة التي يمكن التعامل معها آلياً والتحكّم في بياناتها ومُدخلاتها - إضافةً أو حذفاً أو تعديلاً - بالاستفادة من قواعد بياناتٍ صُمّمت لتكون قادرةً على التعامل مع هذه النصوص، حيثُ تمثّل هذه القواعدُ مخزناً كبيراً للغة، يرجع إليه وقت الحاجة ويتحمّل أيّ قدرٍ من النصوص التي يمكن أن تُضاف إلى المادة الأساسية للمدونة اللغوية مُستقبلاً^(١٤).

(١٤) السعيد (المعتز بالله): مدونة معجم تاريخي للغة العربية «معالجة لغوية حاسوبية»، رسالة

وَيُفْتَرَضُ فِي الْمُدَوَّنَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي تَعْبِئَةِ شَبَكَةِ الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تُضَمَّ نُصُوصًا مِنَ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى الْمُعَاصِرَةِ، بِاعْتِبَارِ هَذَا الْمُسْتَوَى (الْفُصْحَى الْمُعَاصِرَةِ) تَمَثِيلًا لَوَاقِعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ (عَلَى الْمُسْتَوَيْنِ الْجُغْرَافِيِّ وَالْمَوْضُوعِيِّ) مِنْ نَاحِيَةٍ، وَمُعَبَّرًا عَنِ الْاسْتِعْمَالِ اللُّغَوِيِّ لِلْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ مُسْتَعْمَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

٢.١.٣ - مسرد المفردات / الألفاظ Glossary of Words.

المفردة (أو الكلمة) - في اصطلاح اللغويين - صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تُفرد أو تُحذف أو تُحشى [بزيادة السوابق واللواحق والحشايا]، أو يُعَيَّر موضعها، أو يُسْتَبَدَل بها غيرها في السياق، وترجع مادتها غالبًا إلى أصول ثلاثة [١٣]. ويُعتبر مسرد المفردات موردًا لغويًا فرعيًا، إذ يستمد مداخله ووحداته من المدونة اللغوية بعد فهرسة نُصُوصِهَا أَلِيًّا. ولكن كيف تُصنَّفُ المفردات / الكلمات في شبكة الكلمات العربية المنشودة؟!

لقد صَنَّفَ النُّحَاةُ الْقُدَمَاءُ الْكَلَامَ الْعَرَبِيَّ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَكُونَاتِ / الْعَنَاصِرِ الَّتِي تُعْرَفُ بِأَقْسَامِ الْكَلَامِ PoS. وَقَسَّمُوهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، هِيَ: الْاسْمُ، وَالْفِعْلُ، وَالْأَدَاةُ (حرف له معنى). وَيَحِيدُ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ الْمُحْدَثِينَ عَنِ هَذَا التَّقْسِيمِ، حَيْثُ يَتَّجِهَ الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ أُنَيْسُ (١٩٠٦ - ١٩٧٧) إِلَى تَقْسِيمِ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ تَقْسِيمًا رُبَاعِيًّا (الاسم، والفعل، والحرف، والضمير)^(١٥)، عَلَى حِينِ يَتَّجِهَ الدُّكْتُورُ تَمَّامُ حَسَّانُ (١٩١٨ - ٢٠١١) وَطَائِفَةٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ إِلَى التَّقْسِيمِ الشَّبَاعِيِّ (الاسم، والصفة، والفعل، والضمير، والخالفة، والظرف، والأداة)^(١٦).

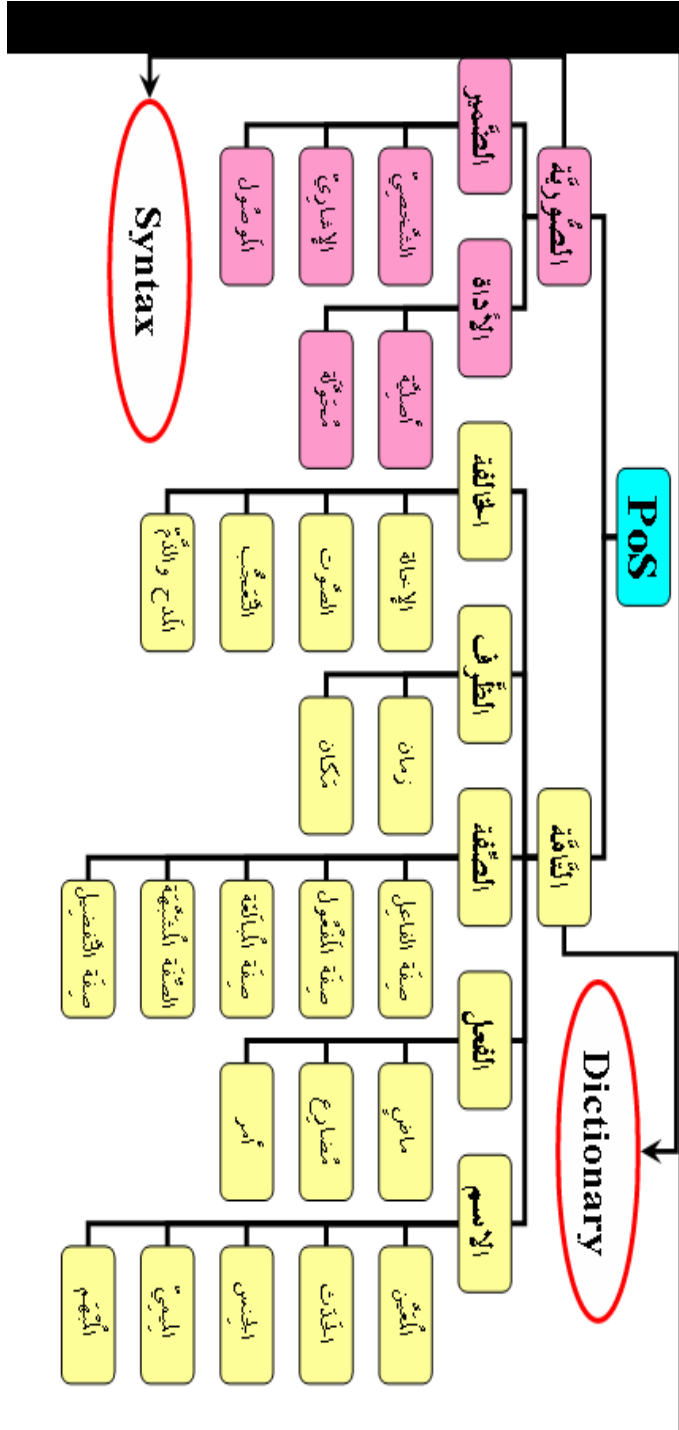
(١٥) أنيس (إبراهيم): من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٢ م.

(١٦) حسان (تمام): اللغة العربية "معناها ومبناها"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٩ م.

وَتُصَنَّفُ الكَلِمَاتُ - عُمُومًا - إِلَى كَلِمَاتٍ تَامَّةٍ Full words وكَلِمَاتٍ صُورِيَّةٍ Form words؛ فَالكَلِمَاتُ التَّامَّةُ هِيَ الَّتِي تَحْمِلُ مَعْنَى تَامًا فِي ذَاتِهَا - وَمَصْدَرُهَا المُعْجَم (Dictionary)، وَتُمَثِّلُهَا - وَفَقِ التَّقْسِيمِ السُّبَاعِيِّ: الأَسْمَاءُ (كِتَاب، قَلَمٌ، مَدْرَسَةٌ، ...)، وَالأَفْعَالُ (كَتَبَ، يَفْهَمُ، يُغَادِرُ، ...) وَالصِّفَاتُ (أَخْضَرَ، هَادِيٌّ، سَقِيمٌ، ...)، وَالظَّرُوفُ (تَحْتَ، أَسْفَلَ، خَلْفَ، ...)، وَالخَوَالِفُ (نِعَمَ، بَيْسَ، حَبْدًا، ...)؛ أَمَّا الكَلِمَاتُ الصُّورِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي لَا يُعْرَفُ مَعْنَاهَا إِلَّا بِالنَّظَرِ إِلَى الكَلِمَاتِ المُجَاوِرَةِ لَهَا، أَوْ الجُمْلَةِ المُرْتَبِطَةِ بِهَا - وَمَصْدَرُهَا عِلْمُ التَّرْكِيبِ (Syntax)، وَتُمَثِّلُهَا: الأَدْوَاتُ (مِنْ، يَا، مَا، هَلْ، ...)، وَالصَّمَائِرُ (نَحْنُ، أَنْتَ، هِيَ، هُمْ، ...).

وَإِذَا كَانَ الِهْدَفُ الأَسَاسِيُّ مِنْ بِنَاءِ شَبَكَةِ الكَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ أَنْ تَكُونَ قَاعِدَةً بِيَانَاتٍ مُعْجَمِيَّةٍ، وَأَدَاةً مُسَاعِدَةً فِي تَقْنِيَاتِ الأَنْطُولُوجِيَا العَرَبِيَّةِ وَالوَيْبِ الدَّلَالِيِّ، فَإِنَّا لَنْ نَكُونَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَرْوِيدِ الشَّبَكَةِ المَنْشُودَةِ بِقَوَائِمِ الكَلِمَاتِ الصُّورِيَّةِ (الأَدْوَاتِ وَالصَّمَائِرِ)، إِذِ الأَوَّلَى أَنْ يُكْتَفَى بِالكَلِمَاتِ التَّامَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ مَعْنَى كَامِلًا يَدُلُّ عَلَيْهَا.

وَإِذَا كَانَتْ شَبَكَةُ كَلِمَاتِ بَرِينِسْتُونِ PWN قَدْ صُنِّفَتْ الكَلَامَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، هِيَ: الأِسْمُ وَالفِعْلُ وَالصِّفَةُ وَالظَّرْفُ، وَحَاكَّتْهَا شَبَكَةُ الكَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ AWN مُكْتَفِيَةً بِتَقْسِيمِ الكَلَامِ إِلَى الأِسْمِ وَالفِعْلِ، فَإِنَّ الدَّرَاسَةَ تَقْتَرِحُ تَقْسِيمَ الكَلَامِ إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنَ التَّقْسِيمِ السُّبَاعِيِّ العَرَبِيِّ، هِيَ: الأِسْمُ وَالفِعْلُ وَالصِّفَةُ وَالظَّرْفُ وَالخَالِفَةُ.



الشكل ٤: الكلمات النَّاقِيَّة والصُّورِيَّة في الكلام العربي - وفق التَّصنيف السَّباعي

٣.١.٣ - مسرد التعبيرات الاصطلاحية Idioms Glossary

تُشير الكلمات المفردة إلى معانٍ مُعجمية حرفية أو مجازية؛ وتتعدّد هذه المعاني بتعدّد التنوّيعات السّياقية وأساليب التعبير؛ وعلى سبيل المثال: تتعدّد المعاني المُعجمية لكلمة (عَيْن)؛ فقد تعني «عُضو الإبصار»، وقد يُرادُ بها «يَنْبوع الماء في الأرض»، وتُرمي - مجازًا - إلى «الجالسوس»، وغيرها من المعاني التي تتّضح من السّياق.

أمّا التعبير الاصطلاحية - الذي يتّجّع عن تجمّع من الكلمات - فيُشير إلى معنى مجازي ثابت؛ ومن أمثله في العربية: التعبير (يعرق في شبر ماء) ومعناه (قليل الحيلة)، والتعبير (ضرب كفًا بكف / ضرب أخماسًا لأسداس) ومعناه (تخيّر).

وإثراءً لمحتوى شبكة الكلمات العربية المنشودة، تقترح الدراسة تزويدها بمسردٍ للتعبيرات الاصطلاحية المستعملة في العربية المُعاصرة، بحيث تُستمدّ مادّتها من المدوّنة اللغوية. ويُفترض أن يمثّل هذا المسردُ موردًا لغويًا فرعيًا - على شاكلة مسرد الكلمات.

٣.٢ - المرحلة ٢: إثراء البيانات.

وتعتمد هذه المرحلة على الموارد اللغوية الثّانوية للشبكة المنشودة، وتتمثّل في:

٣.٢.١ - مُعجم الألفاظ (Dictionary Words Lexicon)

ويُمثّل مصدر المعاني المُعجمية - الحرفية والمجازية - في شبكة الكلمات المنشودة. وتقترح الدراسة جمع مادّته من المُعجمات اللغوية التّالية:

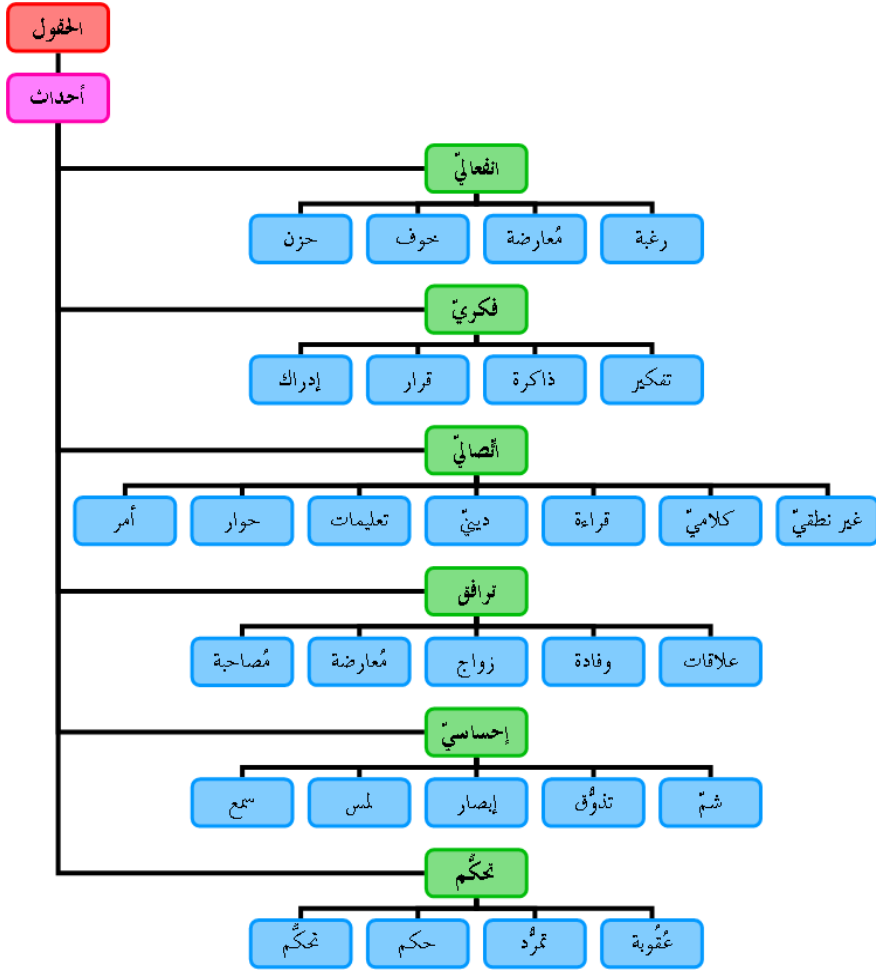
- **مُعْجَمُ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ** Arabisches Wörterbuch für die Schriftsprache der Gegenwart للمُستشرق الألماني هانز فير (Hans Wehr) (1981-1909).
- **المُعْجَمُ الوسيط**، الَّذِي أَخْرَجَهُ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ فِي طَبْعَتِهِ الْأُولَى عام ١٩٦٠ م، وشارك في تَحْرِيرِهِ نُخْبَةٌ مِنَ الْمُعْجَمِيِّينَ.
- **مُعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ**، الَّذِي حَرَّرَهُ الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ مَخْتَارُ (١٩٣٣-٢٠٠٣) بِمُسَاعَدَةِ فَرِيقِ عَمَلٍ، وَظَهَرَتِ الطَّبْعَةُ الْأُولَى مِنْهُ فِي ٢٠٠٨ م.
- **٢.٢.٣ - مُعْجَمُ التَّعْبِيرَاتِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ Idioms Lexicon**.
وهو مصدر المعاني المجازية للتعبيرات الاصطلاحية في الشبكة المنشودة. وتُقدِّمُ الدِّرَاسَةُ جَمْعَ مَادَّتِهِ مِنَ الْمُعْجَمِيِّينَ التَّالِي ذِكْرُهُمَا:
- **قاموس المُتَعَلِّمِ لِلتَّعَابِيرِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ Learner's Dictionary of Classical Arabic Idioms**، الَّذِي حَرَّرَهُ الْأَسْتَاذُ لِيْزِي مَآكُلُو كَلِينِ Leslie J. McLoughlin، وَنُشِرَ فِي عام ١٩٨٨ م.
- **المُعْجَمُ السِّيَاقِيّ لِلتَّعْبِيرَاتِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ**، الَّذِي حَرَّرَهُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلَ صِينِي وَآخَرُونَ، وَنُشِرَ فِي ١٩٩٦ م.
- **٣.٣ - المرحلة ٣: الرِّبْطُ بَيْنَ الْبَيَانَاتِ**.
وَتُعْنَى هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ بِنَاءَ الشَّبَكَةِ الْعِلَاقِيَّةِ Relational Network بَيْنَ مَدَاخِلِ الشَّبَكَةِ الْمُنشُودَةِ. وَيَجْرِي إِنْشَاؤُهَا فِي مَرَحَلَتَيْنِ فَرْعِيَّتَيْنِ، نَعْرُضُ لِهَذَا فِيمَا يَلِي.
- **١.٣.٣ - تَعْيِينُ الْحُقُولِ الدَّلَالِيَّةِ**.
- **الحَقْلُ الدَّلَالِيّ Semantic field** هُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَرْتَبِطُ

دلالاتها وتوضع تحت لفظٍ عامٍ يجمعها^(١٧). وهناك العديد من التصنيفات التي قدّمت لتكون حُقُولاً دلاليةً لمُفردات اللُغة؛ لكنّ أشملَ التصنيفات المطروحة وأكثرها منطقيّةً وملاءمةً لشبكة الكلمات العربيّة المنشودة - من وجهة نظر الباحث - هو التصنيف الذي اقترحه المعجم اليونانيّ لمُفردات العهد الجديد Greek New Testament، الذي حرّره فريقٌ من اللُّغويّين، حيثُ يضمُّ ما يقرب من ٥٠٠٠ كلمة، تحوي قوائمها ١٥٠٠٠ معنى مُعجميٍّ؛ وتدرجُ فيه المُفردات في أربعة حُقُولٍ دلاليةً^(١٨)، هي: الموجودات Entities، والأحداث Events، والمُجرّدات Abstracts، والعلاقات Relations. وتفرّعُ هذه الحُقُول الرّئيسية لتشمل حُقُولاً فرعيّةً، تفرّعُ بدورها إلى حُقُولٍ فرعيّةٍ أخرى، وهكذا.

وتقترح الدّراسة - إضافةً إلى هذا المعجم - الاستعانة بالمصادر التّالية:

- كتاب «مفهوم النّظام بوصفه أساساً لصناعة المعجم: محاولة لتصنيف النّظام» Begriffssystem als Grundlage für die Lexikographie: Versuch eines Ordnungsschemas، الذي حرّره الألمانيّان رودولف هالينج Rudolf Hallig وفالتر فون فارتبورج Walther von Wartburg، ونُشر في ١٩٦٣ م.
- مُعجم «المُخصّص»، لابن سيده الأندلسيّ (ت ٤٥٨ هـ).
- مُعجم «المنجّد في اللُغة»، لكُراع النَّمَل الهنائيّ (ت ٣١٠ هـ).

(١٧) عُمر (أحمد مختار): علم الدّلالة، عالم الكُتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨ م.

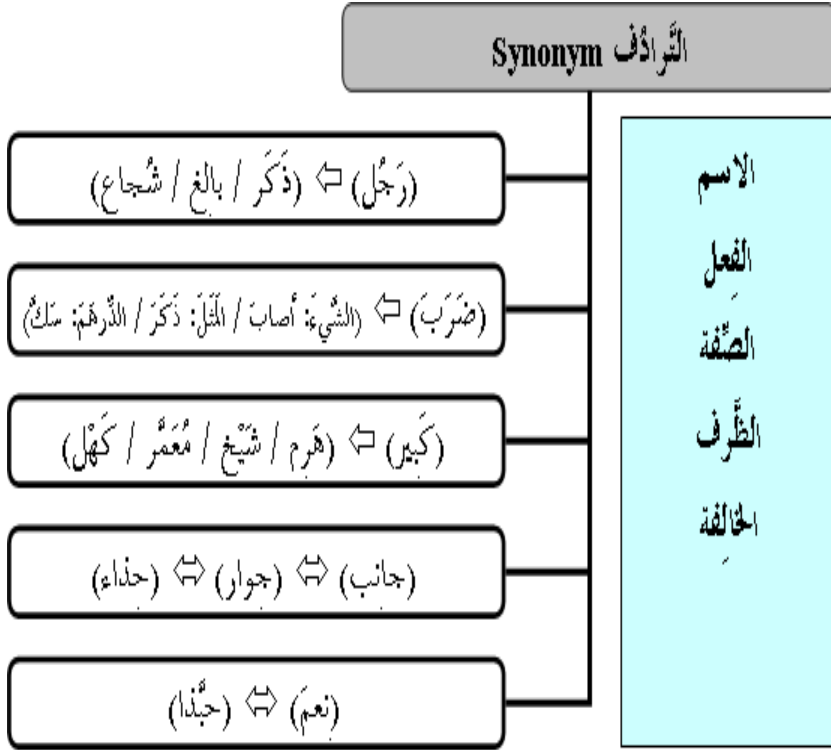


الشكل ٥:

نموذج من الحقل الدلاليّ (الأحداث) - عن مُعجم Greek New Testament

٢.٣.٣ - تعيين العلاقات الدلالية.

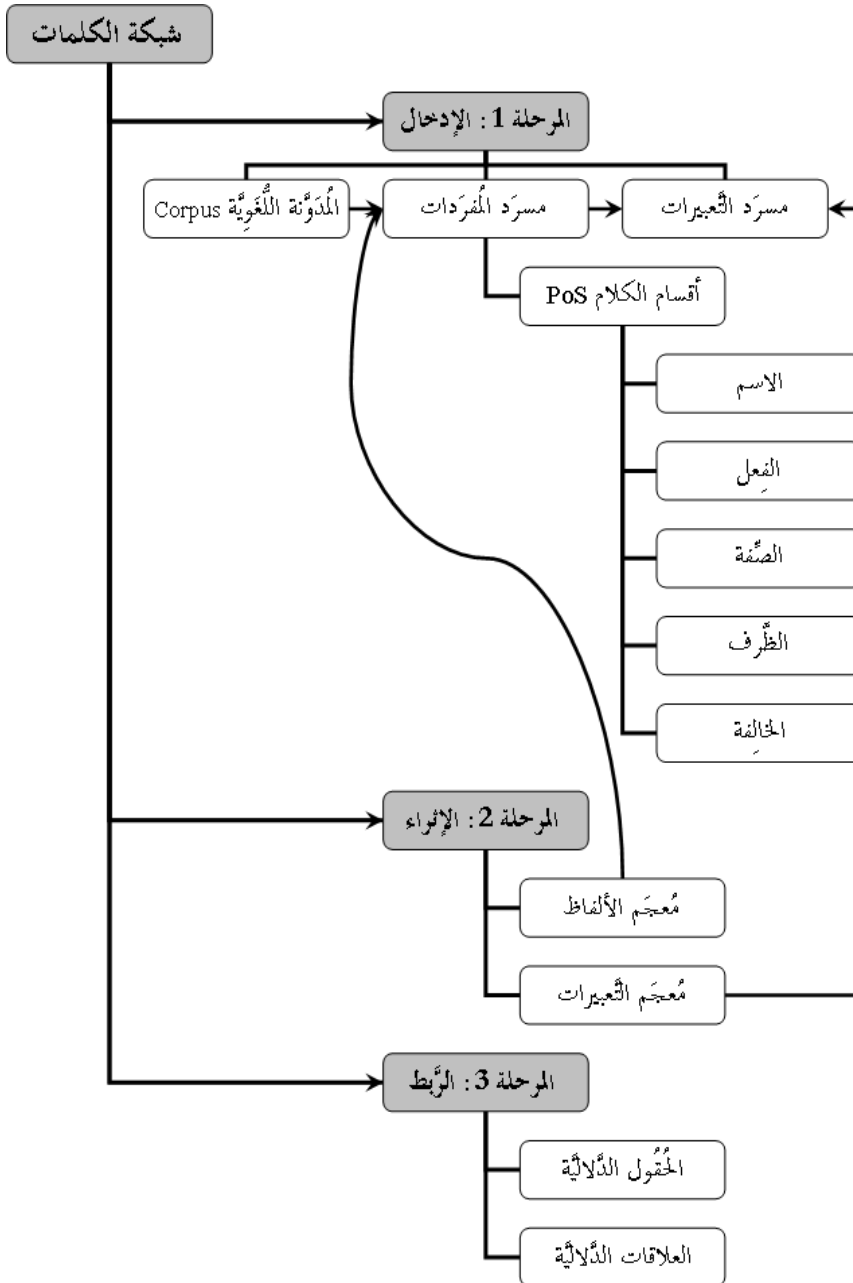
تقترح الدراسةُ الإفادة من العلاقات الدلالية المُدرجة في شبكة كلمات برينستون PWN بتطبيقها على مُفردات العربية - وفق التّقسيم الخماسيّ، على النحو المبين في المثال التّالي (مثال من العربية لعلاقة التّرادف في أقسام الكلام الخمسة).



الشَّكْل ٦: علاقة التَّرَادُف في أقسام الكلام العربيِّ

وثمَّة العديد من المصادر التي تُعنى بالعلاقات الدلاليَّة بين مُفردات اللُّغة العربيَّة، والتي يُمكن الإفادَةُ منها في تعيين العلاقات الدلاليَّة بين مُفردات شبكة الكلمات المنشودة؛ وتقتَرِحُ الدِّرَاسَةُ مصدرين رَئِيسِيَّين - إضافةً إلى شبكة برينستون PWN، هما:

- المكتز الكبير، الَّذِي حرَّرَه الدُّكتور أحمد مختار عَمَر بمُساعدة فريق عمل، ونُشِرَ في عام ٢٠٠٠ م.
- المكتز العربيِّ المُعاصر، الَّذِي حرَّرَه الدُّكتور محمود إسماعيل صيني وآخرون، ونُشِرَ في ١٩٩٣ م.



الشكل ٧: الخطوات المنهجية لبناء شبكة الكلمات العربية المنشودة

٤ - التّطبيق.

ثمّة العديد من التّطبيقات التي تُمثّل جوانب إفادة من شبكة الكلمات العربية المنشودة، والتي ترتبط بالية التحليل الدلالي للعربية Semantic analysis. من هذه التّطبيقات: تنمية المحتوى الإلكتروني للعربية على الشبكة العنكبوتية Internet - سواءً أكان محتوى حرّاً On-Line أم مُحزناً Off-Line، وتطوير عمل مُحركات البحث العربية Arabic Search engines، والمساهمة في بناء وإثراء الأنطولوجيا العربية المنشودة Arabic Ontology، وتنمية بيئة الويب الدلالي، وتطبيقات صناعة المعجم العربي؛ والتّطبيق الأخير هو الذي يعيننا في هذه الدراسة.

إنّ الاعتماد على الموارد اللغوية (المُدونة اللغوية، ومُعجم المفردات / الألفاظ، ومُعجم التعبيرات الاصطلاحية) يُثمر هيكلًا مُعجميًا يتوافق مع مُعجمات الألفاظ؛ كما يُثمر الرّبط بين الموارد اللغوية باستعمال الحُقُول الدلالية - من ناحية - والعلاقات الدلالية - من ناحية أخرى - هيكلًا مُعجميًا يتوافق مع مُعجمات الموضوعات.

ويمكن القول بعبارة أخرى: إنّ الالتزام بمعايير بناء شبكات الكلمات - مع مُراعاة مُناسبتها لطبيعة اللغة العربية على مُستوى المباني والمعاني - عند إعداد شبكة الكلمات العربية المنشودة سيُثمر قاعدة بياناتٍ مُعجمية هائلة تتشكّل في هيكلٍ مُعجميٍّ ضخم، يجمع بين مُعجمات الألفاظ ومُعجمات الموضوعات، ويصلح موردًا لغويًا للعديد من التّطبيقات المُتعلّقة بقضايا اللغة العربية عُمومًا وتقنياتها على وجه الحُصوص.

ومن هذا الهيكل المعجمي الذي يتشكّل في مجموعة من الحُقُول / المجالات الدلالية، نستطيعُ بناءَ العديد من المعجمات اللغوية المُتخصّصة، التي يدعو إليها تنامي المعارف ونُشوءُ العديد من العُلوم البينيّة (كحوسبة اللُغة، والهندسة الطّبيّة، والرّياضيّات الفيزيقيّة)؛ وهذا ممّا يدعمُ تعريبَ العُلوم ويُساعد على إثراء المحتوى العربيّ.

٥- نتائج الدّراسة.

وبعد... فقد خلّصت الدّراسة إلى التّائج التّالية:

١. رأت الدّراسةُ أنّ شبكة الكلمات العربيّة المنجزة AWN ليست شبكةً للكلمات بالمفهوم الدّقيق، وإنّما هي ترجمةٌ أو محاكاةٌ لبعض أجزاء الشّبكة الإنجليزيّة «برينستون» PWN؛ وقد أدّت هذه التّرجمة إلى قُصورٍ منهجيّ، تمثّل في: اعتبار العربيّة لغةً لصقيّة، وإغفال أثر البيئّة في اللُغة.

٢. اقترحت الدّراسةُ منهجيّةً لبناء شبكةٍ للكلمات العربيّة انطلاقاً من شبكة كلمات برينستون PWN، مع مُراعاة طبيعة اللُغة العربيّة. وتقوم المنهجية المقترحة على ثلاث مراحلٍ أساسيّة، هي (الإدخال، والإثراء، والرّبط بين البيانات).

٣. اقترحت الدّراسة تقسيم الكلام في الشّبكة المنشودة إلى خمسة أقسام، هي: الاسم، والفعل، والصفة، والظرف، والخالفة.

٤. اقترحت الدّراسةُ الإفادة من مواردٍ لغويّة مُعيّنة في تعبئة شبكة الكلمات المنشودة وإثراء محتواها، وتمثّلت في: (المُدونة اللغويّة، ومسرديّ المُفردات والتّعبيرات، ومُعجميّ المُفردات والتّعبيرات، ومُعجميّ الحُقُول الدلاليّة والعلاقات الدلاليّة).

٥. عرّضت الدّراسةُ لبعض تطبيقات شبكة الكلمات، لا سيّما في صناعة المعجم.

٦- اِخْلاَصَات

سَعَتْ هَذِهِ الْوَرَقَةُ لِتَمْيِيزِ بَيْنِ الْمُصْطَلَحَاتِ الثَّلَاثَةِ (شَبَكَةُ الْكَلِمَاتِ، وَالشَّبَكَةُ الدَّلَالِيَّةُ، وَالْأَنْطُولُوجِيَا)؛ وَعَرَضَتْ الدَّرَاسَةُ لِإِشْكَالِيَّةِ شَبَكَةِ الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا قَدَّمَتْ مِنْهَجًا مُقْتَرَحًا لِبِنَاءِ وَإِثْرَاءِ الشَّبَكَةِ الْمَنْشُودَةِ بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ طَبِيعَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ تَطْبِيقَاتِ الشَّبَكَةِ فِي تَقْنِيَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَصِنَاعَةِ الْمُعْجَمِ الْعَرَبِيِّ.



٧- (المصاحف الأوروالمراجع)

(1) Fellbaum, C., (1998). WordNet: an electronic lexical database. Cambridge, Mass: MIT Press

(2) Black, W., Elkateb, S., Rodriguez, H, Alkhalifa, M., Vossen, P., Pease, A. and Fellbaum, C., (2006). Introducing the Arabic WordNet Project, in Proceedings of the Third International WordNet Conference, Sojka, Choi, Fellbaum and Vossen eds.

(3) Staab, S., Studer, R., (2004). Handbook on ontologies. Birkhäuser.

(4) Poli, R., Healy, M., Kameas, A., (2010). Theory and Applications of Ontology: Computer Applications. Springer.

(5) Finegan, E., (2011). Language: its structure and use. Thomson Wadsworth. 6th Edition.

(6) Ginsburgh, V., Weber, S., (2011). How many languages do we need?: the economics of linguistic diversity. Princeton University Press.

(٧) السَّعِيدُ (المُعْتَزُّ بِاللَّهِ): اللُّغَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، دار الهاني للنَّشْر، القَاهِرَةُ، ط١، ٢٠١١م.

(8) <http://www.illc.uva.nl/EuroWordNet/>

(9) <https://gforge.inria.fr/projects/wolf/>

(10) <http://www.ontologyportal.org/>

(11) <http://www.mpi-inf.mpg.de/yago-naga/yago/>

(١٢) السَّعِيدُ (المُعْتَزُّ بِاللَّهِ): مُدَوَّنَةٌ مُعْجَمٌ تَارِيخِيٌّ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ «مُعَالَجَةٌ لُغَوِيَّةٌ

حَاسُوبِيَّةٌ»، رِسَالَةٌ دَكْتُورَاهُ، جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ، ٢٠١١م.

(١٣) حَسَّانُ (تَمَّامُ): مَنَاهِجُ الْبَحْثِ فِي اللُّغَةِ، مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو، الْقَاهِرَةُ، ط١، ١٩٥٥م.

(١٤) أَنَيْسُ (إِبْرَاهِيمُ): مِّنْ أَسْرَارِ اللُّغَةِ، مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو الْمِصْرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ،

ط٤، ١٩٧٢م.

(١٥) حَسَّان (تَمَّام): اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ «مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا»، الهَيْئَةُ الْمِصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ،

القاهرة، ط٢، ١٩٧٩ م.

(١٦) عُمَر (أحمد مُحْتَار): علم الدَّلَالَةِ، عالم الكُتُبِ، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨ م.

(17) United Bible Societies: The Greek New Testament.

ISBN 3-438-05110-9.



الصورة التشبيهية في شعر الخباز البلدي

د. أحمد علي محمد (*)

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول هذا البحث الصورة الفنية المتمثلة بالتشبيه في شعر الخباز البلدي المتوفى سنة ٣٨٠ هجرية، ضمن مفهوم الصناعة الشعرية التي آلت ظواهرها إلى شيء من الاحتراف في القرن الرابع الهجري، على يد عدد من الشعراء في تلك الحقبة من تاريخ الشعر العربي. بيد أن المسألة المهمة التي يحاول هذا البحث التطرق إليها تتمثل في إعادة النظر في صلة الصورة التشبيهية بثقافة الشاعر، من الجهة التي تنم على إيجاد تلك الصورة بمعزل عن مفهوم التطور الفني الذي آل إلى شيء من التعنت، طلباً للزركشة والتنميق وتحسين صور الكلام ومضامينه، مما يكشف أن طبيعة تلك الصورة لا تخضع لمعايير ذوقية تتصل بتطور المجتمع العربي بمقدار اتصالها بمفهوم المحاكاة. فمن هنا أمكن تقدير قيمة الصور، ليس بقدرتها على التناغم مع تطور الذوق الفني، بل بقدرتها على محاكاة النماذج الفنية السابقة، وذلك بالعودة إلى طبيعة الفن المتعلقة أصلاً بالعفوية والبساطة أكثر من تعلقها بالتطور

(*) عضو الهيئة التدريسية في جامعة دمشق.

والتعقيد والثقافة. فمن هنا اتضح حقيقةً في هذا المجال فحواها أن قيمة الصورة الفنية تتحدد بقدرتها على التأثير، وقدرتها على التخيل، ومن هذه الجهة كان شعر الخباز في مجال الصورة مثلاً دالاً على محاكاة الفن في صورته الفطرية، ولم يكن في حال من أحواله تعبيراً عن نموذج متطور آل إليه الشعر العربي وهو يقطع رحلته في مجال التعبير عن أحوال الثقافة.

١ - مفهوم الصورة

أشاع نفرٌ من الدارسين المحدثين مقالاتٍ شتى، تشي بأنَّ الصورة بمجالاتها الفنيّة والبلاغية مصطلح نقدي نهض أمانةً على تطوّر التفكير الأدبي والتّقدي الحديث، والحقُّ أنّ كلمة (صورة) استعملت في المؤلفات الأدبية والتّقديّة والبلاغية العربية القديمة بمعنيين: الأول عام يدلُّ على الشكل والهيئة واللفظ وكلّ ما هو منوطٌ بالظاهر كقول العتّابي: «الألفاظ أجسادٌ والمعاني أرواحٌ، وإنّما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّراً، أو أخّرت منها مقدّماً أفسدت الصورة..»^(١)، فجاءت كلمة (الصورة) في عبارته السالفة مرادفةً للشكل، وهذا ضرب من الاستعمال اللّغوي العام. والثاني خاص قريب من المعنى الاصطلاحي المتداول في الدرس التّقدي المعاصر للصورة الفنيّة، بوصفها وسيلةً حسية لتقديم المعنى، وهذا الاصطلاح لامسه التوحيد في كلامه على الصورة اللّفظية المسموعة فقال: «وأما الصورة اللّفظية فهي مسموعة بالآلة التي هي الأذن، فإن كانت عجماء فلها حكمٌ، وإن كانت ناطقة فلها حكم، وعلى الحالين فهي بين مراتب

(١) العسكري، أبو هلال (الصناعتين) تحقيق محمد أمين الخانكي طبع الأستانة، ١٣٢٠ هـ

ثلاث: إما أن يكون المراد بها تحسين الإفهام، وإما أن يكون المراد بها تحقيق الإفهام، وعلى الجميع فهي موقوفة على خاص ما لها في بروزها من نفس القائل ووصولها إلى نفس السامع، ولهذا الصورة بعد هذا كلّه مرتبة أخرى إذا ما زجها اللحن والإيقاع بصناعة الموسيقا، فإنّها حينئذ تُعطي أموراً ظريفة، أعني أنّها تلذّ الإحساس وتلهب الأنفاس وتستدعي الكأس والطاس، وتروّح الطبع، وتُنعم البال وتذكّر بالعالم المشوق إليه والمتلَهّف عليه»^(٢).

ومن المهم أن نشير إلى أنّ اللفظ في حقيقة الأمر صورة تتصل بالفنّ من جهة إحالته على دلالة ما، من أجل ذلك استقر في وعي التوحيدي تصنيف وسائل الأداء في جهات عدة وقع بعضها في الجهة اللفظية، وهو تصنيف صحيح بحسب الفهم التقدي المعاصر لوظيفة الصورة، ذلك لأنّ اللفظ من الناحية الدلالية شكل وإطار للمعنى، وقد عبّر التوحيدي عن ذلك بتسمية اللفظ صورة تُدرك بألة الأذن، وهو ما يُعرف اليوم بالصور السمعية، كذلك وعى أنّ ذلك الضرب من الصور ينجم عنه وظائف شتى جعلها ثلاثاً: تحسين الإفهام، وهي وظيفة متصلة بالإدراك الجمالي للمعنى الناجم عن التلفظ، فمن الكلام ما يثير القبح ومنه ما يثير الجمال، لهذا حصر وظيفة الصور الكلامية المسموعة بتحسين الفهم، أي تقديم المعنى بأحسن هيئة لفظية، فيكون من هذه الجهة تحسناً للإفهام، وليس الفهم، والفارق بينهما أن الإفهام تمكين الفهم بأحسن الوجوه وبأتمّ الوسائل، كذلك توخّى من الصورة اللفظية تحقيق الفهم، أي تمكين العقل من إدراك المراد، وأخيراً أشار إلى امتزاج

(٢) التوحيدي (الإمتاع والمؤانسة) صححه وضبطه وشرحه غريبه أحمد أمين وأحمد الزين،

الصورة اللفظية بالّلحن والإيقاع لإحداث التأثير. وهذا الكلام لا يخرج في الحقيقة عن طبيعة الصورة التداولية ووظيفتها التواصلية. أما الجانب البلاغي للصورة المتصل بالتشبيه والاستعارة والكناية فقد برز بوضوح في كتاب (الإيضاح) للقزويني، ولاسيما في تعليقه على شعر لابن الرومي يقول فيه:

ولازوردية تزهو بزرقتهما من الرّياض على حُمُرِ اليواقيتِ
كأنّها فوق قاماتٍ ضَعُفْنَ بها أوائلُ النَّارِ في أطرافِ كِبْرِيَتِ

فذكر: أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن نُدرّة حضور صورة بحرٍ من المسك موجّه الذهب، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج، فإذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى نارهما...»^(٣). كما تحدث عن صلة الصورة بالخيال فذكر في معرض تعليقه على قول الشاعر:

ثلاثة تُشْرِقُ الدُّنْيَا ببهجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسحاقَ والقمرُ

أن الوهم يُنزل المتضادين والشبهين منزلة المتضامين فيجمع بينهما في الذهن، ولذلك تجد الضدّ أقرب خطوراً في البال مع الضدّ، والخيالي أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق، وأسبابه مختلفة، ولذلك اختلفت الصورة الثابتة في الخيالات ترتباً ووضوحاً، فكم صور تتعاقب في خيال وهي لا تتراءى...»^(٤).

فهذان مثالان يشيران إلى أن مفهومي الصورة الفنيّ والبلاغي لم يكونا بعيدين عن أذهان النقاد والبلاغيين المتقدمين. وبالطبع هنالك أمثلة كثيرة تحدث البلاغيون

(٣) القزويني (الإيضاح في علوم البلاغة) تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي ٢٠٠٠م، ص ٤٢٣.

(٤) القزويني (الإيضاح في علوم البلاغة) تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي ٢٠٠٠م، ص ٤٢٣.

من خلالها عن ماهية الصورة وأدواتها ووظائفها في أثناء كلامهم على التصوير، ذلك لأنّ مصطلح التصوير عندهم أعمّ من مصطلح الصورة، وكان نفرّ منهم توسّع فيه ليشمل الشعر كلّ، كما هو الشأن عند الجاحظ في قوله: «الشعرُ صناعةٌ وضرب من النسخ وجنس من التصوير»^(٥). في حين مال المتأخرون وعلى رأسهم القزويني إلى مصطلح الصورة، فجرد من ذلك المصطلح تعبيراً يلتصق بالتطبيق البلاغي على نحو خاص، كما بينت الشواهد المتقدمة، وفي ذلك إشارة إلى أنّ مصطلح الصورة شاع في تطبيقات البلاغيين الذين حللوا الشواهد الشعرية على نحو خاص.

٢- ولع الخباز بالتشبيه

كان مجال الاهتمام النقدي بالخباز البلدي ضئيلاً، وقد ذكّر عَرَضاً في مصنّفات بعض مؤرخي الأدب الذين تكلموا بصور خاطفة على شعراء اليتيمة، كما أنّ سيرته في مصادر الأدب يسيرة موجزة، فقلما احتفت تلك المصادر بتفصيلات حياته، وليس هنالك ما يفيض عما ذكره الثعالبي في «يتيمة الدهر» عن اسمه وبعض صفاته وحفظه القرآن وتمثله بعض معانيه ولفظه في شعره، فقال: هو محمد بن أحمد بن حمدان، المعروف بالخباز البلدي، وهو من بلدة يقال لها «بلد» من بلاد الجزيرة التي منها الموصل^(٦).

(٥) الجاحظ (الحيوان) تحقيق عبد السلام هارون، مصر ١٩٧٦م، ٢/٤٩٦.

(٦) الثعالبي (يتيمة الدهر) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار السعادة بمصر ١٩٥٦م،

وقد نقل عنه كل من الصفدي في «الوافي بالوفيات»^(٧) والقفطي في «المحمدون من الشعراء»^(٨). وما يدعو إلى الاهتمام بالخباز وشعره في هذا المبحث ميله الشديد إلى التعبير بالصورة عن معانيه الشعرية على نحو يشف عن ظاهرة فنية حريّة بالدّرس وجديرة بالبحث، يضاف إلى ذلك جودة شعره عامة، وقد أشار الثعالبي إلى ذلك في قوله: «ومن عجيب شأنه أنّه كان أميّاً، وشعره كلّه مُلحٌ وتُحفٌ وعُغرٌ وظرفٌ ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسنٍ أو مثلٍ سائر»^(٩).

وموطن العجب فيما ذكره الثعالبي عن الخباز أنّه كان شاعراً أميّاً، مع أنّه من شعراء القرن الرابع، إذ ترجع سنة وفاته إلى سنة ٣٨٠ هجرية، وقد سمى الخباز نفسه الشاعر الأمّي في قوله^(١٠):

بَالُغَتَ فِي شَتْمِي وَفِي ذَمِّي وَمَا خَشِيَتَ الشَّاعِرَ الْأُمِّي
ومما تعجب منه الثعالبي أيضاً أنّ مقطعات الخباز كلّها تُحفٌ وظرفٌ، ومعانيه حسان وأبياته سائرة، والحق أنّ طائفة غير يسيرة من مصنفات الأدب والبلاغة التي ألّفت في الأزمنة التي تلتها كانت قد ذكرت له كثيراً من المعاني الجيدة والصور النادرة، أي إن أشعاره استحالت شواهد على المعاني والتشبيهات والاستعارات، وآية ذلك ما عُرض من شعره في «المحب والمحبوب» للرفاء و«المحمدون من الشعراء» للقفطي،

(٧) الصفدي (الوافي بالوفيات) نشر جمعية المستشرقين الألمان ٤ / ٤٥١.

(٨) القفطي (المحمدون من الشعراء) تحقيق رياض عبد الحميد مراد، ط ٢، دار الفكر بيروت، ١٩٨٨ م، ص ٣١.

(٩) الثعالبي (يتيمة الدهر) ص ٦٨ / ٣.

(١٠) المصدر السابق.

و«الوافي بالوفيات» للصفدي و«أنوار الربيع» لابن معصوم و«ديوان المعاني» للعسكري و«ذيل مرآة الزمان» لليونيني و«سرور النفس» للتيفاشي و«وغرائب التنبهات» لابن ظافر و«محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني و«معاهد التنصيص» للعباسي و«نهاية الأرب» للنويري و«يتيمة الدهر» للثعالبي وغيرها.

إنَّ أهمَّ سمة تتحلَّى بها أشعار الخباز الولوع بالتعبير الفني المتمثل بالتشبيه وهو أمر منسجم مع طبيعته، مع أنَّه أميٌّ كما أشار الثعالبي آنفاً، بمعنى أن الميل إلى التصوير لم يكن نتاج ثقافة بل كان ميلاً فطرياً جعله ينتمي إلى عصر لا يحفل بشيء بمثل احتفاله بالصورة، فإذا كان التصوير سمة من سمات الشعر المحدث، وعلامة من علامات الصنعة الفنية في الشعر العباسي عامة، لما تؤدِّيه من زخرفة وأناقة على مستوى اللفظ وعلى مستوى المعنى، فإنَّ حيزاً واسعاً في مجال تجويد تلك الأداة كان منوطاً بالخباز، بوصفه شاعراً مختصاً بالتعبير التصويري، وهذا ما جعله واحداً من صناع الشعر المجود في عصره، إذ الجودة التي تحققت لشعره من خلال التصوير لم ترجع إلى تمسكه بثقافة الشعراء وما تستلزمه تلك الثقافة من الاطلاع على ألوان الفنون والعلوم في عصره، ذلك لأنَّ تلك الثقافة لا يبلغها شاعر أميٌّ، وإنَّما ترجع إلى حفظه القرآن وتمثله معانيه ولفظه في شعره، وقد بزَّ الشعراء في هذه الناحية فكانوا عيالاً عليه في مجال الاقتباس على نحو خاص.

لقد كانت نزعة التصوير عند الخباز بديهية وطبعاً، بمعنى أنَّه انحاز إلى التعبير الفني بفطرته، مع ما لهذه الناحية من تعقيد، لا يجلو غوامضها سوى من أوغل في تثقيف نفسه وتمهير أدواته، إذ التصوير سبيل الكلام، وهو من نَمَّ سبيل المعنى كما يقول عبد القاهر الجرجاني: «سبيل الكلام سبيلُ التصوير والصياغة، و(إن)

سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم أو سوار، فكما أنه محال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وجودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل، كذلك إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه، وكما لو فضلت خاتماً على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود، أو فضة ذاك أنفس، لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم...»^(١١).

والحق أن الخباز لم يقصر جهده على تجويد الصياغة وتمهير الأدوات، بل كان يسعى سعياً حثيثاً لتجويد المعاني، وذلك بالالتكاء على معاني القرآن، إذ شغف باقتباس عبارات كثيرة من آيه، وهنا تتمثل الطرافة إذ تجد كثيراً من شواهد شعره استحال فيها الاقتباس القرآني غاية لا وسيلة.

كان الخباز قد حفظ القرآن كما أشار الثعالبي آنفاً، من دون أن يطلع على علومه، أو يثقف نفسه بثقافته، من هنا كان تمثله أسلوب القرآن على هيئة اقتباس ونقل، بيد أن ذلك الاقتباس جاء مكيناً في مواضعه، لا تظهر فيه علامات التكلف أو أمارات التعمّل أو حيل النظم، فإذا ما دارت آية أو عبارة قرآنية في وجدانه، انداح لها سياق حلو في أناشيده، لتزداد تلك الأناشيد روعة وجمالاً، لذا كانت اقتباساته تحبيراً وتفويهاً ونقشاً تزدان بها صناعته، وقد جاءت على أنواع منها تغيير لفظ المقتبس بزيادة كلمة كقوله^(١٢):

(١١) الجرجاني، عبد القاهر (أسرار البلاغة) تحقيق هـ ريتز، ط ٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣م،

ألا إن إخواني الذين عهدتُهم أفاعي رِمَالٍ لا تقصُرُ عن لَسْعِي
ظننتُ بهم خيراً فلما بلوتُهم نزلتُ بوادٍ منهم غير ذي زرع
فالزيادة في قوله (منهم) إذ توسطت بين قوله تعالى: «بوادٍ» وقوله تعالى
﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم آية ٣٧] ، وهو نوع جوزه البلاغيون فقيلاً: يجوز «تغيير
لفظ المقتبس بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير»^(١٣). وهو بعدئذ من المقتبسات
المباحة المبذولة لأنه متصل بقصص القرآن^(١٤).

وهناك نوعٌ ثانٍ حافظ فيه على لفظ المقتبس كقوله^(١٥):

كأن يميني حين حاولتُ بسطها لتوديعِ إلفي والهوى يذرفُ الدمعَا
وقائلة هل تملكُ الصبرَ بعدنا فقلتُ لها لا والذي أخرجَ المرعى
كأن الخباز قد وجّه الشعراء من بعده إلى هذا الاقتباس فجرى مجراه ابن
الوردى (ت ٧٤٩هـ) في قوله^(١٦):

وإن قيل هل ترعى عذارى مؤزياً أقول له إي والذي أخرجَ المرعى
والشيخ أبو المواهب (ت ١٠٣٧هـ) في قوله^(١٧):

بلادٌ على أفقِ السماء محلُّها أحنُّ إليها والذي أخرجَ المرعى

(١٣) ابن معصوم (أنوار الربيع في أنواع البديع) تحقيق شاعر هادي شكر، ط ١، النجف
١٩٦٨م، ٥/٣٣٤.

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) الصفدي (الوافي بالوفيات) ٤/٤٥٨.

(١٦) الأنطاكي، داود (تزيين الأسواق) ص ٢١١.

(١٧) ابن معصوم (سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر) ص ٥٨٠.

في حين عمد ابن أبي حصينة الأحدب إلى زيادة كلمة على المقتبس السابق في قوله^(١٨):

فَقُلْ لِمَنْ سَامَنِي تَرَكَ الْغَرَامِ بِهَا لَمْ أَسْأَلْهَا وَالَّذِي قَدْ أَخْرَجَ الْمَرْعَى
وِثْمَةً ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْاِقْتِبَاسِ فِي شِعْرِ الْخَبَازِ أوردته على سبيل التمثيل
بقصص القرآن كالإشارة إلى صواع الملك في قصة يوسف عليه السلام،
إذ يقول^(١٩):

أَتَرَى الْحِيرَةَ الَّذِينَ تَدَاعَوْا بُكْرَةً لِلرَّحِيلِ قَبْلَ الزَّوَالِ
عَلِمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي رَاحِلٌ فِيهِمْ أَمَامَ الْجَمَالِ
مِثْلَ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوِ مِثْلَ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوِ
وقد احتذى على هذا الاقتباس شاعر محدث اسمه جعفر الحلي (ت ١٣١٥ هـ)
فقال^(٢٠):

وَالْفَخْرِي لِي إِنْ كَلْتُ صَاعَكَ بِالثَّنَا إِذْ لَيْسَ يُفْقَدُ لِلْعَزِيزِ صُوعًا
وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْاِقْتِبَاسِ بِطَرِيقِ التَّمْثِيلِ قَوْلُ الْخَبَازِ^(٢١):
سَارَ الْحَيْبُ وَخَلَّفَ الْقَلْبَا يُبْدِي الْعَزَاءَ وَيُضْمِرُ الْكَرْبَا
قَدْ قُلْتُ إِذْ سَارَ السَّفِينُ بِهِمْ وَالشُّوقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي مَهَبَا
لَوْ أَنَّ لِي عِزًّا أَصُولُ بِهِ لِأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبَا

(١٨) الصفدي (الوافي بالوفيات) ٤/٤٦٦.

(١٩) ابن ظافر (بدائع البداية)، طبع بالقاهرة سنة ١٢٧٨ هـ، ص ٢٨٨.

(٢٠) الخاقاني (شعراء الحلة) ص ١٣٣.

(٢١) الصفدي (الوافي بالوفيات) ٤/٤٥٥.

وكان احتذى عليه أيضاً محمد شهاب الدين (ت ١٢٧٤هـ) فقال^(٢٢):

لولا الهوى لأخذتُ كُلَّ سفينةٍ غَضَباً ولم ألكُ في السفائن مُنْصِفاً
من الطريف أن اقتباسات الخباز استحالت سياقات شعرية، بمعنى أن الآيات
التي قبس بعضها منها كانت موضع احتذاء عند من جاء بعده، فلم نجد فيما اطلعنا
عليه من تناول تلك الآيات قبله، فكان أول من أدرجها بين أطواء شعره، ثم تمثل
الشعراء بصنيعه، ولم يكن ذلك محض مصادفة، بسبب تكراره في نتاج عدد من
الشعراء اللاحقين، وفي أكثر من موضع، وهنا تتمثل الطرافة فكأنه وجه الشعراء إلى
هذا الضرب من الاقتباس، وليس ذلك فحسب بل نقلت سياقاته نفسها تقريباً،
ليستحيل ذلك نوعاً من التناص والافتداء.

تحولت مقبوسات الخباز في الشواهد السالفة أغراضاً وغايات، وهذا الصنيع
لا يدخله الجور، ولا يلبسه الحيف، لأنه جعل من كلامه فرشاً ثم أورد الاقتباس
ليكون له غطاء، وما من حيلة فنية تكمن وراء عمله هذا سوى بلوغ الاقتباس
ليرتفع به الكلام ويعلو به الشعر، وفي ذلك بذور صناعة لفظية عرفت بعدئذ
بالتوجيه عند متأخري الشعراء^(٢٣)، غير أن الخباز أخفى خيوط صنعته المتمثلة
بسعيه المقصود إلى الاقتباس، وكل ذلك ليعث في نفس المتلقي ظناً بأن تلك
الاقتباسات وردت وروداً تلقائياً، كما هو الشأن عند سابقه، إلا أنها هنا مقصودة،

(٢٢) شهاب الدين، محمد (ديوانه) ص ٨٩.

(٢٣) التوجيه: أن يؤلف متكلم مفردات في بعض كلامه يوجهها إلى أسماء متلازمة مع أسماء
الأعلام أو قواعد العلوم وغيرها توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك
خلافاً للتورية.

وليس ذلك فحسب بل إن إلحاحه على الاقتباس بهذه الصورة المطردة مؤثر صنعة توهجت كما أشرت عند أهل البديعيات فيما بعد.

٣- الصورة التشبيهية

ربما كان التشبيه من أقدم الوسائل التصويرية التي اهتدى إليها الشعراء العرب في الجاهلية، إذ برز في نتاج المتقدمين من أمثال امرئ القيس، فكان الشعراء من بعده عيالاً عليه في أشياء كثيرة منها جودة التشبيه، قال ابن قتيبة: «وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها استحسناها العرب، واتبعه عليها الشعراء منها استيقافه صحبه في الديار ورقة الغزل وقرب المأخذ، ويستجد من تشبيهه قوله^(٢٤)»:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي
وقد عدّ ابن رشيق هذا المعنى مُحْتَرَعًا، لأنّ امرأ القيس أوّل من ابتكره فلم ينازعه عليه أحد^(٢٥)، وكان ممن استسلم إليه في تشبيهه السابق بشار بن برد في قوله^(٢٦):

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَوْوَسْنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ
وللعرب طرائق في التشبيهات أحسنها كما ذكر ابن طباطبا «إذا ما عكس لم ينتقض، بل يكون كلّ مشبه بصاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى»^(٢٧)، كما أنّ العرب بنت تشبيهاتها على الطبع فحسن موقعها في النفوس، فقيل: «إذا اتفق لك في

(٢٤) ابن قتيبة (الشعر والشعراء) طبعة ليدن ١٨٧٥م، ١/٥٧.

(٢٥) ابن رشيق (العمدة) تحقيق محمد قرقران، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م، ١/٤٤٩.

(٢٦) المصدر السابق.

(٢٧) ابن طباطبا (عيار الشعر) تحقيق طه الحاجري وزغلول سلام، ط بمصر، ص ١٥٥.

أشعار العرب التي يُحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول، أو حكاية تستغربها، فابحث ونقر عن معناه، فإنك لا تعدم أن تجد تحته خبيثة إذا أثرها عرفت فضل القوم بها، وعلمت أنهم أدق طبعاً من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته»^(٢٨).

ومن المهم أن نشير إلى أن الخباز قد جرى في تشبيهاته مجرى الطبع، إذ لم يجانب طريقة العرب في تشبيهاتها، من أجل ذلك ترى أن معظم صوره التشبيهية بسيطة وعميقة في آن، وكان ذلك من أسباب قبولها، فأنت لا تجد معاني عميقة في شعره يكشف التشبيه غوامضها، أو يقربها من الأفهام لعسرتها، بل تراه يتناول المعنى المتداول، يخرج به بتساوير بسيطة ولكنها طريفة ممتعة، يقول في وصف سكين عليها طائر كان أحد أصحابه أهدها له^(٢٩):

أَوْقَدَ الصَّقْلُ مَاءَ إِفْرِنْدِهَا الْجَارِي فجاءت كالنَّارِ ذَاتِ اشْتِعَالِ
جَوْ نُورٍ لَمْ تَخْلُهُ بَدْعَةُ الصَّنِّ عَةٍ مِنْ طَائِرٍ بِدِيعِ الْمِثَالِ
عَامَ فِي لَوْلِيٍّ وَلَكِنَّهُ قَدْ قَامَ فِيهِ مُذَهَّبُ السَّرْبَالِ

لعلك ترى أن التشبيه أهم ما في هذا الشاهد، ثم ترى إذا ما دقت النظر أن المعنى بسيط ولا يُعدّ في معاني الشعر، كما أنه لا يدخل في موضوعاته الفنية الأساسية، بيد أن الخباز كلف بالأداة مغرم بالوسيلة التشبيهية. وهذا مؤثر طبع، ونحن هنا لا نعرض هذا التشبيه للدلالة على تفوقه في هذا الباب، بل نعرضه للدلالة على أن التشبيه عنده غاية ومطلب لأنه لصيق بوجوده، أو أنه أداته الطيبة التي يستعين بها في التعبير عما يجول في خاطره، وأما مهارته في عقد التشبيهات

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩) الخالديان (التحف والهدايا) ص ٢١١.

فِيْبَيْئِنَهَا قَوْلُهُ (٣٠):

رُهْبَانُ دَيْرٍ سَقُونِي الْخَمْرَ صَافِيَةً مَثَلُ الشَّيَاطِينِ فِي دَيْرِ الشَّيَاطِينِ
غَدُوا سِرَاعاً كَأَمْثَالِ السَّهَامِ بَدَتْ مِنَ السَّقْيِ وَرَاحُوا كَالْعَرَاجِينِ
وَكَانَ شَرِبُهُمْ فِي صَدْرِ مَجْلِسِهِمْ شَرَبَ الْمُلُوكِ وَنَامُوا كَالْمَسَاكِينِ

ينهض هذا الشاهد دليلاً على مذهب الخباز في التصوير، إذ هو لا يورد التشبيه بصورة تستفرغ معنى جزئياً يُعرض في بيت واحد، بل تجد أن الصورة تتناسل لتتجم عنها صورة أخرى، حتى تغدو القصيدة كلها سلسلة من التصاوير البديعة، انظر كيف يجعل السقاة كالشياطين من جهة السرعة في تقديم الشراب، وقد أقاموا في دير الشياطين وهو غربي دجلة من أعمال بلد^(٣١)، ثم يتابع الصورة في البيت الثاني ليستكمل صورة السقاة الذين غدوا سراعاً كالسهام، ثم ما لبثوا أن اعوجوا من أثر الشراب كالعراجين.

إنّ الصور الخمرية تجذب الخباز عادة، وقد مهر في صياغتها مهارة لم تتسن لغيره، وأظنه قد أضاف معاني تذكر في هذا الباب، فمن ذلك قوله^(٣٢):

وَلَيْلَةٌ بَتُّ أَجْلُو فِي غِيَاهِبِهَا عَرُوسٌ خِدْرٌ ثَوْتُ فِي الدَّنِّ مِنْ حِينِ
مَنْ كَفَّ أَهَيْفَ سَاجِي الطَّرْفِ مَعْتَدِلِ كَالْخِيزْرَانَةِ فِي قَدِّ وَفِي لَيْنِ
يَظُلُّ يَشْدُو وَقَدْ مَالَ النِّعَاسُ بِهِ شَدُوا ضَعِيفاً بِتَطْرِيْبٍ وَتَلْحِينِ
مَشَوْا إِلَى الرَّاحِ مَشِيَ الرَّخِ وَانصَرَفُوا وَالرَّاحَ تَمَشِي بِهِمْ مَشِيَ الْفَرَازِينِ

(٣٠) القاضي التنوخي (الفرج بعد الشدة)، طبعة دار الهلال بمصر ١٩٠٣م، ص ٣٠٠.

(٣١) ياقوت الحموي (معجم البلدان)، طبع بيروت ١٩٥٧م، ٢/١٢٢.

(٣٢) التنوخي (الفرج بعد الشدة) ص ٤٣٣.

ففي البيت الأخير يجعل مشية السكارى وهم يسعون إلى الشراب كمشي الرخ على رقعة الشطرنج، ثم جعل الخمر في مفاصلهم تمشي مشي الفرازين، والفرازين عند أهل الشطرنج هم الوزراء حركتهم على رقاع الشطرنج مطلقة، والمعنى أنّ سريان الخمر في أحشاء شاربها أسرع من مبادرتهم إلى شربها، وهو شاهد متنازع عليه فنسب إلى شعراء كثر منهم الخباز^(٣٣).

ترتبط صورة الخمر عند الخباز بالمجالس والديارات، وتكتمل بالسقاة والرهبان والجواري والغلمان، يقول:

ألا سُقياً لرقّة بارقانا وهيكله المشيد والقلاي
فكم من سدفةٍ باكرتُ فيها مُعصفرةً كمثّل دَمِ الغزال
وجادبها أحاولُ منه سُكراً وكان مُناعي طيف الخيال

يذكر دير «بارقانا» وهو كما يذكر ابن فضل العمري فوق الحديثة، على جانب دجلة الشرقي^(٣٤)، وكان قصده الخباز فقال: «اجتزت به فرأيت من حسنه ونضار شجره ما دعاني إلى المقام به والقصف فيه، وسألت رهبانه عن الشراب فدلوني على راهب منهم، فرأيته ظريفاً وقلايته مليحة وشرابه صافياً فابتعت منه وأقمت عنده نهاري وليليتي»^(٣٥).

(٣٣) الأبيات منسوبة للخباز في: الديارات للشابستي وكذا في الفرج بعد الشدة للتتوخي، ومنسوبة في الوافي بالوفيات للصفدي للحسن بن محمد بن مسلمة المشهور بابن رئيس الرؤساء، ومنسوبة في كتاب المحب والمحبوب للرفاء لابن لنكك، ونسبه الثعالبي في اليتيمة للسري الرفاء، مع أن الرفاء نسبه لابن لنكك كما أشير آنفاً.

(٣٤) ابن فضل العمري (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، نشره فؤاد سزكين ١٩٨٩م، ٦/ ٢١٠.

(٣٥) المصدر السابق.

للصورة الخمرية عند الخباز هالة أنيقة، فموطنها دير منيف وعاصرها راهب
ظريف، وقلابيتها مليحة، وهي بعد ذلك صافية لطيفة معصفرة حمراء^(٣٦) أشبهت في
في نظر شاربها دم الغزال، من أجل ذلك باكرها في سدفة الليل فأمضى في معاقرتها
نهاراً وليلة، ولكنها مع هذا صورة مكرورة استعار المشبه به من سابقه، ولعل أقدم
من شبه الخمر بدم الغزال الأعشى في قوله^(٣٧):

وسبيئة مما تعتق بابل كدم الغزال سلبتها جريالها

وكذا طرق هذا التشبيه الحادرة في قوله^(٣٨):

بكروا علي بسحرة فصبحتهم من عاتق كدم الغزال مشعشع

كما ترددت في شعر المتأخرين من أمثال القطامي في قوله^(٣٩):

ورقيقة الحُجراتِ بادية القذى كدم الذبيح صبحتها ندمانا

ومن الصور الخمرية عند الخباز قوله^(٤٠):

ذرى شجرٍ للطير فيه تشاجرٌ كأن صنوفَ النور فيه جواهرٌ

(٣٦) العُصْفُرُ: نبات سلافته الجريال، والجريال صبغ أحمر.

(٣٧) الأعشى (ديوانه) ص ٤٢٢، وأراد: أنه أزال عن الخمر حمرتها، فقال سلبتها جريالها
والجريال صبغ أحمر كما تقدم.

(٣٨) المفضل الضبي (المفضليات) ص ٢٣٣.

(٣٩) ابن قتيبة (المعاني الكبير) طبعة حيدر آباد الدكن ١٩٤٩م، ص ٥٠٠. أراد ببادية القذى،
أي إنها خمر صافية يرى القذى في أسفلها.

(٤٠) السري الرفاء (المحب والمحبوب) تحقيق مصباح غلاونجي، طبع مجمع اللغة العربية
بدمشق، ص ٣٠.

كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّوَضِ فِي جَنَابَتِهِ حَلَاخُ فِيمَا بَيْنَنَا وَزُرَائِرُ
كَأَنَّ الْقَهَارِي وَالْبَلَابِلَ حَوْلَهَا قِيَانٌ وَأُورَاقَ الْعُصُونِ سَتَائِرُ
شَرَبْنَا عَلَى ذَاكَ التَّرْنَمِ قَهْوَةً كَأَنَّ عَلَى حَافَتَيْهَا الدَّرَّ دَائِرُ

انظر كيف يكرر تشكيل المشهد الخمري، وكيف يعيد رسم الهالة التي تحفّ بمجلس الخمر، إذ الطيور تتشاجر في ذرا الأشجار، ثم تتخلل تلك الأشجار أضواء كالجواهر، وتهب النسائم في جنبات المكان لتشر- الطيب وأريج الأزاهير، وتسمع أصوات قمارى وבלابل أشبهت أصوات قيان كانت لها أوراق الأشجار ستائر وسجوفاً، حينئذ شرب خمراً تتلألاً كالدر، على إيقاع منسجم الأصوات والصور.

يجب أن نلاحظ أنّ وسائل تشكيل الصورة الخمرية عند الخباز تقوم على الانسجام بين الصورة والصوت، ومن عجب أن يدرك سر الإيقاع في الصور السمعية والبصرية على نحو يشف عن ذوق جمالي باهر، ومبعث الإيقاع البصري إنما تمثل في وجود الطيور على ذرا الشجر، وكذا الأنوار التي تتخلل الأوراق، تردفها الصور المدركة بالشم كاللخالخ أي الطيب وأريج الأزاهير، والصور السمعية كصوت القماري والبلابل، والتناغم بين تلك الصور متحقق بما يولد إيقاعاً تكتمل به الصورة المركزية الخاصة بالخمرة التي تنطوي هي الأخرى على صورة سمعية (الترنم) وصورة بصرية (الدّر دائر)، وصورة ذوقية (شربنا).

ومن صورهِ البديعة في وصف التعريش والعناقيد قوله^(٤١):

يَحْمَلْنَ أَوْعِيَةَ الْمُدَامِ كَأَنَّمَا يَحْمَلْنَهَا بِأَكَارِعِ النَّغْرَانِ

(٤١) ابن ظافر (غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات)، تحقيق زغلول سلام ومصطفى

شبه العناقيد وهي تحمل حبات العنب، وقد سهاها أوعية المدام، لأن الخمر تصنع منها، بأكارع النغران، والكُراع في الغنم والبقر بمنزلة الوظيف في الفرس والبعير، أما النُّغر فهو طير كالعصافير حمر المناقير^(٤٢).
ومن صورته الخمرية قوله^(٤٣):

شربت دماً أريق من الفصيد بلا شقّ الحديد والحديد
فقمّت أجراً رجليّ مستكين تضرّع من قيام للقعود
يريد أنه شرب خمرًا أحمر كالدم، والفصدُ قطعُ العرق، والفصيدُ دُمٌّ كان يُجعل في معى ثم يُشوى ويُطعم للضيف في الأزمات^(٤٤). وقوله «فقمّت أجر» فيه تشبيه، أي إنه شبه نفسه وهو سكران يجرّ رجليه كما جرّ زاهد رجليه للقعود بعد طول قيام وتضرّع.

يستمد الخباز، دائماً، عناصره التصويرية من الطبيعة، ولست أعني أنه يكشف بتلك العناصر جوانب التشابه بين المعاني الشعريّة والأغراض النفسية وظواهر الطبيعة، كأن يشبه وجه الحسناء بالقمر، وقدّها بقضيب الخيزران، أو يربط بين ما يجول في وجدانه وما هو موصول بالطبيعة بغية التوضيح والإبانة، بل أعني أنه مشغوف بتأمل ظواهر الطبيعة والبحث عن مشابهاها في الحياة الاجتماعية والنفسية، مما يشي بميله إلى حيز التعبير الفني الناجم عن مفهوم المحاكاة، بكل

(٤٢) لسان العرب (كراع - نغر).

(٤٣) الصفدي (الوافي بالوفيات) ٢٩٩/٣.

(٤٤) الجوهري (الصحاح): فصد.

محمولاته الفنية والتأملية، ذلك لأنَّ الطبيعة عنده مبعث إلهام، ودافع إلى التأمل والفن، لذا فكثرة عناصرها في شعره مؤشِّر إلى نظرة عميقة، وربما رؤية كونية قد لا تصل إلى التعبير الوجودي الحائر أو العبثي، ولكنها من غير شك تفضي إلى لون من النزوع الفطري إلى الطبيعة بوصفها رمزاً إلى البراءة والرقّة والمتعة، متجنباً ظواهر التوحش والروعة والعنف فيما يعقده من صور مستخلصة من رحمها، وقد كانت صورة الليل المطمئن وما تنطوي عليه من رقّة وتمعنة ناجمة عن لقاء المحبين تغريه كثيراً وتجذبه ليعبر من خلالها عن معانٍ في غاية الطرافة والإمتاع، يقول^(٤٥):

ليلاً المحبين مطويّ جوانبه مُشَمَّر الذيلٍ منسوبٌ إلى القِصْرِ
ما ذاك إلا لأنَّ الصُّبحَ نَمَّ بنا فأطلعَ الشَّمْسَ من غيظٍ على القَمَرِ

الجانب المهم في هذا الشاهد أن الليل ممتع وبين أطوائه تتحقق سعادة المحبين، وهو من ثمَّ قصير، لذا كانت لحظات السعادة التي ينطوي عليها خاطفة، والليل ستر وسكينة واطمئنان، وكل ذلك دوامه قصير وانقضاءه وشيك، ذلك لأنَّ الصبح كان من حساد المحبين فأفشى أمر لقاءهم إلى الشمس، فقضت على الليل بطلوعها، وانتهى اللقاء وتلاشت اللحظات السارة.

وتارة أخرى يشخص الليل في صور الخباز، فإذا به موحش كالح أشبه المبعضين أمثال سلامة البرقعدي، وأما الصبح فبدا في ناظره مشرقاً كوجوه السادة النبلاء والقادة الأشداء من أمثال معتمد الدولة قرواش، يقول^(٤٦):

(٤٥) اليونيني (ذيل مرآة الزمان)، تحقيق كرنكو طبع بحيدر آباد الدكن، ٣/٤٦٦.

(٤٦) الصفدي (الوافي بالوفيات) ٣/٢٤٤.

وليلٍ كوجه البرقيدي ظلمةً وبَردِ أغانيه وطول قرونه
 سرَّيتُ ونومي فيه نومٌ مشرَّدٌ كفعل سليمان بن فهد ودينه
 إلى أن بدا ضوءُ الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

الطريف هنا التمثيل الخفي الذي وقع في الشاهد، إذ الصبح السني المشرق وهو شبه وجه قرواش، مضاد لليل المظلم ذي الأرق الشبيه بفعل سليمان بن فهد، وفي الحقيقة أن قرواش قد قتل سليمان بن فهد، وهنا يكمن التمثيل، إذ الصبح قهر الليل مثلما قتل قرواش سليمان^(٤٧).

ومن تصاويره الرقيقة في وصف الرياض قوله^(٤٨):

وروضة بات ساري الطل ينسجها حتّى إذا التحمت أضحى يدبجها
 يبكي عليها بكاء الصبِّ فارقه إلفٌ فيضحكها طوراً ويبهجها

الرقعة في الشاهد بادية، وقد انبثقت من فعل الندى بالروضة، إذ هو ينسج لها وشاحاً من القطر، حتى إذا أحكم ذلك النسج أخذ يدبجه أي يزينه ويتأنق فيه، وقد انقلب ذلك الصنيع بعد ذلك إلى بكاء كبكاء العاشق المشتاق الذي فارق إلفه، وبعد ذلك جعل بين يدي التشبيه ضحكاً وبهجة، لتنبض الصورة بالمتضادات، مما جعلها مكيئة في باب الجمال والرقعة، إذ العناصر التي حشدها لتأليف الصورة كلها تنبعث من الحركات اللطيفة الناعمة التي لا تنأى عن العنف والصخب والضجيج، مثل الطل والنسج والتدبيج ونحيب العاشق.

(٤٧) ابن شداد (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة)، تحقيق يحيى عمارة، طبع وزارة الثقافة بدمشق، ٩٧/٣.

(٤٨) التيفاشي (سرور النفس بمدارك الحواس الخمس) ٣٢٢/٢.

ومن أقواله في وصف السحاب قوله^(٤٩):

وعارضٍ كالماءِ في رفته تزهـر في وجنة ذات بهج
كأنما نساـج ديباجتيه من ورق النسرـين والورد نسج

ومن تصاويره الرقيقة قوله في الورد^(٥٠):

ووردةٌ تحكي بسبق الورد طليعةٌ تسرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد ضمّ فمّ لقبله من بعد

لعل هذا التشبيه من تشبيهات الخباز الفريدة، إذ الورد التي سبقت الورد في تفتحها، أشبهت طلائع الجند، ثم ضمها البرد ضمة كما يضم الفم قبله من بعد.

وقال في وصف المجرة^(٥١):

وكأنّ المجرّ جدولٌ ماءٍ نورُ الأَقحوانِ من جانيه

تبدى للقارئ هنا شمولية التشبيه إذ يتسع سعة الكون الرحب، مما يشي بمقدرة الخباز على التشكيل الفني، إذ صهر عناصر طبيعية مختلفة في بوتقة الصورة الفنية، ومن هذا الباب أمكن جمع النجوم التي في السماء، والأمواء التي تنساب في الأرض في إطار من نور الأَقحوان، والممتع أن تلك العناصر بدت منسجمة يمكن تأثيرها في النفس إيقاعٌ بديع.

وصفوة القول: كانت تلك أمثلة وجيزة من تصاوير الخباز الموشاة بألق

(٤٩) السري الرفاء (المحب والمحبوب) ص ٤٥٥.

(٥٠) العباسي (معاهد التنصيص) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر ١٩٧٤م،

٢١٨/١.

(٥١) ابن ظافر (غرائب التنبيهات) ص ٣١٢.

الطبيعة، والمحلاة بظواهر الكون، وهو ليس من المكثرين على أي حال، بيد أن ما وصل إلينا من أشعاره يكفي للدلالة على تقدمه في فن الشعر، ويكفي للدلالة على تميزه وتفرده في باب التصوير خاصة، والشعر كما هو معلوم يتميز بفرائده، ويتراجع إذا كان متشابهاً، والملاحظة التي يمكن غَلْقُ الكلام بها على الخباز وصوره، أنه كان مشغولاً بالطبيعة منصهراً في ظواهرها، والفارق بينه وبين من لاذ بها هارباً إلى عالمها الوحشي، أو مقتبساً بعض معانيه أو تصاويره من حواشيها، أن الخباز جعل من الظواهر الطبيعية نواة الصورة، ومركز المعنى، أي إن الطبيعة عنده ليست معنى عارضاً أو مصدراً يبعث الصور والخيالات فحسب، بل استحالت موضوعاً شعرياً وغاية فنية استفرغ في التعبير عن جمالها كامل طاقاته الشعرية، يقول^(٥٢):

تَحِبُّ الشَّمْسَ لَا تَبْغِي سِوَاهَا وَتَلْحَظُهَا بِمُقْلَةٍ مُسْتَهَامِ
إِذَا غَرَبَتْ تَكْتَفُّهَا اشْتِيَاقٌ فَنَامَتْ كَيْ تَرَاهَا فِي الْمَنَامِ

يتكلم في هذا الشاهد على النيلوفر الذي شغف حباً بالشمس ونورها، حتى إذا غربت تابع أطياف أشعتها في المنام، وهذه في الحقيقة سيرة الخباز الذي شغف حباً بالطبيعة فاستحث خطاه إليها، ولا عجب بعد ذلك أن تهيمن مفرداتها على جميع ما في شعره.



(٥٢) الثعالبي (من غاب عنه المطرب) تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة ١٩٨٤م،

المصادر والمراجع

١. الثعالبي (يتيمة الدهر) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار السعادة بمصر ١٩٥٦ م.
٢. الثعالبي (من غاب عنه المطرب) تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة ١٩٨٤ م.
٣. الجاحظ (الحيوان) تحقيق عبد السلام هارون، مصر ١٩٧٦ م.
٤. الجرجاني، عبد القاهر (أسرار البلاغة) تحقيق: هـ ريتز، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.
٥. ابن رشيق (العمدة) تحقيق محمد قزقان، ط ١، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٨ م.
٦. السري الرفاء (المحب والمحبوب) تحقيق: مصباح غلاونجي، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق.
٧. ابن شداد (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة)، تحقيق يحيى عمارة، طبع وزارة الثقافة بدمشق.
٨. شهاب الدين، محمد (ديوانه)، طبع في بيروت، بلا تاريخ.
٩. الصفدي (الوافي بالوفيات)، نشر جمعية المستشرقين الألمان.
١٠. ابن طباطبا (عيار الشعر)، تحقيق طه الحاجري وزغلول سلام، ط بمصر.
١١. ابن ظافر (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات)، تحقيق زغلول سلام ومصطفى الجويني، طبع بمصر ١٩٨٨ م.
١٢. ابن ظافر (بدائع البداية)، طبع بالقاهرة سنة ١٢٧٨ هـ.
١٣. العباسي (معاهد التنصيص)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر ١٩٧٤ م.

١٤. ابن فضل العمري (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، نشره فؤاد سزكين ١٩٨٩م.
١٥. القاضي التنوخي (الفرج بعد الشدة)، طبعة دار الهلال بمصر ١٩٠٣م.
١٦. ابن قتيبة (الشعر والشعراء)، طبعة ليدن ١٨٧٥م.
١٧. ابن قتيبة (المعاني الكبير)، طبعة حيدر آباد الدكن ١٩٤٩م.
١٨. القفطي (المحمدون من الشعراء)، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، ط ٢، دار الفكر بيروت ١٩٨٨م.
١٩. ابن معصوم (أنوار الربيع في أنواع البديع)، تحقيق شاكر هادي شكر، ط ١، النجف ١٩٦٨م.
٢٠. المفضل الضبي (المفضليات) تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط ٨، دار المعارف بمصر.
٢١. ياقوت الحموي (معجم البلدان)، طبع بيروت ١٩٥٧م.
٢٢. اليونيني (ذيل مرآة الزمان) تحقيق كرنكو، طبع بحيدر آباد الدكن.



المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي

د. فوزية علي زوباري (*)

بغية الوصول إلى تطبيقات مصطلح المعادل الموضوعي، بصفته معياراً في النقد الحديث، لابد من تعرّف نشأة المصطلح نظرياً، والكشف عن جذوره، والترتبة التي ترعرع فيها ونشأ إلى أن أصبح عند ت.س. إليوت^(١) معياراً نقدياً للشعر. ومن هذا القسم النظري ننطلق إلى القسم التطبيقي، الذي سيكون عن طريق اتصالنا بالنصوص الشعرية للشاعر العباسي أبي تمام^(٢). هذه النصوص ستكون ساحة العمل الفعلي، لإظهار ممارسات الشاعر التطبيقية التي يكشف عنها المصطلح المذكور، إذ كان أداة قياس وتطبيق لدراسة هذا الموضوع، الذي اخترته جامعاً بين أصالتين:

(*) عضو الهيئة التدريسية في كلية الآداب بجامعة تشرين.

(١) إليوت (ت.س. توماس سترنز) ١٨٨٨ - ١٩٦٥، شاعر وناقد ومسرحي، أمريكي الأصل، حصل على الجنسية البريطانية عام ١٩٢٧، نال عام ١٩٤٧ وسام الاستحقاق وجائزة نوبل، كما أحرز عام ١٩٥٥ جائزة غوته النمساوية. انظر: ت.س. إليوت الشاعر الناقد للمؤلف ماتيسن ترجمة إحسان عباس، نشر بالأشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥، من مقدمة الكتاب ص ٢٥ - ٣٣.

(٢) أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي) ترجع ولادته في ١٨٨ هـ = ٨٠٤ م ووفاته في ٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م. عاش في العصر العباسي الأول الممتد بين الأعوام ١٣٢ هـ = ٧٤٩ م و٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م.

أصالة القديم، لدى شاعر هو أبو تمام، في اختيارات مناسبة من آثاره الشعرية المدحية، وأصالة الجديد، لدى ناقد من أهم نقاد ما سمي «بالنقد الجديد» وهو توماس سترنز إليوت.

المصطلح والمعيار:

المعادل الموضوعي (Objective correlative) مصطلح حديث في النقد عُرف مع توماس إليوت الشاعر الناقد، وكَوَّن الجزء الأساسي من آرائه النقدية، وانتهى فيما بعد إلى كونه أداة نظرية، اعتمدت معيارًا للشعر.

جوهر المصطلح يشير إلى أن «الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة فنية، هي العثور على معادل موضوعي» أي العثور على «مجموعة أشياء، على موقف، على سلسلة من الأحداث تكون هي الصيغة الفنية التي تُوضع فيها تلك العاطفة. حتى إذا أعطيت الوقائع الخارجية التي لا بدَّ أن تنتهي خلال التجربة الحسية استثيرت العاطفة على التوّ»^(٣).

هذه العبارات، كما يقول ماتيسن «لن تكشف للقارئ عن قيمتها كاملة إلا إذا أمعن النظر فيها، غير أنها قد أصبحت معيارًا معتمدًا في النقد»^(٤).

ودراسة «المعادل الموضوعي» مصطلحًا ومفهومًا، يدفعنا إلى تعرّف مكوناته ومقوماته التي بُني عليها، والتي نلخصها بما يلي:

(٣) ماتيسن (ف.أ): ناقد أمريكي معروف، ت: ١٩٥٠. كان أستاذًا للتاريخ والأدب في جامعة هارفرد. مؤلف كتاب عن مجمل أعمال إليوت، وهو المرخص له بترجمة أعمال إليوت الكاملة.

(٤) ماتيسن، ت.س. إليوت الشاعر الناقد، ص ١٣٣.

١ - الفكرة الأساسية التي بنى عليها مفهوم «المعادل الموضوعي» عند إليوت هي أن العمل الفني خلق ناتج عن تحويل انفعال الشاعر «فالانفعال المستعاد في السكينة هو معادلة دقيقة لأنه ليس انفعالاً ولا تذكرًا... إنه تركيز وشيء جديد ينتج عن التركيز لعدد كبير من التجارب التي لا تبدو للشخص العملي الفعّال تجارب على الإطلاق»^(٥).

٢ - مشاعر الشاعر هي، قبل كل شيء، المعين الأساسي الذي يلتقط منه أفكاره وصوره، «فالشعر الرفيع يصاغ من المشاعر وحدها... وفكر الشاعر حيّز يلتقط ويحزّن ما لا يحصر من المشاعر والعبارات والصور التي تبقى هناك إلى أن تلتقي معًا جميع العناصر التي يمكن أن تتفاعل لتكوّن مركبًا شعريًا جديدًا»^(٦).

٣ - إن انفعال الفن ليس شخصيًا، أي إنه يتعلق بالقصيدة لا بالشاعر، وهو انفعال «لا يوصف بالمصطلحات العقلية والرمزية، وإنما يُترجم إلى موقف أو عمل ملموس يثير استجابة انفعالية»^(٧) والفنان الحق هو الذي يعبر عن شخصيته في القصيدة تعبيرًا غير مباشر. «فكلما كان الفنان كاملاً، كان انفصاله أتمّ عن الرجل الذي يعاني والعقل الذي يخلق، وكان عقله أقدر على هضم وتمثل العواطف التي

(٥) ماتيسن، إليوت الشاعر الناقد ص ١٣٣. ويضيف ماتيسن في هذا الخصوص قوله: «إن إليوت صاغ هذه العبارة (المعادل الموضوعي) في حديثه عن «هملت ومشكلاته» نتيجة عدم رضاه عن ضروب الغموض في المسرحية، وعن عجز شكسبير جزئيًا عن معالجة مادته «العاطفية الجاححة بالعثور على صيغة موضوعية ملائمة».

(٦) الخطيب (حسام)، تطور الأدب الأوربي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، مطبعة طربين، دمشق ١٩٧٤ - ١٩٧٥، ص: ٤٦٥.

(٧) إليوت. ت.س، التراث والموهبة الفردية عن الشعر بين نقاد ثلاثة لمنح خوري، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٦، ص ٨٢.

هي مادته»^(٨)، ومهمة الشاعر تكون في خلق شيء موضوعي جديد يكون بديلاً من المشاعر، ونتاجاً عن تركيز تجاربه.

وبهذا يؤكد إليوت استقلال الأدب عن حياة كاتبه؛ لأننا عندما نقرأ العمل الأدبي، ننسى كل ما هو خارج عنه، ويشمل ذلك الشاعر أو الكاتب الذي كتبه، ويبقى العمل هو «الحقيقة الوحيدة الكائنة التي تتضاءل إلى جانبها جميع الحقائق الأخرى، حتى حقيقة الكاتب الذي كتبها»^(٩).

لذلك كان للقصيدة حياتها الخاصة وقوانينها ومبادئها الداخلية التي تنظمها، وعملية خلقها أكثر ما تشبه العملية الكيميائية، أو تماثلها من حيث قيامها على التحويل «تحويل المواد الأصلية إلى شيء جديد»^(١٠) وهذا الشيء الجديد الذي يقدم لنا في أية قصيدة «لا يكون، ولن يستطيع أن يكون شخصية الشاعر»^(١١)؛ لأننا حين نقرأ القصيدة ننسى كل ما هو خارج عنها، ويشمل ذلك الشاعر، لأن عملية القراءة والتذوق تتعامل مع العمل الفني نفسه لا مع خالقه.

٤- إن اهتمام الشاعر لا ينصرف إلى الفكر بمقدار ما ينصرف نحو إيجاد «المعادل العاطفي للفكر»، وإن المهمة الأساسية للشعر عاطفية لا عقلية^(١٢)

(٨) الخطيب، تطور الأدب الأوربي، ص ٤٦٦.

(٩) الخطيب، تطور الأدب الأوربي، ص ٤٦٦.

(10) T.S. Eliot on Poetry and Poets London, Faber and Faber limited, The sacred wood

(١١) الخطيب (حسام)، جوانب من الأدب والنقد في الغرب، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٣ - ١٩٩٤، ط ٥، ص ٤٠٥.

(١٢) انظر المرجع السابق ص ٤١٨ و ٤٢٠.

وإن عواطف الشاعر ليست مهمة في ذاتها؛ لأن مركز القيمة لا يكون في المشاعر نفسها بل في الأنموذج الذي يصنعه من مشاعره^(١٣).

إنَّ الغرض واحد من هذه النصوص كلها، وهو أن الشعر خلق وليس نقلاً. خلق شيء جديد ناتج عن تركيز تجارب الشاعر، عن تحويل انفعاله إلى شيء. وهذا يصبُّ في بحر الفكرة الأصلية التي يعينها مفهوم المعادل الموضوعي. كما عبَّر عنه إليوت بأنه الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة فنية.

طبيعة الشعر إذن تتكون من تفاعل الذات والموضوع. فالذات، الطرف الأول: منبع الفكر والعاطفة، والموضوع، الطرف الثاني: منابع الأحداث والأشياء. الناتج = الصورة الشعرية

والشاعر المبدع يعرف كيف يتخذ لعناصر ذاته العاطفية والفكرية معادلاً من عناصر الأحداث والأشياء. وإليوت يؤمن بأن «الشعر الخالد إنما هو دائماً تصوير للفكر والشعور بتقرير الأحداث في العمل الإنساني أو الأشياء في العالم الخارجي»^(١٤).

وقد يكون تحديد إزرا باوند (Ezra Pound)^(١٥) لطبيعة الصورة موازياً

(١٣) ماتيسن، إليوت الشاعر الناقد ص ١٣٠. ويذكر ماتيسن في هذا المجال قول الشاعر الفرنسي فاليري: «مركز القيمة قائم في الأنموذج الذي نصنعه من مشاعرنا وليس في مشاعرنا نفسها»، انظر ص ١٣٢.

(١٤) ماتيسن: إليوت الشاعر الناقد، ص ١٣٢.

(١٥) Ezra Pound شاعر أمريكي (١٨٨٥-١٩٨٢).

للمعادل الموضوعي عندما يؤكد الوحدة بين الحس والفكر فيقول: «الصورة هي تلك التي تعرض مركباً ناشئاً من فكر وعاطفة في لحظة زمنية»^(١٦) وهذا ما يعدّه الناقد ماتيسن أنه يتجه وجهة «المعادل الموضوعي»، ويضيف أن باوند «قَصَّر بطبعه عن تعريف التفصيلات، وظلَّ من نصيب إليوت أن يبلغ بهذه المستكشفات التقنية حدَّ الإثمار، وذلك حين يضعها جميعاً لبنات في كيان معماري جميل»^(١٧).

باوند وإليوت كلاهما حددا طبيعة الشعر المتحولة من الداخل (الذات) إلى الخارج (منابع الأحداث والأشياء)، أو من الذات إلى الموضوع: ففي الذات عناصر الفكر والعاطفة، وخارج الذات عناصر الأحداث والأشياء. ومن هذه العناصر الخارجية يتخذ الشاعر البارِع معادلاً لمشاعره وأفكاره.

لفهم فحوى المصطلح فهماً أعمق وأدق لابدَّ من الربط بين مفهومين:

الأول: هو أن «الشعر بمنزلة تيار عنيف مستمر للفكر، ومجموعة ذكريات لتجارب عشناها في الماضي، وتتداخل باستمرار بتجاربنا في الحاضر»^(١٨).
الثاني: هو ربط هوس إليوت بمشكلة الزمن، فإذا «كان ماضينا يحدد حاضرنا، فإنَّ حاضرنا يحدد مستقبلنا. والذاكرة تستطيع التقاط حوادث ومشاعر قديمة، وتجعلها جديدة في الأذهان فتبدو وكأنها جزء من الحاضر»^(١٩).

(١٦) ماتيسن: إليوت الشاعر الناقد، ص ١٣٧.

(١٧) ماتيسن: إليوت الشاعر الناقد، ص ١٣٧.

(١٨) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(19) The readers company to word literalure, collection of author published.

وهذا ما يكوّن جوهر المفهوم الذي وسّعه إليوت وسماه «المعادل الموضوعي». فمن أين اقتلع جذور المصطلح واستقى منه مفهومه؟ للإجابة عن التساؤل لابدّ من العودة إلى الشعراء الرمزيين الفرنسيين في النظرية والممارسة، «فقد حاجّ الرمزيون بأن الشعر لا يستطيع أن يعبر عن الانفعال مباشرة، الانفعالات تستحضر فقط»^(٢٠). ويصرّ الشاعر بودلير على أن «كل لون أو صوت أو رائحة هو انفعال تحول إلى مفهوم، وأن لكل صورة بصرية مثلتها في الحقول الأخرى»^(٢١) وما لارميه، الذي يرى أن الشعر يُصنع بالكلمات لا بالأفكار، «وقف نفسه على استكشاف إمكانات الكلمات بعد أن تصورهما على أنها إيماءات أو أنماط إيماء انفعالي»^(٢٢)، إلا أن ستانلي هايمن^(٢٣) يؤكد أن إليوت مدين في عدد من مبادئه لإزرا باوند، وبالتحديد «فكرة اللاشخصانية، وفكرة التبادل الموضوعي»؛ إذ إن فكرة التبادل الموضوعي تلك موجودة عند باوند في مقاله الشهير «روح الرومانس (The spirit of romance) حيث يقول: «إنّ الشعر نوع من الرياضيات المتلقاة إلهامًا، ويعطينا معادلات، لا للأرقام المجردة والمثلثات والكرويات وما أشبه ذلك، بل للعواطف الإنسانية»^(٢٤).

(٢٠) ويمزات وبروكس، النقد الأدبي، ج ٤، ت: حسام الخطيب ومحبي الدين صبحي، مطبعة

جامعة دمشق، ١٩٧٦، ص ١٥٣.

(٢١) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢٢) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢٣) ستانلي هايمن صاحب كتاب النقد الأدبي ومدارسه الحديثة.

(٢٤) ستانلي هايمن صاحب كتاب النقد الأدبي ومدارسه الحديثة. ص ١٧١.

لا تتضارب الآراء السابقة فيما بينها بل تتضافر جميعها لتصبّ في بحر الفكرة الأصلية التي أسس عليها مصطلح المعادل الموضوعي عند توماس إليوت، لتكون لنا المعين والموضح والكاشف لممارسات أبي تمام التي تستجيب لهذا المفهوم في شعره المدحي.

إنّ شعر أبي تمام المدحي، هو القسم الأكبر عددًا من حيث عدد القصائد في الديوان، والأغنى فنيًا، من حيث كونه الحامل الأساسي لسمات مذهبه الفني الذي وُسم بالتجديد. هذا الشعر سيكون الميدان التطبيقي الذي نجرب عليه ما سبق من نظريات حول «المعادل الموضوعي» الذي بشّر به إليوت في عالم النقد الجديد، والذي عدّه الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة أو عن المشاعر. وقد أسلفنا القول إن طبيعة الشعر تكون بتفاعل عناصر الذات والموضوع، تفاعل عناصر الفكر والشعور أو العاطفة، مع العناصر الخارجية. سنرى كيف استطاع أبو تمام، وهو الشاعر المبدع، أن يتخذ من عناصر الأحداث والأشياء المحيطة به معادلات موضوعية لعناصر ذاته العاطفية والفكرية.

من هذه المعادلات ما اتخذه أبو تمام تعبيرًا عن عميق عواطفه المتنوعة في وحدة اتجاهها نحو إنسان بعينه هو الإنسان المطلق أو المثال، المتجاوز لصورة الواقع، حاملاً الأمل لغدٍ أفضل، ومستقبل أكثر سعادة، وهذا ما سيمثل الوحدة في المعادل الموضوعي.

ومنها ما يمثل التنويع في المعادل، بحيث نرى أيامًا من أيام العرب بعينها، مواقع محددة، معالم وأمكنة مسماة، وأسماء علم... إلخ غدت صيغًا فنية توضعت فيها تلك العواطف والمشاعر، وعثر فيها الشاعر على معادلات موضوعية لها.

وظاهرة التنوع هذه تشمل ممدوحي أبي تمام الذين ينتمون إلى طبقات اجتماعية متنوعة أيضًا: ففيهم الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والقضاة، والولاة، والقادة العسكريون، والكتّاب، والشعراء، والعلماء^(٢٥). ومعهم أيضًا: الإنسان المطلق، والنبى وآل البيت والإسلام والأمة والوطن^(٢٦). هذا التنوع في الطبقات أعطى الشاعر مدى واسعًا للحركة الإبداعية، فمارس تجسيد أفكاره وعواطفه بالتوجّه إلى هؤلاء الممدوحين الكثر. بل كان هؤلاء هم الصيغ الإنسانية التي عبّر بها عن عواطفه الإنسانية المتعددة والمتنوعة؛ وبذلك، يكون ممدوحو الشاعر عنصرًا جوهريًا من عناصر المعادل الموضوعي الذي نوّعه في مدائحه، تنويحه للقوافي والأوزان.

الوحدة في المعادل الموضوعي

في مدائح أبي تمام نص قصير لم يذكر به الشاعر ممدوحًا معينًا، بل وصف به ممدوحًا مطلقًا، إنسانًا يتوق إلى وجوده على أرض الواقع، ويستحثّ الناس للبحث عنه.

يعطي الشاعر ملامح من صفات هذا الإنسان الممدوح فيقول:

من لي بإنسان إذا أغضبته	وجهلته كان الحلم ردّ جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من	أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه	وبسمعه، ولعله أدرى به ^(٢٧)

(٢٥) انظر الدهان (سامي)، فن المديح، دار المعارف بالقاهرة من غير رقم طبعة أو عام.

(٢٦) انظر علي (أسعد)، الإنسان والتاريخ في شعر أبي تمام، دار النعمان بيروت، ط ١، ١٩٧٠.

(٢٧) ديوان أبي تمام، شرح الخياط (محيي الدين)، مجلد واحد، طبع بمناظرة والتزام محمد جمال،

ط ١ مرخصة من نظارة المعارف العمومية رقم ١٣ مصر.

في هذا النص الذي لم يتجاوز الأبيات الثلاثة، وتتماوج تفصيلاته على موسيقا البحر الكامل الهادئة، يقدم أبو تمام بيانًا عامًا إجمالياً للمعادل الموضوعي الذي عثر عليه في إنسانه المطلق، المثال: إنها عواطفه المتعددة في وحدة اتجاهها نحو إنسان واحد بعينه هو الإنسان المثال، المتجاوز، الذي يداوي غضب الناس وجهلهم بحلمه، ويغني جوعهم وظمأهم بأخلاقه وآدابه، ويلغي ما بينهم من حواجز بلغة إصغائه واهتمامه واحترامه.

وتفكير الشاعر الذي قدحه شعور وإحساس مرهفان، تفكير مثقل بهموم عصره الحاضر، فالشاعر عمومًا «يحقق مهمة من أشدّ مهماته بدائية حين يقدم تعبيرًا دقيقًا عما أدركه وأحسَّ به»^(٢٨).

واتحاد هذا الشعور وذاك الإحساس، اللذين كانا وليدي عواطف متعددة، اجتماعا مع الفكر النيّر عند الشاعر، وولدا هذه الصورة للإنسان المنقذ الذي كان المعادل الموضوعي لتلك العواطف المتعددة، لكنها المتوحدة في شخصه.

واللافت للانتباه ذلك الإيجاز من الشاعر في استعمال الكلمات أو العبارات، وفي استعمال تركيب لغوي في غاية البساطة، وكأنّ أبا تمام يشكّل في شعره سابقة لما ذهب إليه النقاد المحدثون في آرائهم التي تؤكد أن «نقل الشعر لمشاعر سياق الحياة الواقعي، والتعبير عن مساق وحجم التنبية الإدراكي القائم في لحظة من الوعي، يتطلب أشدّ أنواع التركيز والتكثيف الصارم»^(٢٩) شرط ألا تُضعف من وقع المضمون. أو أنه اتفق مع إليوت وباوند على «ضرورة الإيجاز في الأثر

(٢٨) ماتيسن، إليوت الشاعر الناقد، ص ٢٠٢.

(٢٩) ماتيسن، إليوت الشاعر الناقد، ص ٩٨ و ٩٩.

الفني»، وعلى أن القصيدة يجب أن «تبنى بعناية ... غايتها إحداث أثر كلي وذلك بوحدتها»^(٣٠).

إنّ نصّ أبي تمام يكشف عن عدة قضايا تشغل النقاد قديماً وحديثاً، منها ما يسميه إليوت وبعض نقاد الأدب الإنكليزي: المشكلة أمام الفنان المعاصر، الإحساس بالعصر، القدرة على التطور في عالم مختلف^(٣١). ويمكن ردّ هذه القضايا على صعيد نصّ أبي تمام إلى اثنتين هما، بتعبير آخر، الواقع والمثال.

لكنّ المثال بدوره مثالان: مثال فردي، يحس به أبو تمام موهبة وقدرة على التطور في عالم مختلف، ومثال جمعي يدعو إليه مجتمعه لتغيير واقعه بتحقيق ذلك المثال الذي يكون في ظل الإنسان المثال.

يجب أن ينتهي الشعر إلى حيث يقدم إحساساً بالحياة، بالواقع، ثم بالمحاولة والجهد لتجاوز ذلك الواقع إلى الأفضل. والشاعر، بطبيعته، مسوق إلى البحث عن سبيل الارتقاء وتجاوز الواقع لتحقيق الغاية الإنسانية النبيلة.

في هذا النصّ الشعري لأبي تمام نستطيع أن «نتلمس الخصب والدقة في الانطباعات العاطفية»^(٣٢) فالشاعر نفسه كان يؤمن بأن «نظم الشعر لا ينبعث إلاّ عن إحساس، ولا يصدر إلاّ عن عاطفة ووجدان»^(٣٣) وأن القصيدة «ليست شعراً إذ لا تسودها عاطفة قوية»^(٣٤). إنها عواطف أبي تمام الكلية في وحدة اتجاهها نحو

(٣٠) المرجع السابق، ص ٩٩.

(٣١) انظر ماتيسن، ص ٨٩ - ٣٥ - ٣٦٣ - ٢٥٧.

(٣٢) ماتيسن، إليوت الشاعر الناقد، ص ١٣.

(٣٣) بكار (يوسف حسين)، القصيدة العربية، دار الثقافة القاهرة ١٩٨٠، ص ٨١.

(٣٤) ماتيسن، إليوت الشاعر الناقد، ص ٩٨ و ٩٩.

الإنسان المثال، تلك الوحدة التي حقق بها معياراً لما اصطُح عليه من بعد «المعادل الموضوعي» الذي يؤمن بأن الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة هو إيجاد معادل موضوعي لها. وكان هذا الإنسان المثال هو الصيغة التي توَضَّعت فيها عواطف الشاعر في وحدة اتجاهها نحو الغاية.

تنوعات المعادل الموضوعي

لأبي تمام مدائح عديدة تحقق التنوع في المعادل الموضوعي. ففي ديوانه نحو ست مئة اسم من أسماء العلم^(٣٥)، فما قيمة تلك الأسماء في المعادل الموضوعي؟ ما قيمة ذكر اسم حاتم الطائي مثلاً، وكيف يمكن أن يكون معادلاً موضوعياً لعاطفة أبي تمام؟

وفي ديوانه ذكر لسته وعشرين يوماً وموقعة^(٣٦) من أيام التاريخ ومواقعه المشهورة، فكيف تكون موقعة «ذي قار» مثلاً معادلاً موضوعياً لعاطفة أبي تمام؟ وفي ديوانه ذكر لمئة وواحد وعشرين جنساً وقبيلة^(٣٧)، فماذا يعني ذلك من جهة المعادل الموضوعي؟ وكيف تكون قبيلة طييء، أو الجنس العربي معادلاً موضوعياً لعاطفة أبي تمام الإنسانية؟

وفي ديوانه ذكر لمئة وسبعة وستين بلداً ومعلماً ومكاناً^(٣٨)، فكيف استعملها أبو تمام معادلات موضوعية لعواطفه؟ وماذا يعني ذكره للشام أو الحجاز أو الصين مثلاً؟

(٣٥) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، أربعة أجزاء، دار المعارف بمصر،

١٩٦٤ - ج ٤ ص ٧١٢.

(٣٦) الديوان نفسه، ج ٤ ص ٧٧٦.

(٣٧) نفسه، ج ٤ ص ٧٦٥.

(٣٨) نفسه، ج ٤ ص ٧٥٣.

حاتم الطائي معادل موضوعي لعاطفة الندى

لإدراك المعادل الموضوعي في اسم حاتم الطائي، ينبغي أن نعرف طرفي المعادلة وهما: العاطفة التي تُجسّد بوساطة حاتم، والسيرة التي تُقدمه. ولمعرفة الطرف الأول من المعادلة؛ نحصي الأماكن التي استعمل فيها أبو تمام اسم حاتم. وتأمل في نصوص الاستعمال فراها جميعاً تتجه وجهة الندى، على ما للندى من تنوعات وتفرعات. والندى صفة إنسانية يعظّمها أبو تمام في ممدوحيه ويغريهم بها، لأنها رأس الفضائل والسييل إلى كل المحامد، في تصوره. وعاطفة الشاعر نحو الندى هي عاطفة الإعجاب والتقدير والمروءة والحب، وعندما يريد تجسيد هذه العاطفة المنوّعة يذكر حاتم الطائي.

فحاتم هو طرف المعادلة الثاني في شعر الطائي، لأنّ حاتم مشهور بكرمه ويُضرب به المثل في الجود، سواء أكان ذلك في المصادر التي ترجمت له^(٣٩)، أم في الصورة التي تستخلص له من شعر أبي تمام، وهذه الصورة تُوضح مصطلح المعادل الموضوعي.

يقول الطائي في مدح أحمد ابن الخليفة المعتصم:

أبليتَ هذا المجد أبعدَ غايةٍ فيه وأكرم شيمه ونحاسِ
إقدام عمرو، في ساحة حاتمٍ في حلم أحنف، في ذكاء إياس^(٤٠)

(٣٩) مصادر ترجمة حاتم: تهذيب ابن عساكر ٣: ٤٢٠ - ٤٢٩ - الشعر والشعراء: ٧٠ تاريخ

الخميس ١/ ٢٥٥، خزنة الأدب ١/ ٩٩٤، ٢/ ١٩٤ نزهة الجليس ١٠/ ٢٨٤.

(٤٠) الديوان بشرح التبريزي: ٢/ ٢٤٩: ٢٢-٢٣، والساحة: الجود، انظر لسان العرب مادة

سمح مجلد ٢/ ١٩٨.

إنَّ تاريخ العرب وتاريخ الأدب غنيان بالقصص التي يعرفها الشاعر، ويعرفها ممدوحه، ومنها قصص المشاهير الأربعة الذين ذكرهم في بيت واحد. وما نريد إيضاحه قصة حاتم، بوصفه المعادل الموضوعي لعاطفة الإعجاب بالكرم عند أبي تمام.

وحاتم ليس مفخرة الشاعر فقط، بل هو مفخرة الطائين جميعهم:

أبى قدرنا في الجود إلا نباهةً فليس لمال عندنا أبداً قدرُ
لينجحُ بجود مَنْ أراد فإنَّه عوانٌ لهذا الناس وهو لنا بكرُ
جرى حاتمٌ في حلبةٍ منه لو جرى بها القطرُ شأواً قيل: أيهما القطرُ؟
فتى .. ذخرَ الدنيا أناسٌ ولم يزل بها باذلاً، فانظر لمن بقي الذخر
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندَى فليس لحَيٍّ غيرنا ذلك الفخر
جمعنا العلى بالجود بعد افتراقها إلينا كما الأيام يجمعها الشهر
مساعٍ يضلُّ الشعر في طُرُقٍ وصفها فما يهتدي إلا لأصغرِها الشعر^(٤١)

فأبو تمام هنا، يصور الجود بوصف حاتم الطائي، ويجعله مفخرة قومه الذين يسبقون الناس إلى العلا. وهو بهذه الصورة يثير مقارنات بين قيم الأشياء والأفعال، وهي بمجملها مقارنات تقدّم الحمد على المال، وتقدر كرامة الإنسان فوق الثروات.

هذه الصورة المطلقة للكرم يجسدها حاتم الطائي، وهي مشهورة ومعروفة عند الناس، وعند ممدوح أبي تمام، الأمير أحمد بن المعتصم، الذي يعي جيداً ماذا يعني حاتم من القيم والمواقف والأحداث التي سجلها الزمان وأهل الزمان.

(٤١) الديوان بشرح التبريزي ٤/ ٥٧٤، الأبيات ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٤٨.

إن أبا تمام عثر في شخص حاتم على معادل موضوعي لعاطفته السامية نحو الكرم، فعدّ شخصية حاتم بكل تاريخها المملوء بالمواقف والأحداث، صيغة موفّقة لإخراج تلك العاطفة.

واستقراء النصوص التي ذكر فيها حاتم في مدائح أبي تمام تجعل الصورة الحاتمية أكثر وضوحًا، وتعطينا مسوغ تكرر ذكره كلما هاجت بالشاعر عاطفة الكرم؛ لأن شخصية حاتم وسيرة حياته تجعلانه معادلًا موضوعيًا لعاطفة الكرم عند أبي تمام.

طيّ معادل الانتماء

طيّ، اسم قبيلة الشاعر، وعندما يُورد هذا الاسم في شعره فإنه يريد بعث ما في تاريخ هذه القبيلة من أمجاد ومحامد. وفيها يعثر على معادل موضوعي يعبر بوساطته عن عاطفة الانتماء القبلي. وقد رأينا في حديثه عن حاتم الطائي نوعًا من هذا الانتماء، وسرى في حديثه عن شخصيات طائية معروفة نوعًا من هذا الانتماء أيضًا. إن طيّي تعني للشاعر تاريخًا طويلًا من المحامد والأجناد ولا يُعذر طائي لا يمثل ذلك التاريخ المجيد. يقول في مديح بني عبد الكريم الطائيين:

أولئك قد هُدُوا في كلِّ مجد	إلى نهج الصراط المستقيم
فروع لا تُرْفُ عليك إلاّ	شَهَدَتْ لها على طيبِ الأروم
وفي شَرَفِ الحديثِ دليلُ صدقٍ	لمختبرٍ على الشرف القديم
إذا نَزَلُوا بِمَحَلِّ رَوْضِوه	بأثار كآثار الغيوم
لكل من بني حواء عُنْزُرُ	ولا عُنْزُرُ لطيائيٍّ لئيم
أحقُّ الناس بالكرمِ امرؤٌ لم	يَزَلْ يَأوي إلى أصلِ كريم ^(٤٢)

وقبيلة طيّئ أصل كريم، وهذا الأصل لا يفرّع إلا من جنس أصله، لذلك لا يجد أبو تمام عذرًا لطائيّ لئيم. وكل طائيّ، قديمًا وحديثًا، يسمو سمو أصله الكريم، وطيّئ، في سلمها وحرّبا، معادل موضوعي لعاطفة سمو الانتماء إلى الأصل الكريم عند أبي تمام، الذي يعطي صورًا متعددة ومتنوعة للمحامد الإنسانية لهذه القبيلة، مركزًا على تاريخها الطويل الذي صنعته أفعال شخصياتها، ذات السمعة والشهرة التي تعرفها القبائل العربية حق المعرفة. وما أسماء من قبيل: أوس وحاتم، وزيد القنا، والأثرمان، ونافع، وإياس، وعارق، وحرثة إلا تلك «النجوم الطوالع» في سماء القبائل العربية جودًا وكرم منبّت ومكرّماتٍ بين تلك القبائل.

أنا ابنُ الذين استرَضِعَ الجودَ فيهمُ	وُسْمِيَّ فيهم وهو كهل ويافع
سما بي أوسُ في السماء وحاتم	وزيدُ القنا، والأثرمان، ونافع
وكان إياس ما إياسُ؟ وعارق	وحرثة أوفى الوري، والأصامع
نجومُ طواليعُ، جبالُ فوارعُ	غيوثُ هواميعُ، سيولُ دوافعُ ^(٤٣)
مَضَوْا وكانَ المكرماتَ لديهم	لكثرة ما أوصوا بهنَّ شرائع
فأيُّ يدٍ في المجد مُدَّت فلم تكنُ	ها راحةٌ من جودهم وأصابع؟
هُمُ استودعوا المعروفَ محفوظًا مالنا	فضاعَ وما ضاعت لدينا الودائع
إذا طيَّئُ لم تطو منشور بأسها	فأنف الذي يهْدِي لها السُّخْطَ جادِعُ
هُمُ قَوْمُوا درءَ الشَّامِ وأيقظوا	بنجدٍ عيونَ الحَرْبِ وهي هواجع

(٤٣) وردت في النص الأصلي (طوالع وهوامع) والأصوب ما ذكرناه في المتن لاسيما أن نسخة

المدينة بشرح الصولي، اعتمدت الأمر نفسه.

وإن صارعوا في مفخر قام دونهم وخلفهم بالجدّ جدّ مُصارع
علّوا بجنوبٍ موجّاتٍ كأنّها جنوبٌ فيولٍ ماهنّ مضاجع^(٤٤)

هذه المحامد التاريخية لقبيلة طيّ، أفراداً وجماعات، تفسّر الغنى الذي اكتنزه الشاعر في عبارته «سما بي» وتفسر عاطفة سمو الانتماء في وجهها القبلي، لأن أبا تمام طائيّ، والطائيّون علّوا «بجنوب موجّات». ولا غرو أن يجد الشاعر في طيّ، نسباً أو انتماءً، معادلاً موضوعياً لتلك العواطف. وهو إن تساءل عن مجد طيّ، فهو تساؤل العارف المتيقن من الجواب:

هل أورك المجد إلاّ في بني أددٍ أو اجتني منه لولا طيّى ثمر؟
لولا أحاديثُ بقتّها مآثرنا من الندى والرّدى لم يُعجب السّمّر^(٤٥)

«ذي قار» معادل موضوعي للعاطفة القومية

كيف اتخذ أبو تمام موقعة «ذي قار» معادلاً موضوعياً لعاطفته؟ وما تلك العاطفة التي تعدّ الموقعة صيغة خارجية لها؟
المعادلة ذات طرفين: الطرف الداخلي هو العاطفة، أما الطرف الخارجي التاريخي فهو الموقعة.

والموقعة هي الوجه التاريخي الذي يبدأ منه توصلاً إلى الداخل، والوجه الخارجي ترسم ملامحه بالشعر والتاريخ.

(٤٤) الديوان بشرح التبريزي: ٥٨٦/٤ - ٥٩٠ الأبيات: ٢١-٢٧-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦ -

٢٧-٣١-٣٧-٤١-٤٢.

(٤٥) الديوان بشرح التبريزي: ١٨٨/٢.

يقول أبو تمام في مدح خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني، وفي مدح أسلافه الذين ورثوه المجد والفخر:

أولئك بنو الأحساب لولا فعالمهم دَرَجَنَ، فلم يوجَدُ لمكرمة
 لهم يوم «ذي قار» مضى وهو مفردٌ وحيدٌ من الأشباه، ليس له صَحْبٌ
 به علمتْ صُهْبُ الأعاجم أَنَّهُ به أعربتْ عن ذاتِ أنفسِها العُربُ
 هو المشهد الفصل الذي ما نجا به لكسرى بن كسرى لا سَنَامٌ ولا صُلْبٌ^(٤٦)

هكذا يؤصل أبو تمام نسبَ وحَسَبَ ممدوحه، فهو من قوم أعقبوا للمكرمات أياماً مُحمد ويفتخر بها. ومن تلك الأيام يوم «ذي قار»، وهو يوم للعرب على العجم، وبالتخصيص هو لبكر على العجم، ويعده من مفاخرها^(٤٧). والمفهوم الإجمالي للبيت في شعر أبي تمام أنه يوم عظيم ليس له نظير ولا شبيه في أيام العرب، وعلّة ذلك أنه أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، إذ استطاع العرب أن يعربوا عن ذوات نفوسهم الأبيّة التي لا تقبل الإهانة^(٤٨).

أهمية «ذي قار» أنه كان ماء لبكر قريب من الكوفة، تجتمع عليه القبائل العربية في الصيف. وفي ذلك الحين هاجمتهم جيوش كسرى فانتصروا عليها. وتضرب أسباب الموقعة في جذور تاريخية عميقة من حياة العرب وحياة الفرس، أولى حلقاتها الثأر، على مستوى عربي، وآخر حلقاتها الانتصار للشهامة العربية، على مستوى عربي-فارسي.

(٤٦) الديوان بشرح التبريزي: ١ / ١٨٧ الأبيات: ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ .

(٤٧) انظر جاد المولى (محمد أحمد)، والبجاوي (علي محمد)، وأبو الفضل إبراهيم (محمد)، أيام

العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، القاهرة، ص ٦.

(٤٨) المرجع السابق، ص ٦.

ويوم ذي قار هو الطور الأخير من قصة تكونت في ستة أجيال، على مسرح واسع بين قبائل العرب ومواقفها الثأرية، وبين قبائل العرب وملوكها وملوك الفرس وما بينهم من صلوات جوارية.

وأساس القصة يبدأ مع أيوب بن محرق، الذي كان في اليأمة، في بني امرئ القيس، فأصاب دمًا فيهم، ثم فرَّ إلى الحيرة. وتنتقل القصة ضمن أجيال ستة لتنتهي عند النعمان، الذي استجار، قبل موته، بهانئ بن مسعود الشيباني واستودعه أهله وسلاحه وماله. وعندما طالب إياس بن قبيصة، وهو والي كسرى بعد النعمان، هانئًا بما استودعه النعمان، رفض هذا الأخير الطلب، فجيش له كسرى جيشًا من الفرس والعرب وجَّهه إلى ذي قار، وكانت الموقعة، وانتصرت بكر، وكان بنو إياد في جيوش كسرى، لكنهم وقفوا في الحرب مع أبناء جنسهم من العرب على حلفائهم العجم. من هنا كان «ذي قار» الصيغة التي توضع فيها عاطفة أبي تمام القومية، وكان معادلاً موضوعياً لتلك العاطفة.

وأبو تمام يؤصّل للحادثة، ويذكر بها أهل الثغر في أيام ممدوحه الشيباني، سليل أولئك العرب الذين اتحدوا فانتصروا:

أقول لأهل الثغر قد رُئِبَ الثأى وأُسبِغَتِ النعماءُ والتَّامُ الشَّعْبُ
فسيحوا بأطراف الفضاء وأرتعوا قنًا خالدٍ من غيرِ دَرَبٍ لَكُمْ دَرَبٌ^(٤٩)

والعودة إلى قصائد أبي تمام التي ذكر فيها ذي قار تكشف لنا الأعماق والأبعاد في ذكره لهذا اليوم. فهو يحشد في تلك القصائد الزمان: ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا.

(٤٩) الديوان بشرح التبريزي: ١ / ١٨٧ الأبيات: ٢٨-٢٩: والرأب: الإصلاح،

فإحساسه بعصره واقعي حياتي؛ تمثله معرفة ممدوحه الشيباني ومعاركه، وإحساسه بالمستقبل، قياس تطلعي يمثله رجاءه بممدوحه العربي، هذا الرجاء المنفتح على فردية أبي تمام وقبيلته وأمه ودينه وإنسانيته.

والإحساس الثقافي الذهني، يمثله هانيء بن مسعود الشيباني الذي قاد معركة قومية في ذي قار، وارتفع فوق مستويات الثأر الفردي والقبلي، ليأخذ القضية مأخذ شرف إنساني يقتضي إغاثة ملهوف، ورعاية أماناته، حتى بعد موته. وقد نظرت قبيلة إياد إلى هذا المستوى فتخلت عن الفرس في سبيل العرب، وظهرت المروءة القومية في سلوك إياد وسلوك بني شيبان وبطون بكر كلها، فاستيقظت عاطفة العرب القومية يقظة علّمت الأعاجم جديدًا عن الذات العربية.

من هذا المستوى يتناول أبو تمام يوم ذي قار، لأنه شاعر الحماسة للمثل العليا. وعلى هذا المستوى نفهم معادله الموضوعي عندما يمدح أسلاف خالد الشيباني فيقول:

مضوا وُهم أوتادُ نجدٍ وأرضها يُرُونَ عِظَامًا كَلِمَا عَظْمِ الخُطْبِ
لهم نسبٌ كالفجر ما فيه مَسَلَكٌ خَفِيٌّ وَلَا وادٍ عَنودٌ وَلَا شِعْبٌ
فيا وشل الدنيا بشيبان لا تَغْضُ ويا كوكبَ الدنيا بشيبان لا تَحْبُ (٥٠)

هو إحساس أبي تمام بالتاريخ، تمثله وعثر فيه على المعادل الموضوعي لتجسيد عاطفته القومية، وكانت هنا موقعة «ذي قار».

(٥٠) الديوان بشرح التبريزي: ١/ ١٨٤ الأبيات: ١٦-١٨-٢٢ والوشل: الماء القليل؛ وأراد

أنهم حياة الدنيا.

البطل معادل الإحساس بالزمان

إن إحساس الشاعر الطائي بعصره، وصلة هذا الإحساس بالتاريخ، يجسده بمدائحه للقائد خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني من ممدوحيه.

وخالد هذا من القادة العرب في عصر أبي تمام، شيباني النسب، وهذا لقاء أول مع التاريخ، لأن بطل موقعة «ذي قار» شيباني أيضًا وهو هاني بن مسعود الشيباني. فلماذا يذكّر الشيباني الحديث بالشيباني القديم؟ أهى النسبة في خاطر أبي تمام، أم هي المحامد والمكرّمات التي يشتركان في إحداثها؟

الشيباني القديم، هاني، أدّى دور البطل القومي، الذي علمّ الأعاجم درسًا جديدًا من الذات العربية في وحدة «ذي قار».

والشيباني الحديث، خالد، كما يقدمه أبو تمام، بطل قومي لا يقلّ بطولة عن سلفه. وقد مدحه بسبع من قصائده^(٥١)، تتعاون كلها على رسم شخصية البطل. ومجمل هذه النصوص يقدم خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني شخصية ذات تراث حميد من الكرم والشجاعة، وذات مواهب خاصة؛ تتأصل في الماضي وتتفرع في الحاضر. والمهم هنا، أن تبرز، من صفاته، الصفة المناسبة لصفة هاني بن مسعود التي ظهرت قومية في ذي قار، وكان الجنس العربي في مواجهة مع الجنس الفارسي.

في القصيدة ذاتها^(٥٢). يذكر أبو تمام موقف خالد وتوحيده الشعب للقاء

(٥١) والقصائد كما ورد في الديوان بشرح التبريزي هي: الأولى ٧/١ - الثانية ١٧٧/١ - الثالثة

٤٠٥/١ - الرابعة ٤٢٣/١ - الخامسة: ٥/٢ - السادسة ٦٧/٢ - السابعة: ٢٨٣/٢.

(٥٢) الديوان بشرح التبريزي: ج ١/١٧٧ القصيدة رقم ١٤.

الروم وقد كان يقودهم توفيل. ومتابعة المعركة في قصيدة الشاعر تظهر إحساسه بالماضي والحاضر، كما تظهر المعادل الموضوعي لهذا الإحساس. يروي أبو تمام قصة أسلاف ممدوحه، ويعبر عن عاطفته القومية بِذِكْرِ موقعتهم «ذي قار»، وهذا في الماضي. ثم يخاطب أهل الحدود المتاخمة لحدود الروم، ويشيرهم بالتثام الشمل ووحدة الشعب وبالنصر، حاضرًا، تيمُّنًا بانتصار الأسلاف في ذي قار، وقتل الحوفزان، الحارث بن شريك، قائدهم آنذاك، للقائد الفارسي في ذي قار الذي كان الهامرز. وكأن أبا تمام، باستعماله هذه النسبة لممدوحه، يمهد لنصره على الرومي كما انتصر سلفه على الفارسي.

ولما رأى توفيل رياتك التي إذا ما اتلَّبت لا يقاومها الصُّلب
تولَّى ولم يأل الردى في أتباعه كأن الردى في قصده هائم صبُّ
كأن بلاد الروم عمَّت بصيحة فضمت حشاها أو رغا وسطها
بكل فتى ضرب يعرض للقنا تحيًّا محلي حليُّه الطعن والضرب
جعلت نظام المكرمات فلم تدز رَحاً سُرددٍ إلا وأنت لها قُطب
إذا افتخرت يومًا ربعةً أقبلت مجبتي مجدٍ وأنت لها قلب^(٥٣)

لم ينس أبو تمام أن خالدًا الشيباني سليل هانئ الشيباني، وأن هانئًا كان يقود أفناء بني بكر في «ذي قار»، وكان في القلب بين ميمنة من بني عجل، وميسرة من بني شيبان^(٥٤)، فجاء بالصياغة الحديثة لقصة المجد القديم، فخالد مثل جدّه في القلب، وحوله ميمنة وميسرة فتیان من أبطال العرب.

(٥٣) الديوان بشرح التبريزي: ج ١ / ١٧٧ الأبيات: ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٢ - ٤٦ - ٤٧.

(٥٤) أيام العرب: ٣١.

ومن المقارنة بين خالد وهانئ نفهم كيف أوجد أبو تمام معادله الموضوعي لإحساسه بالزمن وبالتاريخ ماضياً وحاضراً. فهنا أيضاً، المعركة قومية. تغير المسرح والزمان والأشخاص، لكن وحدة العمل والغاية لا تزال هي هي. كان المسرح في «ذي قار»، وهو ماء لبكر قريب من أرض فارس. والمسرح اليوم ثغور العرب مع الروم وأمكنة من بلاد الروم.

كان الزمان في الماضي، قبل الإسلام. والزمان الآن حاضراً بعد الإسلام وفي العصر العباسي الأول. وكان الأشخاص رجالاً من بني بكر، يتحلقون حول قائد شيباني، هو هانئ بن مسعود. والأشخاص اليوم هم فتیان من العرب يقودهم خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني.

والغاية، هناك وهنا، تتلخص في شرف الأمة، التي ينتسب إليها القائدان العربيان، الأول دافع عن شرفها في وجه الفرس والثاني يدافع عن شرفها في وجه الروم.

هكذا، أحسّ أبو تمام بالتاريخ العربي، ماضياً وحاضراً، فعبّر عن إحساسه بمعادل موضوعي، من الماضي عثر عليه في «يوم ذي قار»، وبمعادله الموضوعي من الحاضر، عثر عليه في معركة خالد الشيباني مع توفيل الرومي، بل وجد في المعركة الماضية معادلاً لانفعاله القومي بالمعركة الحاضرة.

أما إحساس أبي تمام بالمستقبل فقياسي تطلعي، بمعنى أنه يقيس على ماضي الأمة وحاضرها ما يمكن أن يكون مستقبلها. فهو يرجو لأمتة النصر، لكنه يعرف أن للنصر مقومات رأى أمثلة لها في موقعتي العرب مع الفرس ومع الروم.

ولأنَّ خالدًا الشيباني أعاد سيرة هانئ الشيباني بعد عدَّة أجيال، فإنَّ الشاعر
 يبني رجاءً خالدًا على مكرمات خالد في سياق المجد العربي فيقول:
 بجودك تَبِيضُ الخطوب إذا دَجَتْ وترجع في ألوانها الحِجَجُ الشُّهب
 هو المركب المُدْنِي إلى كلِّ سَوْدَدٍ وعلياء، إلا أنه المركب الصَّعب
 فالجود الذي جاء به أبو تمام، بعد ذكر موقعتين قوميتين، ليس بذل المال
 وحسب، بل هو الجود بالنفوس لأن مفاخر ربيعة في «ذي قار» ماضيًا، ومفاخرها
 في الثغور الرومية حاضرًا، لم تكن كرمًا عاديًا، بل كانت نوعًا من عطاء النفوس في
 سبيل شرف الأمة.

إنَّ إحساس أبي تمام بالمستقبل يتولَّد من رجائه عند ممدوحه. فممدوحه وراثته
 مجيدة، وموهبة حميدة، وهذان سببان يقويان ثقة أبي تمام بالمستقبل، فيحسَّ مستقبل
 الأمة في ضوء ما ورثته لأبنائها من مفاخر قديمة، يجددها أبنائها مع الأيام.
 نصر على الفرس في الماضي، وانتصار على الروم في حاضر أبي تمام، إنهما
 معادلان موضوعيان عبَّرَ فيها الشاعر عن إحساسه بالزمان، وعاطفته المتلهفة
 للمثل العليا في مستقبل الأمة.

بدر معادل الشعور الديني

«بدر» ماء مشهور، بين مكة والمدينة، ويوم بدر كان في السنة الثانية من الهجرة،
 بين مشركي قريش، الذين زحفوا إليه من مكة بزعامة أبي جهل وأضرابه، وبين
 المسلمين الذين خرجوا إلى أولئك من المدينة بقيادة رسول الله، محمد بن عبد الله بن
 عبد المطلب بن هاشم. والنتيجة انتصار النبي وتابعيه من المؤمنين عربًا وغير عرب،

إذ كان بين المؤمنين بالرسالة المحمدية أجناس غير عربية مثل: بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي وغيرهم. ولكتب السيرة والتاريخ روايات مختلفة ومفصلة لوقائع ذلك اليوم^(٥٥). أما أبو تمام فيستثمر بدرًا «استثمارًا شعريًا» ويعثر فيها على معادل موضوعي لعاطفته الدينية في درجاتها العليا، فيقول في المعتصم بعد انتصاره في قتاله الروم، وفتحه عمورية:

خليفة الله، جازى الله سعيك عن جرثومة الدين والإسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تُنال إلا على جسر من التعب
إن كان بين صروف الدهر من رجم موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نُصرت بها وبين أيام بذر أقرب النسب
أبقت بني الأصفر المراض كاسمهم صُفّر الوجوه، وجلت أوجه العرب^(٥٦)

وأيام المعتصم التي تنتسب إلى بدر، هي يوم بدأت فيه وقعة عمورية، التي كانت عند الروم أشرف من القسطنطينية وقصتها ترجع إلى سنة ٢٢٣ هـ كما يرويها أبو الفداء^(٥٧).

والملاحظات الأولية لرواية «المختصر»، تُطلع القارئ أن فتح عمورية لم يكن

(٥٥) انظر من هذه الكتب على سبيل المثال: أيام العرب في الإسلام ٧-٣٠، سيرة ابن هشام

٢-٢٣٨ وتاريخ الطبري ٢/٢٦٧.

(٥٦) الديوان بشرح التبريزي ١/ ٧٢ - الأبيات: ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ وفي رواية

أخرى المصفر كاسمهم ط ١ - ج ٢/ ٢٣.

(٥٧) أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة. ط ١ - ج ٢/ ٢٣.

عدواناً من المعتصم، بل كان ردّاً وانتقاماً من عدوان توفيل ملك الروم على زبطرة وأهلها، وأن جيش المعتصم لم يكن عربياً خالصاً، بل كان جيشاً إسلامياً فيه من أصول رومية وفارسية حتى في القادة، وأن تحرك المعتصم وجيشه كان لتلبية استغاثة بلغته من امرأة هاشمية. وأبو تمام يؤرخ للحادثة بروح الشعر فيعرضها بكل تفاصيلها.

إن ذود المعتصم عن حدود وطنه، وفتح عمورية دفاعاً عن الدين والإسلام، يربط تاريخه بتاريخ النبي العربي محمد ﷺ، ويجعل يوم عمورية نسيباً ليوم بدر كما أن المعتصم نسيب للنبي، فاليو مان في سبيل الله، ودفاعاً عن دين الله الحق الذي جاء في صيغته الأخيرة إسلاماً لله لا للأصنام، ولا للأهواء. وعمل المعتصم شرف يجعل الأوجه العربية مشرقة بالنصر، وأوجه العرب، هنا، استعملت بالمعنى التقني؛ فالعربي الأصيل يجل وجهه عن السجود لغير الله؛ وهذه العروبة بيان عن الخاصة العليا التي جاء بها محمد العربي للناس، وبذلك تكون هذه العروبة إسلاماً لا دمًا، بدليل أن محمداً يوم بدر كان يقاتل العرب المشركين، وكان معه المسلمون من غير العرب. وكذلك في عمورية، فقد كان الأفشين وأشناس الفارسيان قائدين في جيش المعتصم.

وكان صفرة الوجوه الرومية التي يذكرها أبو تمام، في هذا المجال، تعادل صفرة الوجوه العربية التي كانت تسجد للأصنام، وجاءت لتطفئ نور الإسلام يوم بدر فأطفأها الله.

إن موازنة هادئة بين موقعة بدر وموقعة عمورية، تكشف السبب الذي جعل أبا تمام يعثر على المعادل الموضوعي لعاطفته الدينية في كلمة «بدر»، عندما تثار عاطفته الدينية في موقعة معاصرة له كموقعة عمورية.

هنا أيضًا، يتجلى إحساس أبي تمام بالتاريخ وبالعصر والمستقبل:
فبدر من تاريخ الإسلام القديم، وأبطالها: النبي العربي، وأتباعه من العرب
الأوائل ومن غير العرب، وعمورية من تاريخ الإسلام المعاصر لأبي تمام، وأبطالها:
المعتصم الهاشمي وأتباعه المسلمون من عرب وغير عرب. والمستقبل في خاطر أبي
تمام: وليد الزمان الماضي والحاضر، وكما جاءت عمورية بعد بدر بمئتين وواحد
وعشرين عامًا، لتؤكد غايات بدر في السعي «لجرثومة الدين والإسلام والحسب»
فسيأتي بعد أجيال وأجيال من يحيي التوحيد، ويجاهد لأجله فيكون المؤمنون من كل
الأجناس في صف واحد. وهذا يظهر قيمة استعمال أبي تمام لموقعة «بدر» في قصيدة
مدحية للمعتصم أو غيره، ويكشف ما وراء المعادل الموضوعي من أعماق وجدانية،
إنسانيًا وتاريخيًا.

معادلات الوطن الشامل

صار واضحًا أن أبا تمام يُعبئ في مصطلحاته من الأسماء، مدلولًا تاريخيًا
وإنسانيًا بعيد الإشارة، لأنه يتخذ من أسماء الأشخاص أو المواقع، أو القبائل
أو الأجناس معادلًا موضوعيًا لعواطفه وأفكاره، كما رأينا في: حاتم، طيّع،
والعرب، والفرس، والروم، وذو قار، وبدر. ومثل هذا المعادل نعثر عليه في
أسماء البلدان أيضًا.

في مدائح أبي تمام أسماء بلدان عديدة مثل: الشام، والعراق، ومصر، والمغرب
والأندلس والصين.

يقول في قصيدة مدح بها محمد حسان الضبي:

خليفة الخضر، من يربع على وطن
 في بلدة فظهور العيس أوطاني
 بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا
 بالرقتين وبالفسطاط إخواني
 وما أظن النوى ترضى بما صنعت
 حتى تطوح بي أقصى خراسان^(٥٨)

وأبو تمام في هذه الأبيات، وفي كثير من مثيلاتها في شعره، يعبر عن وطنه الشامل وكأنه خليفة الخضر الحي^(٥٩) في طوافه، لذلك لا يقف على وطن في بلدة واحدة، ظهور العيس وحدها هي وطنه، فتنقله باستمرار من بلد إلى آخر حيث أهله في الشام، وفي بغداد والرقمتين أو الرقتين وفي مصر وخراسان.... إلخ. ومن كان موزعاً على هذه الصورة، فالحركة من هذه الأوطان وإليها جميعاً هي وطنه، وقد جسّد تلك الحركة بقوله: «ظهور العيس».

لكنّ الشام، بين هذه البلدان، تأخذ مكانة خاصة في قلبه وشعوره إلى درجة تأخذ فيها مقام المعادل الموضوعي لعاطفته الوطنية لوطنه الأم، فهي منزله الأول، وهو القائل:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
 ما الحبّ إلاّ للحيب الأول
 كم منزل في الأرض يألفه الفتى
 وحينه أبداً لأول منزل^(٦٠)

فحين أبي تمام لمنزله الأول، ومنزله الأول الشام، وقد يذهب الخاطر في فهم

(٥٨) الديوان بشرح التبريزي ٣/٣٠٨ الأبيات: ٥-٤٣.

(٥٩) يزعم أناس «أنّ الخضر حيّ لم يمّت، وأنه يطوف البلاد، ويدعون أنه شرب من عين

الحيوان»: التبريزي في شرح الديوان ٣/٣٠٨.

(٦٠) الديوان بشرح خياط ص ٤٥٧.

البيت إلى معنى آخر، بأن يُعدَّ المنزل الأول هو «المحل الأرفع» الذي تحدث عنه ابن سينا في قصيدته عن النفس، أي مصدر النفس الأعلى^(٦١) لكنَّ نصوص أبي تمام الكثيرة في هذا الموضوع تتشبه بالشام ذاتها، فهو في بلد الارتحال يحنُّ إلى دمشق والجولان والبقاعين، ويبعث إليها، وهو في مصر، سحَابًا يقتل المحل وينبت الخصب فيقول:

بنفسي أرض الشام، لا أيمنُ الحمى	ولا أيسرُ الدَّهنا، ولا وَسَطُ الرَّمَل
ولم أر مثلي مستهاً بما مثلكم	له مثل قلبي، فيه ما فيه لا يغلي
سقى الراح الغادي المهجرُ بلدةً	سقتني أنفاس الصبابة والحبل
فجاد دمشقاً كلَّها جود أهلها	بأنفسهم عند الكريهة والبذل
فلم يبق من أرض البقاعين بقعة	وجاد قرى الجولان بالمسبل الوبل ^(٦٢)

فأرض الشام في نفس أبي تمام، وكأن نفسه وطن الشام، ويخص منها قرى الجولان لأنه وُلد في جاسم، وهي تلك القرى الجولانية أو الحورانية التي تقع جنوب دمشق. وكلمة الشام معادل موضوعي لعاطفة أبي تمام نحو المكان المحدد، بلد الولادة والصبأ والأهل، لكن محطات حياة الشاعر المتعددة التي بدأت في جاسم، ونمت في حمص ودمشق لم تكتمل إلا في محطات أخرى متعددة في مصر

(٦١) يقول ابن سينا (منطق المشرفين): هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع.
 (٦٢) الديوان بشرح التبريزي ٥١٩/٤، الأبيات: ١٦-١٧-٨-١٣-١٥. وفي رواية أخرى الهطل مكان الوبل.

والحجاز والعراق وخراسان، إلى درجة أضحي المكان كله وطنًا واحدًا، لإنسان واحد يكون إنسان الهداية للناس والرافة بهم.

يقول أبو تمام من قصيدة يمدح بها المعتصم، وينصحه بأن يشدد أمر الخلافة بابنه هارون:

فأشُدُّ بهارون الخلافة إنَّه سَكَنَ لو حشيتها ودارُ قرار
بفتى بني العباس والقمرِ الذي حَفَّتْه أنجمٌ يعرُبُ ونزار
ليسير في الآفاق سيرة رافةٍ ويسوسها بسكينة ووقار
فالصينُ منظومٌ بأندلس إلى حيطانِ روميةٍ فمُلِكِ ذِمار
ولقد علمتُ بأنَّ ذلكِ معصمٌ ما كنتَ تتركه بغير سوار^(٦٣)

والصين هنا تدخل في المعادل الموضوعي لعاطفة أبي تمام نحو الوطن الشامل، الذي تعمه الهداية والسكينة. وخصصت الصين من بين البلدان التي يذكرها مثل: الأندلس ورومية واليمن، لأنها تمثل في خاطر أبي تمام رمز البعد القصي الذي يتطلب الوصول إليه المشقة والجهد، كما يفهم من قصيدة أخرى له في مدح القائد الأفضين الذي طارد بابك الخرمي. حيث يقول:

وأخذت «بابك» حائرًا دون المنى ومُنَى الضلال مياهُهُنَّ أُجُون
طعنَ التلْهُفُ قلبَه ففؤادُه من غير طعنةِ فارسٍ مطعونُ!
ورجا بلاد الرومِ فاستعصى به أَجَلُ أصمِّ عن النجاءِ حَرُونُ

(٦٣) الديوان بشرح التبريزي: ٢/٢٠٨، الأبيات: ٥٢-٥٣-٥٧-٥٨-٥٩.

هيهات لم يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ثَوَى بالصين لم تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصَّيْنُ^(٦٤)
 ووطن أبي تمام المثالي غير وطنه الواقعي، الذي يحدده المؤرخون والجغرافيون
 بحدود معينة، ويدفعه الشاعر بروح الشعر لتكون الصين من حدوده، وهو لا
 يرضى بالحدود الجغرافية لوطنه الشامل، إنه يعترف بجاسميته فيصورها كما هي،
 ويعشق الشام داره ووطنه الأول، لكن ذلك لا يمنعه من أن يصرف وجهه إلى وطن
 أكبر يختاره، آخذًا في الاتساع والشمول. ودائمًا يعثر في الصين على معادل موضوعي
 لهذا الوطن الأرحب المتسع في دولة «هارونية» يشملها دين الإسلام رأفة ومحبة:
 في دولة بيضاء هارونية متكنفها النصر والتمكين
 قد أصبح الإسلام في سلطانها والهند بعض ثغورها والصين^(٦٥)
 هذه حكاية وطن أبي تمام الشعري المتحرك بديلاً من وطنه التاريخي الثابت، بل
 هي قصة الوطنين معاً، فوطنه الصغير الذي يحن إليه في جاسم والشام لا يلغي
 الآخر المتسع والشامل. يتحرك الطائي من جاسم في أشواقه على امتداد الأرض
 العربية والإسلامية يومذاك، ولا يقف عند هذا الحد بل يدفع حدود قريته لتكون
 العالم، وتصير الأرض، على متسعتها، داراً، كما يقول في ابن شبانه:

سيتبعث الركاب وراكبيها فتى كالسيف هجعته غرار
 أطلَّ على كُلى الآفاق حتى كأنَّ الأرض في عينيه دار^(٦٦)

(٦٤) المصدر السابق: ٣/ ٣٢٠، الآيات: ٣٠-٣١-٣٢-٣٣.

(٦٥) الديوان بشرح التبريزي: ٣/ ٣٢٧، الآيات: ٣٣-٣٤.

(٦٦) الديوان بشرح الخياط: ١٤١.

وهكذا، نتعرف عاطفة أبي تمام في وجهيها «الإجمالي والتفصيلي» في «الوحدة والتنوع» فكان الإنسان المطلق معادل العاطفة الإنسانية المطلقة، كما كان حاتم معادلاً لعاطفة الكرم، وكانت طيبي معادلاً لعاطفة الانتماء القبلي، وكانت «ذي قار» معادل العاطفة القومية، وبدر معادل العاطفة الدينية، ثم الشام والصين المعادل للعاطفتين الوطنية والعالمية الشاملة.

تعرفنا هذه المعادلات تعريفاً تطبيقياً مصطلح المعادل الموضوعي المعياري في وحدته، وحدة العواطف المتنوعة في اتجاهها نحو الإنسان المثال، الذي كوّن الصيغة الخارجية لهذه العواطف، وكان معادلاً موضوعياً لها؛ وفي تنوعه نتيجة تنوع أسماء بعينها، مواقع وأحداث وأجناس وأمكنة كانت هي المعادلات الموضوعية لعواطفه التي تنوعت وتعددت.



المصنّفون والمراجع

- ١- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي) - الديوان، بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، أربعة أجزاء، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.
- ٢- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي) - الديوان، بشرح محيي الدين الخياط، مجلد ١/١، طبع بمناظرة والتزام محمد جمال، ط ١، مرخصة من نظارة المعارف العمومية رقم ١٣/ مصر.
- ٣- أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، ط ١.
- ٤- بكار (يوسف حسين)، القصيدة العربية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٠.
- ٥- جاد المولى (محمد أحمد)، البجاوي (علي محمد)، أبو الفضل إبراهيم (محمد)، أيام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، القاهرة.
- ٦- الخطيب (حسام)، جوانب من الأدب والنقد في الغرب، منشورات جامعة دمشق، ط ٥، ١٩٩٣-١٩٩٤ م.
- ٧- الخطيب (حسام)، تطور الأدب الأوربي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، مطبعة طربين، دمشق، ١٩٧٤-١٩٧٥ م.
- ٨- خوري (منح)، الشعر بين نقاد ثلاثة، دار الثقافة، بيروت ط ١، ١٩٦٦ م.
- ٩- الدهان (سامي)، فن المديح، دار المعارف بالقاهرة، من دون طبعة أو عام.
- ١٠- علي (أسعد)، الإنسان والتاريخ في شعر أبي تمام، دار النعمان، بيروت، ط ١، ١٩٧٠ م.
- ١١- ماتيسن (ف. أ)، توماس إليوت الشاعر الناقد، ترجمة إحسان عباس، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥ م.
- ١٢- هايمن (ستانلي)، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة.
- ١٣- ويمزات وبروكس، النقد الأدبي، أربعة أجزاء، ترجمة حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٦.

المراجع الأجنبية

- 1- T.S. Eliot on Poetry and Poets London, Faber and Faber limited, The sacred wood
- 2- The readers company to word literature, collection of author published. 1965, New American Bibliotheca.



الضبط اللغويّ: تاريخه وأصوله

د. محمود الحسن (*)

تكتسب الحروف العربية، عندما تُؤلف منها الألفاظ، أصواتاً تشبه صورتها اللفظية صورة أحرف المد «الواو والألف والياء»، وقد تكون مجردة من تلك الأصوات. وهذه الظاهرة واضحة تماماً في النطق.

وقد اجتهد العلماء في تمثيل تلك الأصوات في الكتابة، كما مثلوا الحروف، فوضعوا: الفتحة والضمة والكسرة وغيرها، وجعلوا منها علامات تُلازم الحروف في الصورة الكتابية للغة.

تاريخ الضبط وأشكاله:

يُقسَم الضبط اللغوي إلى قسمين: أحدهما الضبط الإعرابي، والآخر هو الضبط الصرفي. أما الضبط الإعرابي فيختصّ بوضع الحركات على أواخر الكلمات، المستعملة في التراكيب. وتُحدّد حركات الإعراب اعتماداً على ما يفرضه المعنى، وما يقرّره علم الإعراب.

وأما الضبط الصرفي فيختصّ بوضع الحركات على الأحرف، التي تتألف منها بنية الكلمة. وتُعرف تلك الحركات اعتماداً على ما سُمِع عن العرب، وعلى معطيات علم الصرف.

(*) عضو الهيئة الفنية في مجلة مجمع اللغة العربية.

وتُشير الروايات إلى أن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) هو أول من وضع علامات الضبط الإعرابي.^(١) وقد دفعه إلى ذلك خشيته أن تمتد ظاهرة اللحن، التي شاعت في عصره، إلى القرآن الكريم. فبادر بأمر من عبد الملك بن مروان، أو زياد بن أبيه، إلى ضبط المصحف، حيث أتى بكتاب وقال له: «أخذ المصحف، وصبغاً يُخالف لون المداد. فإذا فتحتُ شفطيَّ فانقُط واحدةً فوق الحرف، وإذا ضممتُها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله. فإن أتبعْتُ شيئاً من هذه الحركات غنةً فانقط نقطتين».^(٢)

من هذه الرواية يتضح أن الضبط اللغوي كان في بدايته نقطاً، وكان بحبر يخالف الحبر المستعمل في كتابة الحروف. ويظهر من اعتماد النقط للدلالة على الحركات أن نقط الإعراب، الذي غايته وضع الحركات على أواخر الكلمات، قد سبق نقط الإعجام، الذي غايته التمييز بين صور الأحرف المتشابهة.

وقد اختار أبو الأسود أن يكون «موضع الفتحة من الحرف أعلاه، لأن الفتح مُستعمل، وموضع الكسرة منه أسفله، لأن الكسر مُستقل، وموضع الضمة منه وسطه أو أمامه، لأن الفتحة لما حصلت في أعلاه والكسرة في أسفله، لأجل استعلاء الفتح وتسفل الكسر، بقي وسطه فصار موضعاً للضمة».^(٣)

(١) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، ط ١، بيروت ١٩٥٦. ص ٤٥٤.

(٢) المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: الدكتور عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٠. ص ٤.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢.

ويظهر مما تقدّم أن الضبط الإعرابي، الذي يختص بأواخر الكلمات في التراكيب، قد سبق الضبط الصرفي، الذي يختصّ بالبنية الداخلية للكلمة.

وظلّ نظام النقط سائداً في الضبط اللغوي إلى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥)، الذي هداه تفكيره إلى اختراع علامات الضبط، التي ما تزال تُستعمل إلى اليوم، «إذ أخذ من حروف المدّ صُورَها مصغّرة للدلالة عليها. فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف، لثلاثاً تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء متّصلة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوقه».^(٤)

ولعل الذي دفع الخليل بن أحمد، للتخلّص من نظام النقط، هو وجود الالتباس بين نقط الإعجام، الذي يُراد به التمييز بين الأحرف المتشابهة في الصورة الكتابية مثل (ب ت ث)، ونقط الشّكل، الذي يُراد به التمثيل الكتابي الدقيق للصورة المنطوقة للألفاظ، خصوصاً إذا كان لا يتوفّر للكثير من الكُتّاب لوانان من المداد.^(٥)

ومن جهة أخرى فإن نقط الشكل كان مقبولاً قبل أن يُوضَع نقط الإعجام، فلما ارتبط النقط بالإعجام أصبح من الضروري أن يبحث العلماء عن علامات جديدة للضبط اللغوي. وهذا ما قام به الخليل ابن أحمد.

ولكن بعض الكتاب تمسّكوا في مسألة الضبط اللغوي للمصاحف بنظام النقط، ورفضوا استعمال الحركات التي وضعها الخليل، تخرّجاً من إدخال ما هو

(٤) المصدر السابق ص ٧. والمدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف، ط ٢، دار المعارف، القاهرة،

دون تاريخ. ص ٣٣.

(٥) أنا واللغة والمجتمع للدكتور أحمد مختار عمر، ط ١، القاهرة ٢٠٠٢. ص ١٦٠.

مستحدّث على النصّ القرآني،^(٦) بينما كانت الحركات التي وضعها الخليل تُستعمل في كتابة اللغة والنحو والشعر. وقد أجاز العلماء فيما بعد أن تُستعمل الحركات التي وضعها الخليل في ضبط المصحف،^(٧) وأصبحت سائدة في القرآن الكريم، والحديث الشريف، واللغة والشعر والأدب، وسائر الكتابات العربية، إلى يومنا هذا.

والعلامات المستعملة في الضبط اللغوي سبع هي:

- ١- الفتحة (... ..) وهي: ألف صغيرة مائلة، تُرسم فوق الحرف، وتُلَفَّظ على صورة ألف قصيرة.
- ٢- الضمة (... ..) وهي: واو صغيرة، تُرسم فوق الحرف، وتُلَفَّظ على صورة واو قصيرة ساكنة، مضموم ما قبلها.
- ٣- الكسرة (... ..) وهي: علامة تُشبه الفتحة من حيث الشكل، ولكنها تُرسم تحت الحرف. وتُلَفَّظ على صورة ياء قصيرة ساكنة، مكسور ما قبلها.
- ٤- السكون (... ..) وهو: دائرة صغيرة تُوضَع فوق الحرف، وتدلّ على خلوّه من الحركات.

والسكون عند أهل العربية، من سيبويه وعامة أصحابه، يُجعل على صورة الخاء، يُريدون بذلك الحرف الأول من كلمة «خفيف»، بينما صورته الدائرية المعروفة اليوم كانت مستعملة في مصاحف أهل المدينة.^(٨)

(٦) يُنظر: المحكم في نقط المصاحف ص ٤٣.

(٧) يُنظر: كتاب المصاحف لأبي بكر السجستاني، تحقيق: الدكتور محبّ الدين واعظ، ط ١، الدوحة ١٩٩٥. ص ٤٨١.

(٨) يُنظر: المحكم في نقط المصاحف ص ٥١-٥٢.

٥ - الشدة (... ..) وهي: علامة تُرسم فوق الحرف المشدّد. وشكلها الذي يُشبه حرف الشين، مأخوذ من أول كلمة «شديد». وهذا مذهب سيبويه والخليل وعامة أصحابهما. ومذهب أهل المدينة أن تُجعل علامة التشديد دالاً، من حيث كانت الدال آخر كلمة «شديد».^(٩)

٦ - المدّة (...~...) وهي: في الوقت الحاضر علامة، تُستعمل للدلالة على الهمزة المفتوحة المتصلة بألف مثل «آمن»، وقديماً كانت تُوضَع على أحرف المدّ واللين الثلاثة «الواو والألف والياء»، عندما تلتقي بالهمزات والسواكن.^(١٠)

٧ - التّنوين (... ..) وهو: حرف من الحروف، ساكن في الحلقة، ومخرجه من الخيشوم، ولا يقع أبداً إلا في أواخر الأسماء.^(١١)

والتنوين ليس له صورة في الخط، ولا يجوز أن يُرسم نوناً، وإن شابهها في اللفظ، لأنه زائد يلحق أواخر الأسماء، للتمييز بين ما ينصرف وما لا ينصرف.^(١٢) وقد تنبّه أبو الأسود للتّنوين، إذ قال للكاتب الذي أمسك عليه المصحف، حين ابتداءً بنقطه: «فإن أتبعْتُ شيئاً من هذه الحركات غنةً فانقط نقطتين».^(١٣) ويعني بالغنة التّنوين، لأنه غنة تخرج من الخيشوم.

(٩) نفسه ص ٤٩ - ٥٠.

(١٠) نفسه ص ٥٩.

(١١) نفسه ص ٥٧. وقد ذهب بعضهم إلى أنه حركة وليس حرفاً، محتجين بأنه لو كان حرفاً لكانت له صورة في الخط كسائر الحروف. يُنظر في ذلك: نظرات وآراء في العربية وعلومها للدكتور مازن المبارك، ط ١، دار البشائر، دمشق ٢٠٠٧. ص ١٢٦.

(١٢) نفسه ص ٥٩.

(١٣) نفسه ص ٥٨.

وكان يُشار إلى التنوين بنقطة تُوضع إلى جانب نقطة الحركة. فلما وضع الخليل صَوْرَ الحركات أصبح يُشار إليه بمضاعفة الحركة التي قبله. فإن كان الاسم المنون مرفوعاً أُشير إلى التنوين بضممة تُرسم بعد ضمة الرفع، وإن كان مجروراً أُشير إلى التنوين بكسرة تُرسم بعد كسرة الجرّ، وإن كان منصوباً أُشير إلى التنوين بفتحة تُرسم بعد فتحة النصب، وتُوضع الفتحتان على ألف، وذلك لأن تنوين النصب يُوقَف عليه بالألف.^(١٤)

أحوال التنوين في الوصل والوقف:

التنوين إذن حرف وليس حركة. والدليل على أنه حرف لزوم التغيير الذي يلحق جميع الأحرف له، من التحريك للساكنين في نحو ﴿رَحِيمًا نَبِيًّا﴾،^(١٥) ومن الحذف في نحو ﴿عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ﴾،^(١٦) ومن الإدغام في نحو ﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾.^(١٧) ويكون التنوين ساكناً ومتحركاً. فالساكن نحو: زَيْدٌ وَزَيْدٌ وَزَيْدٌ، فهذه حاله أبداً يكون ساكناً فيها، لأنه جاء لمعنى في آخر الكلمة، نحو نون الثنية، والجمع الذي على حد الثنية...^(١٨) ولا يُجْرَك التنوين إلا في موضعين، أحدهما: أن يُجْرَك

(١٤) المحكم في نقط المصاحف ص ٦٠.

(١٥) الآيتان ٥ و ٦ من سورة الأحزاب.

(١٦) الآية ٣٠ من سورة التوبة.

(١٧) الآية ١٠٢ من سورة المائدة والمحكم في نقط المصاحف للداني ص ٥٧.

(١٨) يقصد جمع المذكر السالم. وذلك لأنه يُصاغ على الطريقة التي تُصاغ عليها الثنية، بزيادة علامته كما تُزاد علامة الثنية على آخر المفرد، بخلاف جمع التكسير. شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة

المتنبي، القاهرة، دون تاريخ. ٥: ١-٢.

لالتقاء الساكنين نحو: هذا زيدٌ العاقلُ، ورأيتُ محمدَ الكريمِ، ونظرتُ إلى جعفرِ الطَّريفِ... والآخر أن تُلقَى عليه حركة الهمزة المحذوفة للتخفيف. وذلك نحو قولك: هذا زيدٌ بُوكَ، ورأيتُ زيدَ بأكَ، ومررتُ بزيدَ بيكَ. وعلى هذا قراءة نافع: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ كَأُخْفِيهَا﴾^(١٩) فالتنوين حرف يتحمَّل الحركة، كما تتحمَّلها الجيم والقاف والصاد وغيرهنَّ من الحروف، ويكون ساكناً ومتحرِّكاً كسائر الحروف.^(٢٠)

تلك كانت صور التنوين في الوصل. فما صورُه في الوقف؟

تتلخص مذاهب العلماء في الوقف على التنوين بأن كل اسم متمكِّن منونٍ وُقف عليه يُحذف تنوينه، كما تُحذف حركته، في حالتي الرفع والجر،^(٢١) نحو هذا زيدُ، ومررتُ بزيدُ. فأما المنصوب المنون فإنه يُبدل منه في حال الوقف ألفاً لحفَّته، وكذلك جاء مرسوماً في الكتابة دلالة على ذلك.^(٢٢)

والذي نراه أن تنوين النَّصب لا يُبدل ألفاً في الوقف بل يُحذف، كما يُحذف تنوينا الرفع والجر.

والألف التي تظهر في الوقف في نحو قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٢٣) إنما هي

(١٩) الآية ١٥ من سورة طه.

(٢٠) سر صناعة الإعراب لابن جني، ط ٢، دار القلم، دمشق ١٩٩٣. ص ٤٩٠ - ٤٩١.

(٢١) المصدر السابق ص ٥١٨.

(٢٢) المحكم للداني ص ٦٠.

(٢٣) الآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

لإشباع فتحة اللام في «تنزيلا»، ويحصل الإشباع حين يُحذف التنوين في الوقف فتوصل الفتحة بألف^(٢٤).

وتفسير ذلك أنه في حال الوقوف على تنوين الرفع يُحذف التنوين كما تُحذف ضمة الرفع التي قبله، وفي حال الوقوف على تنوين الجر يُحذف التنوين وكسرة الجر التي قبله. أما في حال الوقوف على تنوين النصب فيُحذف التنوين فقط، وتبقى فتحة النصب التي قبله لأنها أخفُّ الحركات،^(٢٥) فتأتي هذه الألف لإشباع الفتحة. وهذا كثير في كلام العرب ولا سيَّما في الشعر، قال طرفة بن العبد:^(٢٦)

وَلَا أُغَيِّرُ عَلَى الْأَشْعَارِ أَسْرِفَهَا عَنْهَا غَنِيْتُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقَا

ومن الأدلة على أن تلك الألف لإشباع الفتحة، وليست بدلاً من التنوين، عدم النطق بها حين تُحذف الفتحة مع تنوين النصب، لدى الوقوف على نحو «تمرّة»، إذ يُوقف على تنوين النصب في مثل هذا الموضع بالسكون. وما ذاك إلا لأن الفتحة قد حُذفت مع التنوين، قال تعالى ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾.^(٢٧)

(٢٤) الألف التي تظهر في الوقف تثبت في الكتابة. ولكن يوجد مذهبان في رسم تنوين النصب: أحدهما أن يُرسم على الألف نحو «صبراً»، والآخر أن يُرسم على الحرف الأخير من الكلمة قبل الألف نحو «صبراً». والرأي الثاني أرجح، لأن التنوين يُشار إليه بفتحة تجاور فتحة الحرف المنون، والفتحة إنما تكون على الحرف المنون نفسه وليس على الألف. وللتفصيل في هذه المسألة يُنظر: نظرات وآراء في العربية وعلومها ص ١٢٦ ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء ٢ من المجلد ٨٣ ص ٤٥٧.

(٢٥) يُنظر: الباب في علل البناء والإعراب للعكبري، تحقيق: الدكتور عبد الإله نبهان وغازي طليبات، ط ١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٥، ٢: ١٩٩.

(٢٦) ديوانه بشرح الأعلام الششمري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥. ص ١٨٠.

(٢٧) الآية ٤ من سورة الغاشية.

ومن الأدلة على أن الألف، التي تظهر في الوقف، ليست بدلاً من تنوين النصب، أن «من العرب مَنْ يقف على المنصوب المنون بلا ألف، فيقول: ضربتُ زيدُ، وكَلَمْتُ مُحَمَّدُ، كما يقف على المرفوع بلا واو، وعلى المجرور بلا ياء، فيقول: هذا جَعْفَرُ، ومررتُ بجَعْفَرٍ».^(٢٨)

ومن الأدلة على أن الألف، ليست بدلاً من تنوين النصب، ما قاله الكسائي لدى تفسير تنوين «مِصْرًا» في قوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾^(٢٩) إذ قال: «هي في مصحف عبد الله وأبي بن كعب بغير ألف. فمن أجزاها وقف عليها بالألف، ومن لم يُجْرِها كان له مذهبان: أحبُّهما إليّ أن يقف بالألف اتباعاً للكتاب، ويُجمع له مع موافقة الكتاب مذهبٌ من مذاهب العرب، لأن العرب تقف على ما لا يُجْرَى بالألف، فيقولون: رأيتُ يزيدا وعُمرا. وإنما فعلوا ذلك لأنهم وجدوا آخر الاسم مفتوحاً، فوصلوا الفتحة بالألف».^(٣٠)

يتَّضح من كلام الكسائي أنه يجوز أن يُوقَف بالألف على آخر الاسم المنصوب، الممنوع من الصرف. ولو كان الألف بدلاً من التنوين لما جاز أن يُوقَف بالألف، لعدم وجود تنوين النصب أصلاً. وفي كلام الكسائي تصريح بأن الألف إشباع للفتحة.

ومن الأدلة على أن الألف ليست بدلاً من تنوين النصب ما ورد في القرآن

(٢٨) سر صناعة الإعراب ص ٤٧٧، ويُنظر الباب في علل البناء والإعراب ٢: ٢٠٠.

(٢٩) الآية ٦١ من سورة البقرة.

(٣٠) إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ص ٢٧٢ - ٢٧٣. والاسم الذي لا يُجْرَى هو

الممنوع من الصرف.

الكريم، من نحو قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾،^(٣١) وقوله: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾،^(٣٢) وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.^(٣٣) فقد زيدت الألف في هذه المواضع إشباعاً للفتحة، من أجل مناسبة رؤوس الآي. وهذا مشبّه بوقوفهم على قوافي الشعر، في نحو قول جرير:^(٣٤)

أَقْلِيَّ اللَّوَمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا، وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ: لَقَدْ أَصَابَا

أهمية الضبط:

روى الداني عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال: «الشكلُ سِمةٌ للكتاب، كما أن الإعراب سِمةٌ لكلام اللسان. ولولا الشكل لم تعرف معاني الكتاب، كما لولا الإعراب لم تعرف معاني الكلام».^(٣٥)

من هذا النص تتضح أهمية الضبط اللغوي، بقسميه الصرفي والإعرابي، حيث يُعرف بالضبط الصرفي اللفظ الصحيح للكلمة، كما يُعرف بالضبط الإعرابي المعنى الدقيق للتركيب. ولبیان أهمية الضبط الصرفي أولاً أسوق الأمثلة التالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.^(٣٦)

(٣١) الآية ١٠ من سورة الأحزاب.

(٣٢) الآية ٦٦ من سورة الأحزاب.

(٣٣) الآية ٦٧ من سورة الأحزاب.

(٣٤) ديوانه بشرح ابن حبيب ص ٨١٣، وسر صناعة الإعراب ص ٤٧١.

(٣٥) نفسه ص ٢٣.

(٣٦) الآية ١١ من سورة التوبة.

الجَنَّة: دار الخلود والنعيم في الآخرة. وقال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾. (٣٧) الجَنَّة: ما يُسْتَرَّ به من تُرس وغيره. وقال تعالى: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ؟﴾ (٣٨) الجَنَّة: الجنون.

يُلاحظ في هذه الأمثلة ورود ثلاث كلمات، لها نفس الأحرف، وهي «الجَنَّة والجَنَّة والجَنَّة»، ولكن معانيها مختلفة. ولا يخفى أن للسياق دوراً في تمييز المعاني، ولكن الضبط الصرفي يعدّ مهماً جداً في هذه الحال، لتحديد النطق الصحيح، والمعنى المطلوب.

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا، وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾. (٣٩) العَرَض: ما يَعْرِض من منافع الدنيا. وقال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾. (٤٠) العَرَض: مصدر للفعل عَرَضَ يَعْرِضُ. وقال عنتره: (٤١)

فإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي، وَعَرِضِي وَإِفْرٌ، لَمْ يَكَلِّمْ

(٣٧) الآية ١٦ من سورة المجادلة والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣. ٨: ٢٣٦.

(٣٨) الآية ٨ من سورة سبأ، ومجاز القرآن، لمعمر بن المثنى، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دون تاريخ. ٢: ٥٧.

(٣٩) الآية ٤٢ من سورة التوبة، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٩. ٨: ١٥٣.

(٤٠) الآية ١٠٠ من سورة الكهف.

(٤١) شرح المعلقات العشر، للخطيب التبريزي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط ١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٧. ص ٢٣٠.

العَرَضُ: الشَّرْفُ وهو موضع المدح والذم من الرجل.
فالعَرَضُ والعَرَضُ والعَرَضُ لها نفس الأحرف، وإنما يحصل التمييز بين معانيها عن طريق الضبط الصرفي.

ويعدّ الضبط الصرفي مهمّاً في التمييز بين اسمي الفاعل والمفعول، للفعل فوق الثلاثي المجرّد، كالمُنذِرِينَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾،^(٤٢) والمُنذِرِينَ في قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾،^(٤٣) إذ لا فرق بين الكلمتين من حيث اللفظ إلا بحركة ما قبل الآخر. وللحركات أيضاً دور مهمّ في التفريق بين الفعل المبني للمعلوم، والفعل المبني للمجهول، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾.^(٤٤) وقال عمرو بن كلثوم:^(٤٥)

إِذَا وُضِعَتْ عَنِ الْأَبْطَالِ يَوْمًا رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ جُونًا
فالفعلان « وَضَعْتَ وَوَضِعْتَ » لا فرق بينهما، من حيث اللفظ، إلا بالحركات. ولا تقتصر أهمية الضبط الصرفي على ما ذكر في الأمثلة السابقة، بل يتعدى ذلك، إذ به يُعرف اللفظ الصحيح لكل كلمات اللغة.

وبالنسبة إلى الضبط الإعرابي فهذه أمثلة موجزة، تُؤكّد ضرورته، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾.^(٤٦) فالفتحة على آخر كلمة «إبراهيم»، والضمّة

(٤٢) (٤٢) الآية ٦ من سورة الدخان.

(٤٣) (٤٣) الآية ١٧٧ من سورة الصافات.

(٤٤) (٤٤) الآية ٣٦ من سورة آل عمران.

(٤٥) (٤٥) شرح المعلقات العشر ص ٢٨١. والتاء في (وَضِعْتَ) عائدة على الدُّرْعِ. والجُّونُ: السوداء.

(٤٦) (٤٦) الآية ١٢٩ من سورة البقرة.

على آخر كلمة « رَبُّهُ » هما اللتان مَيَّزتا الفاعل من المفعول به، فاستقام المعنى على الصورة التي أرادها السِّيَاق القرآني.

وَرُوي أن أعرابياً سمع من يقرأ لفظ « رَسُولِهِ » بالجرّ، في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَرَسُولُهُ﴾،^(٤٧) فقال الأعرابي: إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا منه بريء، فأخذه القارئ إلى الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فحكى الأعرابي قراءته، فأمر عمر بتعليم العربية.^(٤٨)

وقرأ الجمهور (رسولُه) بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف، أي: ورسولُه بريءٌ منهم. وحُذِف الخبر لدلالة ما قبله عليه. وأجاز بعضهم الرفع عطفاً على الضمير المستتر في « بريء ». ^(٤٩)

مما سبق تظهر أهمية الضبط اللغوي، في توجيه النصوص والتراكيب والألفاظ، بغية إيصال المعنى المطلوب إلى القارئ على الوجه الأمثل.

طريقة الضُّبْط:

يُلاحَظ لدى استعراض الكتب أن الكاتب، في أغلب الأحيان، لا يتَّبَع طريقة واضحة في الضبط اللغوي. فأحياناً يتوسَّع في الضبط، فيضع كثيراً من الحركات التي لا تسهم في توجيه النصّ، والتي يمكن الاستغناء عنها، وأحياناً يحذف بعض الحركات، التي يُعدّ وجودها ضرورياً، لإدراك المعنى المطلوب.

(٤٧) الآية ٣ من سورة التوبة.

(٤٨) البحر المحيط ٥: ٨.

(٤٩) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط ٢، دار الجليل،

بيروت ١٩٨٧. ص ٦٣٤.

ولا شك أن التوسُّع في استعمال الحركات يُثقل النصّ، ويجعل صورة الخطّ رديئة، ويضاعف العبء على الكاتب والقارئ معاً، كما أن التقليل من استعمالها قد يجعل النصّ قاصراً عن أداء المعنى المراد.

فالطريقة المقترحة للضبط تقتضي من الكاتب أن يكتفي بوضع الحركات الضرورية فقط، التي يؤدّي حذفها إلى الوقوع في اللبس أو ضياع المعنى، وتقتضي في الوقت ذاته عدم إثقال النصّ بحركات لا حاجة إليها.

قال أبو بكر بن مجاهد: «والشكّل لما أشكّل، وليس على كلّ حرفٍ يقع الشكّل. إنّما يقع على ما إذا لم يُشكّل التيس. ولو شكّل الحرف من أوله إلى آخره - أعني الكلمة - لأظلم، ولم تكن فائدة، إذ بعضه يؤدّي عن بعض»^(٥٠).

يتضح من هذا النص أن بعض الأحرف في الكلمة بحاجة إلى ضبط. وذلك حين تحتمل حركة الحرف أكثر من وجه. ومثل هذا الحرف هو الذي عناه ابن مجاهد بقوله: «والشكّل لما أشكّل»، على حين أن الحرف الذي لا تحتمل حركته إلا وجهاً واحداً فينبغي ألا يُضبط. والأغلب أن ضبط الحروف المشكّلة في الكلمة يدل على حركات الحروف غير المشكّلة، فلا حاجة لضبط هذه الأخيرة.

وفيما يلي عرض لأسس الطريقة المقترحة للضبط اللغوي التام.

أولاً- في مجال الضبط الإعرابي:

نظراً لأهمية الضبط الإعرابي في توجيه المعنى تُوضع جميع علامات الإعراب والبناء، في الضبط التام، على أواخر الكلمات، ويُستثنى من ذلك ما يلي:

(٥٠) المحكم في نقط المصاحف ص ٢٣.

١- الواو المنفصلة، التي تكون للعطف أو الاستئناف أو الحال أو غير ذلك، لا تُوضَع عليها فتحة لأنها لا تُلفظ إلاّ مفتوحة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ﴾. (٥١)

٢- الفاء التي تكون للعطف أو الاستئناف أو السببية، أو غير ذلك، لا تُوضَع عليها فتحة أيضاً لأنها لا تُلَفِّظُ إلاّ مفتوحة، كما في قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النَّارَ﴾. (٥٢)

وجاز حذف الفتحة في هذين الموضعين، لكثرة الاستعمال، واستبعاد اللبس.

٣- أحرف العلة « الواو والألف والياء » لا يُوضَع عليها السكون إذا كان الإعراب أو البناء يقضي بسكونها، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، (٥٣) وقوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾. (٥٤) ولا حاجة لوضع السكون في هذه المواضع، لأنه لا يشتهر بغيره من الحركات، ولو كان حرف العلة متحركاً لوجب ضبطه، علماً أن الألف لا يجيء إلا ساكناً.

٤- حروف المعاني وبعض الأسماء المبنية، المؤلفة من حرفين، لا يُوضَع السكون على آخرها أيضاً، كحرفي الجر « مِنْ وَعَنْ »، و« إِنْ » الشرطية أو النافية أو المخففة من الثقيلة، و« أَمْ » المعادلة، و« مِمَّ الْجَمْعِ السَّاكِنَةِ »، و« أَنْ » الناصبة أو

(٥١) الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٥٢) الآية ٢٤ من سورة البقرة.

(٥٣) الآية ٩ من سورة النجم.

(٥٤) الآية ٣٥ من سورة ص.

المفسرة أو المصدرية أو المخففة من الثقيلة، و«لن» الناصبة، و«لم» الجازمة، وتاء التأنيث، ونون التوكيد الخفيفة، و«هل» الاستفهامية، و«من» الشرطية أو الاستفهامية أو الموصولة...

فإن تحركت أو اواخر هذه الحروف والأسماء لالتقاء الساكنين، أو لاعتبارات أخرى وجب وضع الحركة. وإنما يُحذف السكون في هذه المواضع، لكثرة الاستعمال، ولأنه لو لم يكن الموضع ساكناً لُوَضعت الحركة. ومن أمثلة حذف السكون في المواضع السابقة قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَقَّىٰ مِنْ قَبْلُ﴾.^(٥٥)

٥- الفعل الماضي، المتصل بضمير رفع متحرك، والفعل المضارع، المتصل بنون النسوة، لا يُوضَع السكون على آخرهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾، وقوله:^(٥٦) ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.^(٥٧)

ويُحذف السكون، في كل المواضع السابقة، وما يُشبهها لكثرة الاستعمال، واستبعاد اللبس.

ثانياً- في مجال الضبط الصرفي:

تأتي أهمية الضبط الصرفي من جهة أنه يجعل الكلمة المكتوبة تُطابِقُ صورتها المنطوقة، كما سُمعت عن العرب. فينبغي وضع كل الحركات التي تلزم لضبط اللفظ، ودفع اللبس، كما ينبغي حذف كل الحركات التي لا تُسهم في توجيه النطق الصحيح للكلمات.

(٥٥) الآية ٥ من سورة الحج.

(٥٦) الآية ١٧ من سورة الأنفال.

(٥٧) الآية ١١٤ من سورة هود.

- وبناء على ما تقدّم فالفتحة يمكن التخيّي عنها في عدة مواضع، من ذلك:
- ١- إذا وقعت قبل الألف اللينة الممدودة، المتوسطة أو المتطرفة، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٥٨) بينما تُثبت الفتحة قبل الألف اللينة المقصورة، لكيلا تشبهه بالياء، كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٥٩).
- ٢- إذا وقعت قبل تنوين النصب، كما في قوله تعالى: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾^(٦٠) أو قبل التاء المربوطة، كما في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٦١). وهذان الموضعان لا يمكن أن يُلفظَ الحرف فيهما إلا مفتوحاً، لذلك لا حاجة لوضع الفتحة.
- ٣- تُحذف الفتحة أيضًا إذا كانت حركة همزة مفتوحة، مرسومة على ألف، مهما كان موضعها، كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^(٦٢). والهمزة المرسومة فوق ألف، إذا كانت متوسطة فإنها تحمل الفتح والسكون، وإذا كانت أولية فإنها تحمل الفتح والضم، ويمكن التمييز بين حالتي الفتح والضمّ بوضع الضمة دائماً، إذا استحقت همزة الضم، وبتجريدتها من الحركة، إذا استحقت الفتح، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦٣).

(٥٨) الآية ١٨ من سورة محمد.

(٥٩) الآية ٥ من سورة الضحى.

(٦٠) الآية ٣٧ من سورة الواقعة.

(٦١) الآيتان ١ و ٢ من سورة القارعة.

(٦٢) الآية ٤٣ من سورة النحل.

(٦٣) الآية ٧١ من سورة الأنعام.

٤- وتُحذف الفتحة إذا كانت حركة لهاء التنبيه، كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾^(٦٤) لأنها لا تلتبس بغيرها من الحركات. وبالنسبة إلى الضمة فيجب أن توضع دائماً، إذ لا توجد مواضع مضمومة يُمكن الاستغناء عن ضمّتها في الضبط التام.

والكسرة أيضاً ينبغي أن تُوضَع، إلا إذا كانت حركة للهمزة الأولية، المرسومة تحت الألف. ففي هذه الحالة تُحذف، لأن وجود الهمزة تحت الألف يدلّ على الكسرة، دون غيرها من الحركات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٦٥).

وفيما يخص السكون فالأغلب أن يُحذف، وألا يُوضَع، إلا إذا كان وجوده ضرورياً. ويكفي خلوّ الحرف من الحركة، في غير المواضع التي تُحذف فيها الفتحة، للدلالة على السكون.

وأشهر المواضع التي يُحذف فيها السكون:

١- الألف اللينة، لأن الألف اللينة لا تأتي إلا ساكنة، أينما كان موضعها، كما في قوله تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٦٦).

٢- ويُحذف السكون إذا كان حركة لأحرف العلة، كما قوله تعالى: ﴿تُورْهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^(٦٧) لأنها لو لم تكن ساكنة لوجب ضبطها.

(٦٤) الآية ١١ من سورة لقمان.

(٦٥) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٦٦) الآية ٥٠ من سورة المؤمنون.

(٦٧) الآية ٨ من سورة التحريم.

- ٣- ويُحذف السكون أيضاً إذا كان حركة للام التعريف القمرية، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾^(٦٨) إذ لا حاجة لوضعها لأن اللام لا تحمل إلا السكون.
- ٤- ويُحذف السكون من الحرف الثاني، في الفعل المضارع، إذا كان ساكناً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْتَصِي، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾^(٦٩).
- ٥- ويحذف السكون من الحرف المسبوق بهمزة وصل دائماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾^(٧٠).
- ٦- وهناك مواضع أخرى يُحذف فيها السكون، تُعرف عن طريق الممارسة والتطبيق، كحذف الساكن من وسط الاسم الثلاثي الساكن الوسط، كما في «العلم والجهل وقبل وبعد»، قال تعالى: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾^(٧١).
- والمهم في حذف السكون أو إثباته، أن يُؤخذ بعين الاعتبار أن خُلُو الحرف من الحركات، في غير المواضع التي تُحذف فيها الفتحة، يدل على أن الحرف ساكن. ولهذا ينبغي عدم وضع السكون إلا إذا كان وجوده ضرورياً.
- إن الطريقة التي عُرِضَتْ، فيما تقدّم، إنما يُلجأ إليها، لضبط الشواهد المقتبسة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر القديم، والأمثال، ويُلجأ إليها أيضاً في ضبط الكتابات الموجهة إلى الأطفال وعامة الناس وغير الناطقين بالعربية.

(٦٨) الآية ٢٠ من سورة الذاريات.

(٦٩) الآية ٨ و ٩ و ١٠ من سورة عبس.

(٧٠) الآية ٦٠ من سورة البقرة.

(٧١) الآية ٤٢ من سورة النمل.

وهي توضّح ما يجب على الكاتب وضعه من العلامات، وما يستطيع اختصاره منها، مما لا يسهم في خدمة النصّ وتوجيه القراءة.

وحين تُراعى المقترحات السابقة يتحقّق الضبط التام مصحوباً بثلاث فوائد: أولاً أن الكاتب لا يُتعب نفسه في ضبط كلّ الحروف. وثانياً أن القارئ يوفرّ جهداً كبيراً في القراءة، فلا يحتاج أن يُتعب بصره وفكره في النظر والتحليل. وثالثاً أن الخطّ يبدو أكثر ألفةً وجمالاً وأقرب إلى النفس.

ويُشار أخيراً إلى أن الضبط اللغوي له مستويات أعلاها الضبط التام الذي ظهرت أصوله فيما تقدّم، وأدناها أن يُكتفى بضبط الأحرف التي تُشكّل على القارئ فقط. وبين الأعلى والأدنى درجات تُحددها طبيعة المادة المكتوبة، والمستوى الفكري والثقافي للقراء.

وهذه أمثلة مضبوطة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والنثر الأدبي، تظهر فيها أصول الطريقة المقترحة للضبط التام.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ. وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً، أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ، ذَكَرُوا اللَّهَ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ. وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ؟ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ، وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا. وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٢﴾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ» (أَوْ تَمْلَأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو: فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُؤَبِّقُهَا». (٧٣)

وقال طرفة بن العبد: (٧٤)

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى؟ حَلَيْتُ أَنْبِي
وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً،
وَإِنْ تَبَغْنِي، فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ، تَلَقْنِي
وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ، الْجَمِيعُ، ثَلَاثِنِي
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ، بِخَيْلٍ بِإِلَاهِهِ،
أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ، وَيَصْطَفِي
أَرَى الدَّهْرَ كَنْزًا، نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ،
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى

وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، لِعَبْدِ الصَّمَدِ مُؤَدِّبٍ وَلَدِهِ: «لِيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَبْدَأُ بِهِ، مِنْ إِصْلَاحِ بَنِي، إِصْلَاحَ نَفْسِكَ، فَإِنَّ أَعْيُنَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنَتْ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَقْبَحَتْ.

(٧٣) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري. اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار

الدولية، الرياض ١٩٩٨. ص ١١٩ تحت الرقم ٢٢٣.

(٧٤) شرح المعلقات العشر ص ١٠٣ - ١١٥.

وَعَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَلَا تُكْرِهُهُمْ عَلَيْهِ فَيَمْلُوهُ، وَلَا تَتْرُكُهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ. ثُمَّ رَوَّاهُمْ مِنَ الشُّعْرِ أَعْفَى، وَمِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ. وَلَا تُخْرِجُهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى يُحْكِمُوهُ، فَإِنَّ أزدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِفَهْمِهِ.

وَلَا تُهْدِدُهُمْ بِي، وَأَدِّبُهُمْ دُونِي. وَكُنْ لَهُمْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَعَجَلُ بِالذَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الذَّاءِ. وَجَنِّبُهُمْ مُحَادَثَةَ النِّسَاءِ. وَرَوَّاهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ. وَاسْتَزِدْنِي بِزِيَادَتِكَ إِيَّاهُمْ أزدِكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّكِلَ عَلَى عُذْرٍ مِنِّي لَكَ، فَقَدْ أَتَّكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مِنْكَ. وَزِدْ فِي تَأْدِيبِهِمْ أزدِكَ فِي بَرِّي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٧٥).



(٧٥) البيان والتبيين للجاحظ. تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٥، القاهرة ١٩٨٥. ٧٣: ٢.

المصنّعون والمراجع

- ١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ط ١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٥٦ م.
- ٢- أنا واللغة والمجتمع للدكتور أحمد مختار عمر، ط ١، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٢ م.
- ٣- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣ م.
- ٤- البيان والتبيين للجاحظ. تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥ م.
- ٥- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط ٢، بيروت ١٩٨٧ م.
- ٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٩ م.
- ٧- ديوان طرفة بشرح الأعلام الشتمري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٥ م.
- ٨- سر صناعة الإعراب لابن جني. تحقيق: الدكتور حسن هندواوي، ط ٢، دار القلم، دمشق ١٩٩٣ م.
- ٩- شرح المعلقات العشر، للخطيب التبريزي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط ١، دمشق ١٩٩٧ م.
- ١٠- شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة، دون تاريخ.

- ١١- صحيح مسلم، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٩٩٨م.
- ١٢- كتاب المصاحف لأبي بكر السجستاني، تحقيق: الدكتور محب الدين واعظ، ط١، الدوحة ١٩٩٥م.
- ١٣- اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، تحقيق: الدكتور عبد الإله نبهان وغازي طليبات، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٥م.
- ١٤- مجاز القرآن، لمعر بن المثنى، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزكين، القاهرة، دون تاريخ.
- ١٥- المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دمشق ١٩٦٠م.
- ١٦- المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ص ٣٣.
- نظرات وآراء في العربية وعلومها للدكتور مازن المبارك، ط١، دار البشائر، دمشق ٢٠٠٧م.



التعريف والنقد

مختار تذكرة أبي عليّ الفارسيّ وتهذيبها

لأبي الفتح عثمان بن جنيّ ت ٣٩٢ هـ

تحقيق د. حسين أحمد بو عباس

الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (٧٢٨ص) الرياض ١٤٣١ هـ

أ.د. عبد الإله نبهان (*)

كان أبو عليّ الفارسيّ الحسن بن أحمد (٢٨٨-٣٧٧هـ) رأس النحاة في أيامه، وقد أولع باستنباط العلل النحوية، كما أولع بالجدل وتقليب وجوه الرأي في القضايا والمسائل النحوية، وخصوصاً أن قواعد النحو كانت استقرّت وأوجزت وشرحت حتى لم يبق فيها زيادة لمستزيد. لذلك كان اتجاه أبي عليّ إلى النحو التطبيقي، وإلى الاجتهاد في القضايا النحوية استناداً إلى النصوص، لذا نرى أن أكثر كتبه كانت في المسائل. فإذا ما تركنا الإيضاح العضدي والتكملة، وهما في النحو والصرف، ونظرنا إلى آثاره الأخرى كالحجة للقراء السبعة والمسائل البغداديات والشيرازيات والعسكريات والمشورة والعضديات وكتاب الشعر، فإننا نجد لها ذات طابع تطبيقي اجتهادي، وفيها تبرز براعة أبي عليّ ومقدرته على الجدل وعلى تقليب المسائل على وجوهها المختلفة، وقد نشر معظم تراث الفارسيّ بعد أن نشر المرحوم الدكتور عبد الفتاح شلبي رسالته عنه وعرف بآثاره

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

المخطوطة^(١)، فقد نشرت كتب المسائل المشار إليها كما نشر كتابه: التعليقة، وهو شروح وإيضاحات على كتاب سيبويه. على أن هناك كتاباً له سماه «التذكرة» نقل عنه النحاة، وأحوالوا عليه، نقل عنه البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) وقبّله السيوطي (ت ٩١١هـ) وغيرهما.. ويبحث عنه المعاصرون، ولم يقع له أحد على أثر. وربما كان أبو علي أول من صنف بهذا العنوان، فكتابه أول كتاب ذكره كشف الظنون باسم التذكرة، وقد صُنفت عدة كتب بعده بهذا الوسم، منها في النحو كتذكرة أبي حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ)^(٢)، ومنها في الأدب كتذكرة الحمدوني (ت ٥٦٢هـ)^(٣)، ومنها في الشعر كالتذكرة الفخرية^(٤)، ومنها في الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب كتذكرة القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ومنها في كل شيء كالفلك المشحون للسيوطي.

واقصر الباحثون على النقول التي نقلت من تذكرة أبي علي، ولكن لحسن حظ الباحثين وحظّ أبي علي طلع علينا مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بكتاب عنوانه: (مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها) لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) بتحقيق الدكتور حسين أحمد بو عباس.

(١) أبو علي الفارسي. د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي - مكتبة نهضة مصر - القاهرة ١٣٧٧هـ.

(٢) تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي.. تح د. عفيف عبد الرحمن - مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦م.

(٣) التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي ت ٥٦٢هـ - تح د. إحسان عباس وبكر عباس - دار صادر - بيروت ١٩٩٦.

(٤) التذكرة الفخرية للصاحب بهاء الدين المنشئ الأربلي ت ٦٩٢هـ - تح د. نوري حمودي القيسي - د. حاتم صالح الضامن - المجمع العلمي العراقي ١٩٨٤م.

ولما كان الوقوع على مثل هذا الكتاب يشعل الباحث فرحاً فقد بدأ المحقق الفاضل مقدمته بأن قصّ علينا بالتفصيل قصة وقوعه على هذا المخطوط، بعد أن انتشر وصف له على هذا النحو: «تذكرة أبي عليّ الفارسي، الجزء الثاني منه نسخة قديمة، سقط من آخره تاريخ الكتابة بقرينة المقابلة، ويغلب على الظن أن النسخة من خطوط القرن الخامس تقريباً في خزانة الشيخ ميرزا فضل الله الزنجاني.

قال المحقق: منذ عام ١٩٢٨ ظل هذا الوصف للمخطوط يدور بين المحققين والدارسين، ولم نعرف اطلاع أحدهم عليه إلا الواصف الأول، ثم عبر زمن توفي فيه شيخ الإسلام صاحب الخزانة، فتنفرت كتبه في المكتبات وغاب خبرها بما فيها من نفائس. وحدثنا السيد المحقق أن المخطوطة حطت في مكتبة مجلس الشورى الإيراني وأنه رحل إليها وكاد يخفق في الحصول على مصورة عنها لولا أن هُيئت له مساعدة من الدكتور عبد الله الغنيم، وكان وزيراً للتربية في الكويت آنذاك - وهو عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق - وقد اتفق أنه كان في جولة هناك فتدخل في الأمر وكان خيراً.

لم يكن الكتاب الذي وقع عليه الباحث هو تذكرة أبي عليّ كما تقدّم وصفها، ولكنه كان مختار التذكرة، ولم يكن صانع هذا المختار رجلاً من الألفاف^(٥)، وإنما كان من الرجال الذين عليهم المعولّ في فهم كلام أبي عليّ وسيبويه، إنه فيلسوف اللغة والنحو مؤلف الخصائص وسر الصناعة، وصديق المتنبّي (ت ٣٥٤هـ) وشارح شعره، أبو الفتح عثمان بن جني الذي لازم أبا عليّ أربعين عاماً، فكان من أقدر العلماء على فهم تذكرته ومقاصده ومن ثمّ كان من أقدرهم على تهذيبها وحذف المكرر وتقديم المهمّ منها.

(٥) اللَّفُّ: الصَّنْفُ من الناس (الوسيط). المراد: لم يكن من الناس العاديين.

كتب الأستاذ المحقق صفحات منهجية طويلة مفيدة تتعلق بعنوان المخطوط ونسبته وفيها نُقُولُ كثيرة من كتب ابن جني وخزانة الأدب وشرح أبيات مُغْنِي اللبيب لابن هشام ت ٧٦١هـ وقد قورنت تلك النقول بما ورد في المخطوطة موضوع البحث لإثبات أن تلك المسائل من التذكرة وأن مؤلف هذا المختار أو التهذيب هو ابن جني. ثم حدد المحقق صفة التذكرة ومحتواها، وهي كما كان يتصوره الباحثون مما اطلعوا عليه من نُقُولٍ نقلت عنها، وقد بدأ بوصفه بكلمات ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) في بغية الطلب: ٢٢٦٥.

التذكرة لأبي علي كتاب عزيز كثير الفائدة، تكلم فيه على معاني آيات من القرآن، وأحاديث عن النبي ﷺ ومعاني أبيات من أشعار العرب، ومسائل من النحو والتصريف قال المحقق:

(والكتاب فيما يبدو لي - كان أصله مخزناً يجمع فيه أبو علي ما يعن له من مسائل ومباحث في الموضوعات المذكورة في صورتها الأولى، فالكتاب موضع يذكر أبا علي بالمبحث وما رآه فيه حال نظره الأول فيه أو دراسته الأولى، بل يكاد يكون مسوّدَةً للمسألة في بعض مواطنه، ثم كتب الباحث صفحات اشتملت على أدلة قوية وبراهين ساطعة للدلالة على أن هذا المخطوط الذي كتب عليه أنه تذكرة أبي علي إنما هو مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها، ولا سيما أن جامع العلوم الباقولي (ت ٥٤٣هـ) ذكر في كشف المشكلات ص ٩٩٧ أن ابن جني شرع في التذكرة فزعم أنه يلخصها ونبه على بعض المواضع منها. وأشار إليها القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره (٥: ٣) بقوله: (وفي كتاب التذكرة المهذبة عن الفارسي..).

اشتمل المختار على ثلاثة أبواب هي: باب من اعتلال الفاء، وباب من إعمال الفعلين، وباب النون كيف صارت من مخرجين، أما باقي الكتاب فهو أمشاج من مسائل في العربية، وكلام في آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعار.. كان أبو علي يدير كلامه عليها وقد أحصى المحقق ما في الكتاب فكان ثلاثة أبواب وخمسة وخمسين ومئتي مسألة.

وذكر المحقق أهم سمات أبي علي في هذا الكتاب ويمكن الإشارة إليها بإيجاز: ذكر مسائل لمباحث في علم الكلام كمسألة الإرادة والرؤية والخلود في النار وعلم الله.. إضافة إلى مسائل فقهية.

عناية أبي علي بشعراء محدثين كابن المعتز (ت ٢٦٩هـ) وابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) وأبي العتاهية (ت ٢١١هـ).

في الكتاب بيان لما ورد عنه مبهمًا في كتب أخرى.

ونصّ المحقق على ما وجدته من مصادر أبي علي في هذا الكتاب: فهناك كتاب القوافي للأخفش [ت ٢١٥هـ] وكتاب لأبي عثمان المازني [ت ٢٤٩هـ] لم يذكر اسمه. قال المحقق: وقد انطوى كتابنا على نصوص كثيرة للمازني تجعله من أغنى كتب أبي علي في ذلك، بل إن أبا علي يحكي عنه في الكتاب أقوالاً تعذر عليّ أن أجدها في أيّ مصدرٍ آخر.

ومن مصادره كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) والمقتضب للمبرّد (ت ٢٨٥هـ) وكتاب شرح أشعار الهذليين للسكري (ت ٢٧٥هـ) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت ٣١١هـ) وكتاب الأصول لابن السراج (ت ٣١٦هـ).

كما أن المحقق لخصّ أهم علامات عمل ابن جني في كتاب المختار من التذكرة، فهو قد صنع هذا الكتاب في مرحلة متأخرة من حياته، واختصر نصه في مواضع منه دون مواضع، وتمّ النقص الواقع في بعض كلام أبي علي وأصلحه ونبهه على مواضع منه.

وقد اختلطت كلام ابن جنبي بكلام أبي عليّ في مواضع، وأظهر ابن جنبي في بعض تعليقاته الجانب الشخصي لأبي عليّ، وظهر بعض التكرار في تهذيب ابن جنبي. هذا ومن الجدير بالذكر أن هذا المخطوط النفيس قد وقع فيه حَرَمٌ في موضعين، ذهب الأول بإحدى عشرة ورقة، أما الثاني فقد كان في آخر المخطوط ولا يُدرى مقداره. والناظر في الكتاب لا يخفى عليه الجهد الصادق الذي بذله المحقق في إحالة كل مسألة من المسائل على موضعها في كتب أبي علي الأخرى، لأن أبا علي فرغ المسائل من تذكرته في كتبه المرتبة في المسائل، كما أن المحقق أحال على مواضع هذه المسائل إضافة إلى إحالتها لها على مواضعها من كتب المتقدمين.

وقد ضبط كل ما يحتاج إلى ضبط، ولم يدع موضعاً يحتاج إلى تعليق أو توضيح أو شرح إلا قام به إضافة إلى فهارس إضافية. إنه أعطى الكتاب حقّه، واستعان بنحو خمسمئة مرجع للتوثيق والتعليق والتصحيح، وكان منصفاً متواضعاً فقد ذكر في مقدمته أسماء إخوانه الذين جادوا بفائدة أو حصّ أو مراجعة وخصّ بالذكر منهم كلاً من الأستاذ الدكتور محمد الدالي والأستاذ وائل الرومي والأستاذ يوسف البلام وعبد العزيز بخش، وكذلك شكر الدكتور يوسف العريفي الذي نهض بأمر الكتاب ومراجعته. ولا بدّ من الإشادة بإخراج هذا الكتاب على الوجه الأمثل الذي يليق به كما عهدنا في الكتب التي يصدرها مركز الملك فيصل.

ويمكن الآن أن ننظر في أبواب الكتاب ومسائله ونلمس طبيعة تفكير أبي علي وبراعته وسنقف لدن باب النون كيف صارت من مخرجين.

عندما وازن أبو الفتح بن جنبي بين علل النحاة وعلل المتكلمين وعلل الفقهاء وجد أن علل النحاة أقرب إلى علل المتكلمين، لأن النحاة إنما يحيلون على الحسّ،

ويحتجون بالثقل والخفّة ويرون أن العرب في جمهرة كلامهم إنما يمنحون إلى الخفّة سليقة ونحيزة.

إن هذه الإحالة على الحسّ، والجنوح إلى الخفّة، تبرز في هذا الباب الذي جاء به أبو عليّ في صفحتين (٣٩٧-٣٩٨) ولاشك أن العنوان لافت للنظر فكيف يكون حرف واحد من مخرجين؟

يخبرنا أبو عليّ أن النون في منك وعنك هي نون خفيفة ليس لها مخرج من الفم، وإنما مخرجها من الخياشيم، أما نون (عن) في قولك: عن خالد، فهي غير النون الأولى لأن هذه النون من الفم. ولكن النون الأولى اشتبهت بالثانية مع أن موضعها ليس بواحد. وهنا يوضح لنا أبو عليّ ذلك بهذا المثال الحسيّ بقوله:

كما أنك قد تضربُ بالشيء فيجيء له صوت، ثم تضرب بغيره فيجيء له صوت كصوته، فلا تنكر أن يشبه الصوت من موضعه صوتاً من غير موضعه. لم يجيء في الحروف شيء هكذا غير النون.

وإذا كنّا نعرف أن الإدغام يكون بين الحرفين المتماثلين، فكيف أدغمت النون في بعض حروف الفم وهي خفيفة مخرجها من غير الفم، فالقول إنها صارت كذلك لأن صوتها كصوت التي من الفم.

أما النون التي من الفم فهي واقعة إلى جنب الرء واللام، فلذلك أدغمت النون في اللام والواو والياء وبقيت غنة. ولكن هذه النون المدغمة تحولت إلى غنة وخرجت عن كونها نوناً، والغنة لا تكون إلا في النون.

ثم يقدّم أبو عليّ تعليله النظريّ المعتمد على النّيات.. إن تلك الغنة ليست نوناً وإنما هي همّ منك بالنون.. وكيف ذلك؟ يرى أنك عندما تقول: هذا عامر وتقف على

(عامر) فإن السامع يعرف أنك تريد (عامرٌ) بالرفع لما يرى من تهْيَيْتِكَ لذلك.. ومثل ذلك يصدق على تلك الغنة.

ويضرب مثلاً آخر على ذلك، فإنك إذا أدغمت الطاء والظاء والصاد والضاد في حرف ليس بمطبق، فإن الإطباق يبقى، لذلك هممت بالحرف المطبق ثم لم تجيء به. وتساءل أبو علي: هذه الحروف التي هي من مخرج واحد ما بالها تكون مختلفة؟ فالدال والتاء مثلاً هما من مخرج واحد ولكنهما مختلفان؟

رأى أبو علي أن الذي يخالف بين هذه الحروف وهي من مخرج واحد إنما يعود إلى أسبابه، وهي الإطباق والهمس والجهر والرخاوة والشدة.

ويترك أبو علي النون والغنة ويأخذ بتوضيح هذه الصفات الصوتية (المصطلحات) التي ذكرها. فالرخاوة ما جرى فيها الصوت واسترخت عليك إذا مددتها - أي يجري فيها النفس - كالسين والزاي والفاء والتاء..

أما الشديدة فهي التي لا يجري فيها الصوت أي يتوقف النفس عند الاعتماد عليها - كالدال والتاء والميم والنون.. وهنا يمكن أن يعترض معترض بأنه يمكننا أن نجري نَفْسَنَا بالميم والنون فكيف يكونان شديدين؟

فيُجيب أن الميم والنون حقاً لهما صوت، لكن هذا الصوت لا يخرج من موضع لفظك بهما، فليس الصوت لهما.. لذلك لا تحسب أنهما رخوان وهما شديدان ويقدم لنا معياراً لقياس رخاوة الحرف من شدته:

(فإذا أردت أن تعرف شدة الحرف من رخاوته فضعه موضعه ثم اعتمد عليه، فإن جرى فيه الصوت وخرج الصوت من موضعه فهو حرف رخو، وإن لم يجر له الصوت فليس هو رخوًا، هو شديد).

ثم فسّر المطبقة بقوله: إذا تكلمتَ بها أطبقتَ وسط لسانك إلى ما حاذاه من الحنك، فحصرت الصوت.

ولم يفسّر معنى الهمس، بل انتقل إلى أمر آخر لا علاقة له بهذه المسألة وإن كانت قد ختمت به. والقضية: هل يجوز أن يقال: ها هناك كما قيل هناك وها هنا فقد ورد في شعر الكميت قوله:

وقلناله ها ذاك فاستغنّ بالقري وفي ذي الأداوى عندنا لك مشرب
ورأى أبو علي أن القياس يميز أن يقال (ها هناك) لكن ذلك لم يُسمع، وقد
يجوز في القياس ما لا يجيء في الاستعمال، ألا ترى أنه لم يجيء (وذر) وإن كان قد
جاء (يذر).

فإذا ما نظرنا في أول باب من أبواب الكتاب: (هذا باب من اعتلال الفاء) فإننا نجد أنفسنا أمام باب صر في يناقش أوزان بعض الكلمات المختلف في أوزانها، فيبدأ بكلمة «تولج» وهي «كناس الوحش، أي المكان الذي يستتر فيه وينقل أبو علي عن الخليل وسيبويه (س ٤: ٣٣٣) أن تولج وزنها فوعّل، وجذرها «ولج» وأن أصلها «وولج» وجاءت التاء في أوله بدلاً من الواو فأصبحت «تولج» وهذا النوع من البدل مستفيض في الفاء خاصة، كما أنه مطّرد في باب الافتعال مثل (اتقى = اوتقى) ومُتّسع فيه في غير الافتعال كقولك (ثراث = وراث) و(تُخمة = وُخمة)، ويناقش أبو علي أوزان بعض الكلمات الغريبة والقليلة الاستعمال، بل إنه تطرّق إلى البحث في وزن «تورا» مع أنه لفظ معرّب، فجعل وزنه: فوعلة أي جعل أصله «وورا» وجذره «وررى» وعلل ذلك بقوله: لأن الحكم في التوحيد وعلم الشريعة مخرج منها.. ومن هذه الكلمات كلمة

(تُومِرِيّ) وهي كلمة تستعمل في النفي كما تقول ما في الدار ديّار ولا عريب أي ما بها أحد وتقول أيضًا: ما بها تُومِرِيّ أي ما بها أحد. ورأى أبو علي أنها من (الأمر) أي ما في الدار مَنْ يأمر أمرًا، فيمكن أن يكون من «أمر القوم» إذا كثروا أي ما بالدار من يكثر عددًا.. ويستطرد إلى افتراض أن «تُومِرِيّ» من باب «بُرثن» أي هو رباعي مجرّد، ولا ضرورة لأن يكون الحرف الأول مزيدًا ولكن المشكلة أن مثل هذا المزيد لا يُزاد إلا بثبث، لذلك فإن ما ذكره في معناه يكون ثبثًا في الزيادة، فهو مثله مثل «تُوثور» فهو من الأثر، وإن كان على لفظ عصفور. «والتُوثور»: حديدة يؤثر بها باطن خفّ البعير ليقتص أثره في الأرض، ويمرّ أبو عليّ محللاً بعدة كلمات:

كالتُورور^(٦) واليَنْجَلِب^(٧) والإنقَحَل^(٨) وتترى وتوأم وغير ذلك ويختتم أبو عليّ بذكر خبر على وجه الطرافة دون أن يكون للخبر تعلّق بما كان الحديث بشأنه قال:

أخبرنا الكرخي^(٩) يرفعه^(١٠) قال: جاء رجلٌ برجلٍ إلى عليّ فقال: زعم هذا الرجل أنه يحتلم بأمي. قال: اذهب فأقمه في الشمس فاضرب ظله.

(٦) التُورور: الدفع.

(٧) اليَنْجَلِب: خرزة للرجوع بعد الفرار وللتأخير أي للعطف بعد البغض.

(٨) الإنقَحَل: الشيخ الكبير، والقَحْل من قَحَل الشيخ إذا يبس جلده كبرًا.

(٩) الكرخي: ترجم له المحقق وقال هو عبيد الله بن الحسن بن دهم أبو الحسن الفقيه الكرخي،

(٢٦٠-٣٤٠هـ) شيخ الحنفية ورأس الاعتزال في زمانه. تاريخ بغداد ١٠: ٣٥٣ وسير أعلام

النبلاء ٢٦١٤.

(١٠) جاء الخبر غير مسند في عددٍ من كتب الأدب ذكرها المحقق. على سبيل المثال البصائر

والذخائر ٦: ٦١ «تح د. القاضي».

وعقد أبو عليّ باباً سماه «باب من إعمال الفعلين أو أحدهما» وهو باب جاء فيه ما هو أدخل في مسائل الإلغاز والمعايمة، ومع أن الباب يعالج قضية لا يخلو منها كتابٌ نحويّ، وخلاصته أن الكوفيين يُعملون الفعل الأول، والبصريين - ومنهم أبو عليّ - يُعملون الثاني وأمثلة هذا واضحة في كتب النحو، أقول مع ذلك فإن أبا عليّ افتتح الباب بهذه العبارة:

(أَعْلَمْنَا وَأَعْلَمُونَا إِيَاهُمْ إِيَاهُمْ الزَيْدِينَ الْعَمْرِينَ خَيْرَ النَّاسِ) ثم يأتي بعبارة: اقبل إن قيل لك الحقّ والباطل، الحقّ والباطل...، الحقّ لا الباطل،.. الحقّ لا الباطل،.. الحقّ والباطل، ويحلل كل حالة من الحالات المذكورة فمثلاً يقول:

وتقول: اقبل إن قيل لك الحقّ والباطل، على إضمار فعلٍ، كأنك قلت: واقبل الباطل، مثل: تقلدتُ سيفاً ورمحاً^(١١) [أي وحملت رمحاً]، وهذا أجود لأن الذي أضمرت هو ما أظهرت، ألا ترى أنهم قالوا «مررتُ برجلٍ إن زيدٍ وإن عمروٍ [أي إن يزيدٍ وإن بعمرٍ] فاستجازوا إضمار الجارِّ لما دُكر قبل، فهذا أجدر.

ويستطرد أبو عليّ إلى مسألة العطف كما قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [النساء ٤: ١] ويفسّر الفروق المعنوية في حركات: الحقّ والباطل التي تقدّم ذكرها. ومن هذه العبارات أن تقول: أرني فأريك زيداً، فيكون «زيداً» مفعولاً للثاني ولو أعملت الأول لقلت: أرني فأريكه زيداً أي أرني زيداً فأريكه.

أما قولك: كنتُ وجئتُ مسرعاً، لم يقبل الأخصش هذا وذهب إلى أنه لا يجوز، لأن

(١١) يشير أبو عليّ إلى شاهد نحوي اشتجرت عليه أقلام النحاة، وهو قول عبد الله بن الزبيري: يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً وهو شاهد على حذف العامل الثاني لدلالة الأول. وتقديره: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً.

(كنت) تحتاج إلى خبر، و(جئت) تحتاج إلى حال. فإذا قلت إن (مسرعا) خبر (كنت) بقيت «جئت» بلا حال، وإن جعلت «مسرعا» حالا بقيت «كنت» بلا خبر. فإذا جعلت «مسرعا» خبرا لكنت، وأتيت بجئت مستغنية عن الحال كأنك قلت: كنت مسرعا وجئت، فإنه جائز على هذا التقدير.

وكما ذكرت سابقا فإن السيد المحقق أحال في كل مسألة ولفظة مما ذكر إلى كتب المسائل التي صنّفها أبو علي، مما يدل على أن أبا علي كان يأخذ هذه المسائل من تذكرته ويشيع القول فيها في تلك الكتب.

تلك المباحث الثلاثة هي التي أعطاها أبو علي أو ابن جني عنوان «باب». أما المئتان والخمسون ونيّف من القضايا الأخرى فقد أتت كل واحدة منها على أنها مسألة، وبعض هذه المسائل كما أشرنا جاءت كأنها ألغاز، وخصوصا تلك المسائل التي كان أبو علي استمدّها من المسائل التي عقدها أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) في أول كتابه المقتضب، ثم قام سعيد بن سعيد الفارقي أبو القاسم (ت ٣٩١هـ) بتفسيرها في كتابه (تفسير المسائل المشكّلة في أول المقتضب)^(١٢) وهذه العبارات جاء منها على هذا النحو:

عُلم الرجل المدخله السجنَ زيدٌ أخوه غلامُه الآخذُ. وأيضا على هذا النحو: جُعل الشاربُ الشاربُه ماءكُ لبنكُ شرابكُ، ولم يكن عبثا أن سمّوا كلّ عبارة من هذه العبارات: مِحنة، وهذه المِحن هي مسائل طوال يمتحن بها المتعلمون، وهي تعتمد التقديم والتأخير واللعب بعودة الضمائر والإبدال من المبهمات ومن أل التي بمعنى الذي.. وهذا مما لا يمارسه اليوم أحد ولا أستثني المتخصصين، كما أنها غير مرغوب فيها اليوم في مجال التعليم.

(١٢) نشره معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سنة ١٩٩٣ بتحقيق د. سمير أحمد معلوف.

ومن مسائل الكتاب مسألة تتعلق بما نسميه اليوم بنون الوقاية، وهي التي تقي آخر الفعل من الكسر في الواحد كأن تقول هو يضربُني فنون الوقاية وَقَتْ آخرَ الفعل وهو الباء من الكسر وبقي مرفوعاً على أصله بفضل نون الوقاية ولو لاها لكان الفعل (يضربُني) فتكسر الباء بسبب الياء بعدها. فإذا انتقلنا إلى الثنية فإننا نقول: يضربانني مع أنه يمكن أن نستغني عن نون الوقاية لأنه لا لزوم لها فنقول: يضرباني اكتفاء بنون الرفع في الأفعال الخمسة. جاء في مختار التذكرة:

لما وجبت النون في الواحد [المفرد] نحو: هو يضربني، ثبتت أيضاً في الثنية والجمع، فقالوا: هما يضربانني، ويضربونني، وكذلك لما ثبتت في الغائب المؤنث ثبتت في الحاضر فقالوا: أنتِ تضربينني، وإن لم يكن في الثنية والجمع وخطاب الواحدة ما تضطرّ إلى إثباتها، ألا ترى أنهم لو قالوا: هما يضرباني وهم يضربوني، وأنتِ تضربينني، فلم يأتوا بها، لم ينكسر الفعل، كما كان ينكسر. لو قالوا في الواحد: هو يضربُني، لكنهم حملوا ذلك كله على الواحد.

ولما جاءت أيضاً في الواحد بعد ضمة الإعراب وعلّم الرفع، جاءت في (يضربانني) و(يضربونني) بعد النون التي هي علمُ الرفع، وبمنزلة ضمة الإعراب، وانضاف إلى ذلك شيء آخر، وهو أن هذه النون التي هي علمُ الرفع وإن لم تكن حرف إعراب ولا جزءاً من الفعل، فإنها قد تشبه حرف الإعراب والجزء من الفعل، ألا ترى أنها تثبت في الرفع وتُحذف في الجزم، فأشبهت لذلك واو (يدعو) وياء (يرمي) وألف (تحشى) وكل واحد من هذه يلزمه النون في نحو: هو يخشاني، ويرميني، ويغزوني.

فلما أشبهت هذه الحروف من حيث ذكرنا، وكانت النون الزائدة في هذا الموضع لسلامة الفعل من الكسر قد تُوجد بعد هذه الحروف، وُجدت أيضاً بعد النون التي هي

عَلَّمُ الرفع، وفي هذا أيضًا شاهد لشبه الحرف للحركة، ألا ترى أنها لما ثبتت بعد حركة الإعراب في: هو يضربني، ثبتت أيضًا بعد الحرف القائم مقام الحركة في هما يضرباني، وهم يضربونني.

وبعد أن اطمأن أبو علي إلى قوة تعليله وسطوع دليله، وإضاءة برهانه، أثار تساؤلًا وأجاب عنه حسب الطريقة الجدلية قال: فإن قلت: فقد جاءت في الواحد بعد السكون نحو: لم يضربني، [أي هي لم تق آخر الفعل من الكسر لأنه مجزوم أصلاً] قيل: السكون في هذا الموضع جار مجرى الحركة، ألا ترى أنه في (لم يضربني) إعرابٌ كما أن الضمة إعرابٌ في (تضربني) فهما في هذا متراسلان (أي متقاربان متدانيان). فأما الوقف في نحو: اضربني، فمشبه بالجزم في (لم يضربني) يدل على ذلك أنه شبه به أيضًا في حذف النون في التثنية والجمع وخطاب المؤنث نحو: اضربا، واضربوا، واضربي.

وقد بيني أبو علي مسألة من المسائل انطالقًا من بيت شعري، فيلمح فيه ما يمكن أن يكون نكتة في اللغة أو النحو والصرف، فينشد البيت ويفصل القول في الموضع المختار منه، ففي المسألة التالية انطلق من قول ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) في قول امرئ القيس: [من الرمل]

ديمة هطلاء فيها وطفٌ [طبق الأرض تحرى وتدر]

فقال: دامت السماء تديم ديمًا، إذا دام مطرها.

قال أبو علي: أما (تديم) بالياء كما ترى فلا أشك فيه، بل أشك في (ديمًا) المصدر، إلا أن أكبر ظني وأغلبه أنه يُقال: ديمًا كما ترى، فهذا يقوي قول الآخر [جهم بن سبل] مما أنشده أبو زيد [٢١٥ هـ]: [من الرجز]

إِنْ دَيْمُوا جَادًا وَإِنْ جَادُوا وَبَلَّ (١٣)

أنه (فعلوا) وليس بـ (فيعلوا)، وكأنه إنما صُرِّفَ الفعل على هذا بالياء، لاستمرار (ديمة) و(ديم) فصار كأنه من ذوات الياء، كما قال ابن مقبل: [من البسيط].

يا ليت لي سلوةٌ يُشفى الفؤاد بها من بعض ما يعترني قلبي من الدُّكْرِ
لما اطَّرد الاستعمال في (ادكر) و(ادكار) و(مدكر) بالبدال أنس بها فقال: الدُّكْر،
بالبدال أيضًا.

يؤكد عندك كون الواو أصلًا في هذا [في ديمة] قولهم كلهم: الدوام، ولم يسمع من
أحدٍ: الدَّيَام بالياء.

وكان أبا عليّ يومئذٍ ها هنا إلى أصل في بناء اللغة على التوهّم، أي إنهم لما كثر في
استعمالهم: ديمة وديم، توهّموا أصالة الياء فقالوا: دَيْيًّا، وقد آنسهم بهذا قول ابن مقبل
«دَيْمُوا» وقد قاس أبو عليّ قولهم هذا على «ادكر» التي أصلها: «اذتكر» لكن
الاستعمال جرى بادكر، حتى إن القرآن الكريم ورد فيه ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر ٥٤]:
١٥، ١٧] فلا عجب أن يقول الشاعر: «الدُّكْر» بدلًا من «الذُّكْر» لتوهّم أصالة الدال
في هذا الموضع.

(١٣) قال المحقق: وَبَلَّ: أمطرَ مطرًا شديدًا. وفي المقصود بالبيت والذي قبله: (أنا الجواد بن
الجواد بن سبَل) خلاف، فبعضهم يذهب إلى أن المقصود فرس من نسل سبل، في حين يرى
بعضهم أن الشاعر يفخر بأبائه، والشاهد هنا على أن الياء بمنزلة الأصل لكثرة استعمال
الفعل بالياء، ممّا جَوّز تضعيفها، وقد نقل ابن الأنباري عن أبي زيد أن العنبريّ رواه: دوّموا،
وكذا جاء في إعراب القرآن، وعليها لا شاهد فيه.

هذا وكان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد ذكر مثل هذا في أحد قراراته اللغوية^(١٤). وقد تقصر بعض المسائل فلا تتجاوز الكليّات، وتقتصر على شرح مفردة أو تفسير بناء. فقد أنشد أبو علي قول النابغة الذبياني: [من البسيط]

[إِنِّي كَأَنِّي لَدَى النِّعْمَانِ خَبْرَهُ] بَعْضُ الْأَوْدِّ حَدِيثًا غَيْرَ مَكْذُوبِ

اقتصر أبو علي على قوله: أي: الأشدّ ودًّا، ويريد: الأودين، جماعة.

وقد اتّجهت بعض المسائل إلى تفسير آية من القرآن الكريم وتوضيح ما قصد بها بعد تقدير المحذوف. فمن ذلك أنه أورد قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم ١٩: ٩] فسّر قوله: «لم تك شيئاً» أي شيئاً معتدّاً به، فحذف الصفة (معتدّاً) وإن كانت لما يأتي للإيضاح، لأنه لا يريد النفي البتة، وإنما أراد نفي الاعتداد به، ألا تراك تقول لما لا ترتضي: ليس هذا بشيء، وقد قال سيبويه [الكتاب ٢: ٣٠٣]: إنك ولا شيئاً سواً. ولا يجوز أن يريد به نفي المعدوم، لأنّه قد سوّى بينه وبين المخاطب الموجود وإنما استويا في ترك الاعتداد بهما، وكذلك (ما أنت بشيء إلا شيء لا يُعْبَأُ به) الموجود وإنما استويا في ترك الاعتداد بهما، وكذلك (ما أنت بشيء إلا شيء لا يُعْبَأُ به)

(١٤) جاء في كتاب «في أصول اللغة» ج ١: ٢٢٨ بعنوان: استعمال «التقييم» بمعنى بيان القيمة: الياء في كلمة «قيمة» أصلها واو ساكنة مكسور ما قبلها، وكذلك كلمة «ديمة» من الدوام، وعيد من العود. والأصل في الاشتقاق من أمثال هذه الألفاظ أن ينظر إلى أصل الحرف كما قال العرب في بعض الاستعمال: دوّمت السماء. إلا أن العرب ربّما قطعوا النظر عن أصل حروف العلة، ونظروا إلى حالته الراهنة، كما قالوا: ديّمت السماء في بعض الاستعمالات، وكما قالوا: عيّد الناس، إذا شهدوا العيد، ولم يقولوا في هذه الكلمة: عوّد الناس، تحاشياً عن توهم أنها من العادة. وعلى ذلك يجوز أن يقال: قيّم الشيء تقييماً بمعنى حدّد قيمته للتفرقة بينه وبين قوم الشيء بمعنى عدله، وقد جاءت المعاقبة بين الواو والياء المشدّتين للتخفيف في أمثلة من كلام العرب يستأنس بها في قبول ذلك.

[الكتاب ٢: ٣١٦] ففي هذا المثال لا يُراد نفي الشيئية عن (أنت) وإنما أريد عدم الاعتماد به.

ومن المسائل ما يكثر فيه الاستطراد والانتقال من النحو إلى اللغة إلى الصرف كهذه المسألة التي بدأها بالقول إن الواو في (أخوك) لا تكون إعراباً لئلا يبقى الاسم على حرفين أحدهما حرف لين أو على حرف واحد نحو: ذو مال، وفوزيد.

فافترض أبو عليّ أنّ قائلاً قال إن «أخوك» مضاف وقد أُمن فيه - بسبب الإضافة - الإجحاف به. قال أبو عليّ: قيل إنه يجب أن يكون في الإضافة على حال الإفراد.

وبعد ذلك انتقل إلى أن «ذو» لا يضاف إلا إلى المُظهر كأن تقول: ذو العقل وذو المال قال: وهذا يدعو إلى فصله لانقطاع النفس وغيره من الفصل بينهما، كالظرف والحال ونحو ذلك، فيفرد على حرف، ومن ثمّ جاز عطف الظاهر المجرور على الظاهر المجرور، ولم يجز عطف الظاهر على المضمّر المجرور [وهذا مما منعه البصريون وأجازه

الكوفيون وعده أبو عليّ قبيحاً في البصريّات ٨٧٤ والحجة ٣: ١٢١. عن المحقق]

فإذا كان كذلك فالواو وهي اللام - أي إن (أخو) هي فَعْلٌ - وإذا لم يُوال في كلامهم بين إعلالين فالأُوالى فيه بين حذفين أجدر. ولو كانت الواو في (فوك) إعراباً لكنت قد حذفت العين واللام.

فإن احتج أحد وقال إنه سُمع (م الله) على أنه (ايمنُ الله) فحذف حرفان، فالجواب: إنه قد حذف الفاء واللام وهما غير متواليين.

وانتقل في المسألة نفسها إلى قول ابن مقبل: [من الطويل]

وإني لأستحيي وفي الحقّ مستحيٌّ [إذا جاء باغي العرف أن أتعدراً]

والشاهد ها هنا قوله «مستحي» الذي يجب أن يكون «مُستحيي»^(١٥) فإن ذلك الحذف شاذ في القياس، ولا يبعد أن يكون شاذاً عن الاستعمال ففي القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة ٢: ٢٦] على أن مُسْتَحٍ ليس يتوالى فيه حذفان، لأن ما حذف لالتقاء الساكنين في حكم الثبات، كما أن ما يحذف للجزم كذلك، وأيضاً فإن حركة العين ملقاة على الفاء فكأنها موجودة، ألا ترى أنه قد جاز «منبٌ لك» [أي: مَنْ أَبٌ لَكَ] لما كانت الحركة باقية.

ثم انتقل إلى رجزٍ للعجاج مشهور متداول:

خالط من سلمى خياشيم وفا

وهو يصف خمراً خالط ريق سلمى ونفسها فطابا، والشاهد فيه قوله: وفا، والأصل: وفاها.

قال أبو علي: إنه مردود وقيل إنه لحنٌ، فالألف عين الكلمة، ولامها حذفت والأصل: فوه، ووزنها: فَعْلٌ، فالألف أصلها واو.

قال: ووجه الشبهة أنه فصله على حدٍ إضافته لما كان المضاف إلى المظهر في تقدير الانفصال، فصله على ذلك للضرورة، ولم يلتفت إلى بقاء الاسم على حرف واحد إن كان لغته: رأيت رجلاً، أي يثبت ألفاً في النصب، ثم أورد قول الأعشى: [من المتقارب]

[إلى المرء قيسٍ أطيل السرى] وأخذ من كل حيٍّ عَصْمٌ

(١٥) واعلم أن في استحي لغتين: لغة أهل الحجاز: استحيا يستحيي - بياءين - مُستحيي مستحيًا منه على وزن استرعى يسترعى سواء، ولغة بني تميم: استحي يستحي بتحريك الحاء وحذف إحدى الياءين. وانظر تمة الكلام في شرح شافية ابن الحاجب ٣: ١١٩.

والشاهد فيه قوله «عُصْمٌ» على أن ترك إبدال الألف من التنوين لغة عن العرب حكاها الأخفش وغيره، ووصفها أبو علي في الحجة بعدم الاتّساع لأن سيبويه لم يحكها، وظاهر عبارته في العضديات أنها في البيت ضرورة «عن المحقق».

قال أبو عليّ: فإنه بقى الاسم على حرفين أحدهما حرف لين، وليس هذا في كلامهم.

في المسألة نفسها علّق أبو علي على قول الشاعر: [من الوافر]

وأفْلَتْنَا هَجِينَ بَنِي سُلَيْمٍ يُفَدِّي الْمَهْرَ مِنْ حُبِّ الْإِيَابِ
فَلَوْلَا اللَّهُ وَالْمَهْرُ الْمَفْدَى لِأَبْتِ وَأَنْتَ غِرْبَالُ الْإِهَابِ

ونقل المحقق عن العلامة المرحوم محمود محمد شاكر أن هجين بني سليم هو عمير بن الحُباب، وعن العيني أن الشاعر شكر المهر الذي يقال له في جريه وسبقه: جُعِلت فداك. وقد جعله غربالاً لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن.

قال أبو علي: يقول على هذا: مررتُ برجلٍ غربالٍ الإهاب، كما تقول: مررتُ برجلٍ حسنٍ الوجه، وهذا كما حكاه سيبويه [الكتاب ٢: ٢٣، ٢٤] من قولهم: (مررتُ بقاعٍ عرفجٍ كلُّه) ومررتُ برجلٍ خزٍ صُفَّتُهُ، وقد أجاز أبو عثمان [المازني] فيما حكى عنه غير أبي العباس: [مررتُ برجلٍ حَجَرَ الرَّأْسِ] والشاهد في الشعر وهذه الأمثلة معه هو الوصف بالجامد بدلاً من المشتق قال أبو علي: ولا يجوز مع هذا تأنيث هذه الأشياء، فلا تقول: (غربالُ الإهاب) حملاً على (حسنه الوجه) لأنها ليست صفات على الحقيقة، وإنما هي موضوعة موضع غيرها، يدل على ذلك ما أنشده أبو عثمان [المازني] [من الرجز]:

مَثْبَرَةُ العُرْقُوبِ إِشْفَى المَرْفِقِ^(١٦)

قال أبو علي: فلم يؤثت «إشفى» ويؤكد عندك أن هذه الأشياء - أي الأسماء الجامدة التي يوصف بها - لم تتمكن في الوصف أن (إشفى): إِفْعَل، وقد قال سيويوه: **إِنَّ «إِفْعَل» لا يَأْتِي فِي الصِّفَةِ [الكتاب ٤: ٣٤٥]**

وينتقل أبو علي في المسألة نفسها إلى بيت أنشده ابن مقسم محمد بن الحسن العطار المقرئ (ت ٣٥٤هـ) في كتاب له . [من البسيط]

اسمِعْ حَدِيثًا كَمَا يَوْمًا تَحَدَّثُهُ عَنْ ظَهْرٍ غَيْبٍ إِذَا مَا سَأَلَ سَأَلًا
والبيت لعدي بن زيد، والشاهد فيه قوله «يومًا» برواية النصب وقال السيرافي: **أَجْمَعَ الرِّوَاةَ عَلَى رَفْعِهِ إِلَّا الْمَفْضُلَ.**

قال أبو علي: زعم أصحابنا أن (كما) تنصب، فإذا حيل بينها [وبين الفعل] رفعت. وقال: (كما) تكون تشبيهاً، وتكون جزاءً. فالجزاء كما قمت قمت. والتشبيه: قمت كما

قمت، وتكون بمعنى (كيا) و(كيلا) وأنشد لأوس بن حجر: [من الطويل]

يَقْلَبُ عَيْنِيهِ كَمَا لَا أَحَافَهُ تَشَاوَسَ قَلِيلًا إِنَّهُ مَنْ تَأَمَّلْ

قال الفارسي: ينبغي أن تكون (لا) زائدة.

قال ابن جني: الرواية في هذا: كما لأخافه، فتنصبه بـ (أن) مضمرة.

قال المحقق: رواية الديوان والأساس:

رَأَيْتُ بُرَيْدًا يَزْدَرِينِي بَعِينِهِ تَأَمَّلْ رَوِيدًا إِنِّي مَنْ تَأَمَّلْ

ولا شاهد في هذه الرواية، ورواية أبي علي محرفة عمّا في المجالس [مجالس ثعلب]

(١٦) الإشفى: المثقب. والمثبر: المحش الذي تلقح به النخلة يريد أن عرقوها ومرفقها كهذين في الحدة.

والسيرافي والإنصاف، وتعليقه يمنع كونها تحريف ناسخ، وروايتهم رواية ابن جني المذكورة آنفاً، وحكى عنهم السيرافي أنّ اللام توكيد لـ (كما) ورآه تكلفاً شديداً. والتشاوس أن ينظر المرء بمؤخر عينه ويميل وجهه في العين التي ينظر بها. وفي المسألة نفسها انتقل أبو علي إلى قوله تعالى:

﴿فُرَادَى﴾ [الأنعام ٦: ٩٤] قال: واحده: فِرْدٌ وفريد وفرد وفردان وفُرَادَى، وفُرَادٌ

لا يُجْرَى، وأنشد عن الفراء لابن مقبل [من الطويل]

تري النُّعْرَاتِ الزُّرُقَ تحت لَبَانِهِ فُرَادَ وَمُنَى أَصْعَقَتَهَا صَوَاهِلُهُ^(١٧)

ثم انتقل الفارسي في المسألة نفسها إلى ذكر خبر لا علاقة له بكل ما سبق قال:

قال أبو العباس وقال إسحاق الموصليّ: دخلتُ على الأصمعيّ أعوده، وإذا

قِمَطْرٌ^(١٨)، فقلتُ: هذا علمك كله؟

فقال: إنّ هذا من حقّ لكثير. وانتهت المسألة بقوله: (أنت أخانا أول ضارب) قال:

يأباه الفراء ويحيزه الكسائي. وما أشبهه يُحيزه الكسائي.

والشاهد في هذه العبارة تقديم معمول اسم الفاعل، إذ التقدير: أنت أول ضارب

أخانا، وتقديم معمول اسم الفاعل لا يحيزه البصريون، لأن اسم الفاعل فرع على الفعل

في العمل، والفرع أدنى رتبةً من الأصل، لذلك لم يجز له أن يتقدّم معموله.

هذا نموذج من المسائل التي شرّق أبو علي فيها وغرّب، ولم يلتزم معالجة أمر واحد

ومناطقة قضية واحدة.

(١٧) النُّعْرَاتِ: ضرب من الذباب يدخل أنف الدابة. واللَّبَانُ: الصدر. وَأَصْعَقَتَهَا: قتلتها.

وصواهله: صهيله.

(١٨) القِمَطْرُ: سَفَطٌ يُصَانُ فِيهَا الْكُتُبُ.

ومن المسائل التي انطلق فيها من آية كريمة المسألة التي بدأها بقوله تعالى ﴿ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(١٩) [ص ٣٨: ٣] وولاتَ أختُ ليس في العمل، لكن يحذف اسمها، قال أبو علي: حُذِفَ المرفوع، وإن كان ارتفاعه ارتفاع الفاعل، والفاعل لا يحذف، ولم يضمم في (لات) لأنها حرف، وليست كـ (ليس) وذلك أن أصل هذا إنما هو الابتداء والخبر، ولا يشبه هذا ما يرتفع بـ «كان» لأنها فعل متصرف، فبقي على الحال معنى الابتداء، لما لم يُزَلْ معنى الابتداء.

قال: فإن قلت: فالنفي قد غيّر المعنى.

قيل: النفي لا مُعْتَبَرُ به في هذا الباب، وإنما يتغيّر المعنى بأن يدخل معنى فعل، والنفي لا يحدث معه هذا، ألا ترى أنه لا يُتَنَصَّبُ عنه، وهذا شاذٌّ نادرٌ لا نعلم له نظيراً. ومن المعروف في مسائل الخلاف خلاف النحاة في صيغتي التعجب ما أفعله وأفعل به، وذهب البصريون إلى فعلية هذه الصيغة وعقد لها الأنباري (ت ٥٧٧هـ) مسألة خاصة في كتابه الإنصاف، ولما كان أبو علي متقدماً على ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) وعلى صاحب الإنصاف (ت ٥٧٧هـ) وعلى العكبري (ت ٦١٦هـ) فإن حججه انتقلت إليهم.

رأى أبو علي أن (أفعل) في التعجب ليس باسم، ودليل ذلك بناؤه على الفتح، ولو أنه كان اسماً لم يُفْتَحَ، لأنه ليس فيه ما يوجب بناءه.

كما أنه يتعدى إلى المتكلم باتّصال النون به نحو: ما أحسنني.

(١٩) وولات حِينَ مَنَاصٍ أي ليس الحين حين فرار، أي لا مهرب ولا منجى و(حِينَ) خبر لات، واسمها محذوف لأنها عملت عمل ليس، أي ليس الحين حين هرب، ولا يُقال هو مضمّر لأن الحروف لا يُضَمَّرُ فيها.

كما يدل على فعليته انتصاب المعرفة بعده كقولك: ما أحسن زيداً، ولو كان اسماً لم ينتصب هذا الضرب من الأسماء عنه، ألا ترى أن (أفعل) الاسم إنما ينتصب بعده النكرات نحو: هو أحسن وجهاً ونحوه، وهذا ليس من الصفات المشبهة باسم الفاعل فهو مختلف عن قولك: مررتُ برجلٍ حسن الوجه، وأصله: حسنٌ وجهه.. وليس كذلك (أفعل) في التعجب. وجرت بقية الكلام على أمرٍ آخر.

وقد يتوالى في مسألة واحدة النحو واللغة والقراءة والرواية: بدأ المسألة بقوله: قال أبو عمر: الحال والنكرة، وأتى بعد ذلك ببعض الآيات الكريمة ﴿وهذا كتابٌ مصدقٌ لساناً عربياً﴾ [الأحقاف ٤٦: ١٢] وقوله ﴿فيها يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الدخان ٤٤: ٤، ٥] وحكى عنه أبو العباس كذلك في قوله ﴿إِنَّهُ لِحَقِّ مِثْلِ مَا أَتَّكُم تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات ٥١: ٢٣] ولم يقل أبو علي ولا ابن جنّي شيئاً، لكنّ تعليقات المحقق تفيد أن القول في هذه الآيات ورد في كتب المسائل وفي كتاب الحجّة، مما يدلّ على أن أبا عليّ كان يدوّن رؤوس الموضوعات في مواضع من التذكرة ليعود إلى تفصيلها في مواضعها من كتب المسائل. ففي آية الذاريات أحال المحقق على المسائل المثورة والمسائل الشيرازيات والحجة للقراء السبعة وقال أبو علي في مثل (أخطب ما يكون الأمير قائماً) [وهي من عبارات الكتاب ١: ٤٠٢] و(أرخص ما يكون البُرّ قفيزين) [من عبارات الكتاب ١: ٤٠١] وعلّق على هذه العبارات التي ورد فيها الحال ساداً مسدّ الخبر بقوله: ما كان من ذلك اسماً جاز فيه الرفع والنصب، وما كان من ذلك صفةً لم يجر فيه إلا النصب.

ثم أورد قولهم: (ادخلوا الأول فالأول) قال: وهو حالٌ، وهو أجدرٌ، لدخول الألف واللام فيه، وأجاز الرفع على البدل على المعنى، كما يُجيزه عيسى. وقد بيّن السيد المحقق أن أبا

عليّ نقل هذه المسألة إلى كتابه «المسائل المشورة» وحكى أن أبا عمر أجاز فيه البدل ولم يجز سيويه إلا النصب، وحكى في كتابه عن عيسى بن عمر الرفع على معنى: ليدخل، فحمل أمر المخاطب على الغيبة (الكتاب ١: ٣٩٨ والشيرازيات ٢٧٨).

قال أبو علي: الكميت: [من الطويل]

بني هاشمٍ رهطِ النبيِّ فإنني بهم ولهم أرضى مرارًا وأغضب

قال إن (بهم) متعلقٌ بمحذوف، أي أنجو وأسلم بهم، أي بحبهم واتباعهم.

أما قوله (ولهم أرضى) أي من أجلهم كقوله تعالى ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف ٧:

١٥٤]. أي من أجله، ولم يجز أبو علي أن تكون (لهم) متعلقة بأرضى لأن المعنى ليس على

ذلك، لأن المعنى: لهم أرضى، أي من أجلهم أرضى ومن أجلهم أغضب، فحذف (لهم)

الثانية لدلالة الأولى عليها، أما على التقدير الأول فيكون: أرضاهم وأغضب، وعلى هذا لا

يستقيم أن يريد: أغضب لهم، ثم يحذف كما حذف على التقدير الصحيح، لأنك إن جعلتها

متصلة بالمفعول لم يدل على التبيين [أي تعليق الجار والمجرور والظرف بمقدرٍ دل عليه

المتأخر، وامتنع تعليق الجار بالمتأخر لأمر مختلفة مذكورة، وهو مصطلح يكثر عند أبي علي

وذكره المبرد. عن المحقق]. (تبأله وويحًا) فلا ترفع (ويحًا) ويضم له الخبر مستغنى عن

إظهارها، لأن الأولى ليست خبرًا.

بعد ذلك أتى بيت لقيس بن زهير: [من الوافر]

ولا يُعييك عرقوبٌ للاءٍ إذا لم يُعطك النصفَ الخصيمِ

ولم يعلق بشيء، وذكر الأستاذ المحقق أن كلمة «للاء» محرفة وصوابها: «للأبي،

ومعناه لالتواء خصم عليك.. والمعنى أنه لا تُعجزك الحيلة لتتصيف من خصمك إذا

ظلمك. والعرقوب: الحيلة.

ثم قال: أنشد أبو بكر وذكر بيت الفرزدق: [من الطويل]

ووفراء لم تُخَرِّزْ بسيرٍ وكيعَةٍ غدوتُ بها طيًّا يدي برشائها^(٢٠)
قال أبو علي (طيًّا) مصدر أي ذات طيٍّ.
غيره: (طيًّا) فعلى، مؤنث (طيّان)^(٢١).

آخر: (طيًّا يدي برشائها) [طيًّا: منى طيًّا] قال: جعله تثنية (طيٍّ) وحمله على التّقدمة والتأخير، أي: طيًّا رشائها بيدي.

وواضح هنا أنه قدّم ثلاث قراءات لكلمة «طيا» ومن ثمّ أشار إلى ثلاثة توجيهات لإعرابها ثم انتقل إلى ذكر خبر لا علاقة له بالمباحث المذكورة قال:

قال الحارث بن زهير في قتله حذيفة بن بدر: أظنّ هذا مما كتبتُ عن أبي بكر [ابن دريد ٣٢١هـ] من كتب أبي عبيدة [ت ٢٠٩هـ] التي ذكر أنّه سمعها من ثعلب [ت ٢٩١هـ] عن الأثرم [ت ٢٣٢هـ] عن أبي عبيدة: [من الوافر]

تركتُ على الهبّاءِ غيرَ فخرٍ حذيفةَ حولَهُ قصْدُ العوالي
ولولا ظلُّمُهُ حَنَشَ بنَ عمروٍ إذن لا قاهمٌ وابنابلالٍ
ويُخبرهم مكانَ النونِ منّي وما أعطيتُهُ عرقَ الخلالِ
قال: (العرق): المودّة والمكافأة. و(الخالل): الخلّة. يقول: لم يعطوني السيفَ - الذي هو ذو النون - عن مودّة، ولكن قتلتُ وأخذتُ. و(حنش بن عمرو) نداءً. وقوله: (ويخبرهم) - جملة في موضع نصب - المقتول المأخوذ منه السيفُ الذي كان معه.

(٢٠) أراد بوفراء: فرسًا، ويقال ذلك للفرس الملامى. والوكيعة الصلبة الإهاب، تخرز: تخاط. والرشاء: اللجام.

(٢١) طيّان: جائع لم يأكل، وفسره ابن قتيبة ب: ضامر.

وانتقل بعد ذلك إلى بيت لابنة مالك بن بدر ترثي أباها: [من الطويل]
 إِذَا سَجَعْتُ بِالرَّقْمَتَيْنِ حَامِئَةً أَوِ الرَّسِّ تَبْكِي فَارِسَ الْكَتِفَانِ
 قال ابن حبيب: فرسه، وكان يُسمَّى الكتِفَانِ.

قال النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ يقال: (لا يُدْرِكُ هذا بِاشْرَبِ اسْعَه) أي: لا يُدْرِكُ بعجلة،
 وهو من الشَّرْبِ والسَّعْيِ. ولعلَّ مَسْوَعٌ مجيء هذا هو غرابة هذه العبارة التي قال فيها
 الأستاذ المحقق: لم أجده في كتب الأمثال ولا غيرها.

ثم قال: وسمعتُ أبا الدَّقِيشِ يقول [من الرجز]

لَيْلَةٌ لَا رِيحٌ وَلَا تُرَابٌ

إِلَّا غُرَابًا فِي اسْتِهِ تَوْرَابٌ

يريد: التراب. ثم قال: أنشدنا أبو الخطَّاب [من المتقارب]

وَمَا أَيُّ بَيْتٍ عَلَى هَيْكَلٍ بِنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا^(٢٢)

قال: ففتح الباء من (أَيْلِي) و(صار) من الصورة.

وقال: قال الخليل: (الْحَرَصُ) و(الْحَصْرُ) سواءً بمنزلة (جذب) و(جبد) وقال

النَّضْرُ: (الْحَرَصُ) يَكُونُ فِي لَثَقِ^(٢٣)

وَأُنشَدَ: [من الطويل]

حِجَازِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا طَعْمُ فُرْفُرٍ وَلَمْ تَأْتِ يَوْمًا أَهْلَهَا بِتُبَشِّرِ

(٢٢) الأييلي: الراهب. والهيكَل هو المكان في الكنيسة حيث يقف الراهب. وصلَّب: اتَّخَذَ صَليبيًا.
 وصار: لغة في صَوَّرَ.

(٢٣) الحَرَصُ: الذي به جوع وبرد، والحَصْرُ: البرد الذي يجده في أطرافه. قال المحقق: ولم أجد
 مَنْ حمله على القلب. واللَّثَقُ: النَّدى.

(الرُّفْرُ) عصفور، و(التُّبُّر) صَعُوة: [أي عصفور صغير]
 وقال: قال ابنُ الزُّبير: (لو سألوني ثلثاً ما أعطيتهم) يعني: آجراً.
 وأنشدنا: [من الوافر]

علم صمصامة ام سيف امسلام

وهذا عجز بيت لعمر وبن معد يكرب. يريد: على الصمصامة السيف السلام،
 فجعل (ام) مكان الألف واللام. والصمصامة اسم سيفه وهكذا جاء البيت بتمامه:
 صديقي لم أخنه ولم يخني علمصمصامة ام سيف امسلام
 وأنشد: [من الرجز]

تلقم في الفاثور بالظّهائر

لقمًا يقيم غصن الخناجر

قال: الفاثور: المعروف الخوان، وأراد به ها هنا القصعة.

وقال: أنشدنا القاسم بن معن^(٢٤): [من الطويل]

عليهنّ فتيان رُموا بفتية

وقال: يقال: (افتأت عليها) أي افترى عليها

قال: وسمعت القاسم بن معن يقول: [من الوافر]

على الأرحام يمددن الشدينا

قال: وسمعت يقول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(٢٥) [الفاتحة ١: ٢]

(٢٤) القاسم بن معن، من علماء الكوفة ت ١٧٥ هـ وأبو علي ولد سنة ٢٨٨ هـ فواضح هنا أن أبا

علي ينقل عن أنشده القاسم وعمّن سمع من القاسم وكذلك يقال فيما سيأتي.

(٢٥) يشير أبو علي إلى قراءة: الحمد... ربّ بال نصب. قال المحقق: وقرأ ب نصب الدال وكسر اللام

وتمضي هذه المسألة - وهي ليست مسألة - على هذه الوتيرة في عدة صفحات، وكل ما فيها أن أبا علي يسوق عبارات مسموعة ويشرح بعض مفردات منها، أو يكتفي بإيرادها دون أن يعلّق عليها، فمن العبارات التي اكتفى بإيرادها: سمعت أعرابياً يذكر جلال الله سبحانه فقال: (علا ففات الأبصار، ودنا فشهد الأسرار).

سمعت أبا الخطاب يقول: يقال: (إذا مرض الشيخ يوماً لا يرجع شهراً). وقال الخليل: سمعت هذلياً يقول: (صَلَّوْتُ) يريدون: صَلَّيْتُ. وقال: سمعت أعرابياً يقول: (جعلكم الله في رفاقة محمد). ويقال: (لفلانٍ شَرُّها ويَرُّها)، (يُرُّها): إِتباع، ويقال: هو في اليارِّ والحرَّ إِتباع أيضاً.

ويقال: (قتيلٌ رَمِيًّا ورَمِيَّةٌ) إذا أتته رَمِيَّةٌ ولا يُدْرى مَنْ رماه. ويُقال: (إِنَّ فلاناً لِلْيُنِّ الحاشية لأهله) أي: لِيَنَّ الجانِب لهم. وقال آخر: (اشتريتُ مُلاءةً طُولِيَّةً) أي: طويلة. وقال: (قد أزرَ فلاناً بنوه، وأوزروه) أي: شبّوا فشدّوا ظهره. ويقال: (ليس هذا من صَرَبِ فلانٍ ولا أرضه) أي: ليس مثله. ويقال: (عنده أترِثُهُ) جماعة تراث.

هارون العتكيّ وسفيان بن عيينة والحسن وغيرهم، ولم يذكر القاسم فيهم. وجعل سيبويه نصب الدال لعامة بني تميم وكثير من العرب. وذكر الطوسي أنها لغة في قريش وغيرهم، ويوجهون النصب بتقدير فعل (أحمدُ) وقرأ (ربّ) بالنصب زيد بن علي وأبو زيد والكسائي وغيرهم. [عن معجم الخطيب ١: ٥-٧].

وقال بعض العرب (أتيت رجلاً من قومي فلم يرجع سفري، ولم يزور رحلتي، ولم يصلّ رحمي). (لم يرجع سفري): لم يعطني قدراً ما أنفقت في سفري، و(لم يزور رحلتي): لم يُكرم زيارتي. وأنشدنا الفرزدق: [من الطويل]

إذا قيل أيّ الناس شرُّ قبيلةً أشرت كليباً بالأكفّ الأصابع

يريد: أشارت إليها بأنها شرُّ الناس، يقال: (لا تُشرّ فلاناً ولا تشنعه) لا تُشره: لا تُشر إليه بشرّ، وتشنعه: شنعته: ذكرته بالأمر القبيح.

وقال: (لبنّي فلان لغةً علينا) أي لهم لغة سوى لغتنا.

ومن الأمثال: (كان حماراً ذكراً فاستأتن) ومنها: [من الرجز]

عَنْزَنْزَتْ فِي حَبَلِ فَاَسْتَيْسَتْ

وأنشد: [من الرجز]

والدهر لا يبقى على ألوانه شخوصه بالمرء واطمئنانه

وقال [أعرابي]: أظنهم هم الذين كان هجا محمداً، يعني: الذين كانوا.

وختم ما سمي بمسألة بقوله:

وقال بعضهم: (لو غزوت العام بكراً كنت عاماً قابلاً أجود غزاةً

منك العام) (٢٦).

وقال مؤرّج (٢٧): (الغزاة) (٢٨): القهر والإجبار، وأنشد: [من الطويل]

(٢٦) الغزاة: مصدر للفعل (غزا) وهي على وزن الشفاوة.

(٢٧) مؤرّج السدوسي البصري النحوي، كان من أعيان أصحاب الخليل، ذكر الزركلي أن وفاته

كانت سنة ١٩٥ هـ.

(٢٨) قال الأستاذ المحقق: لا يبعد أن تكون (الغزاة) بالحاء المهلمة من (حزا) أي ساق، وذكره

وما نسأل الإصلاح إلا خزاوةً أعادينا بالسّمهريّ المَقومِ
وإنّا لنُعطي النّصفَ مَنْ لو نُصِيْمُهُ أقرّ ونأبى نخوة المتظلمِ

وبهذا الإنشاد تنتهي هذه المسألة التي تضمنت إشارات إلى عدد من المسائل.
والمسألة التي بعدها كانت أنه أنشد أشطراً متفرقة، ولم يعلّق عليها، كأنه
ادّخرها لمسألة.

ولا يعدم المراجع للتذكرة أو لنقل لمختار التذكرة أن يقع على رأي نقدي ذي
أساس لغوي، فقد أنشد قول أبي الشّيص: [من الكامل]

عَوَّضْتُ مَنْ بُرِدَ الشَّبَابُ مُلَاءَةً خَلَقًا وَبِئْسَ مَعْوِضَةٌ الْمُعْتَاضِ
قال: لو قال مكان (عَوَّضْتُ): (رُدِّيتُ) لكان أحسنَ وأصنعَ من وجهين، أما
أحدهما: فليقلّ تردّد (عَوَّضْتُ) و(معووضة) و(معتاض) فإثنان منه كافيان، لأنّ هذا
التجنيس - وإن كان يُستحب - فإلى غاية، وليس يحسنُ أن يكثر جدًّا.

وأما الآخر وهو الأصنعُ: فإنه يكون معناه: رُدِّيتُ عَوَّضًا أو بدلًا من بُرْدِ الشَّبَابِ
مُلَاءَةً خَلَقًا، ولا تكون (مِنْ) هنا مثلها في قولك أعطيت من الدراهم كذا وكذا، ومن
الدنانير عشرين أو ثلاثين، لو كان كذا لكان خطأ، لأنّ (بُرْدِ الشَّبَابِ) جديدٌ لا خَلَقُ،
ولكن يكون (مِنْ) فيه مثلها في قول الله سبحانه ﴿لجعلنا منكم ملائكةً في الأرض
يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف ٤٣: ٦٠] أي: مكانكم وبدلاً منكم، كقوله أيضاً ﴿قُلْ مَنْ
يَكَلِّمُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء ٢١: ٤٢] أي مكانه وبدلاً منه.

واسترسل أبو عليّ في الكلام على معنى (من)، فقد كانت في مثل: من الدراهم، ومن الدنانير للتبيين، لكنها في الشواهد الأخرى جاءت بمعنى (بدلاً من) وضرب لذلك أمثلة من القرآن الكريم كما مرّ ومن الشعر. قال: وكقول الآخر: [من الطويل]

فليت لنا من ماءٍ زمزمٍ شربةً مبرّدةً باتت على طهيان^(٢٩)
أي: فليت لنا بدلاً من ماء زمزم، أو مكان ماء زمزم شربة مبرّدة وكقول الآخر:
[من الوافر]

كسوناها من الرّيظ اليماني بنائق في مغانيها فضول^(٣٠)
أي: مكان الرّيظ اليماني، وليس معناه: كسوناها منها على قولك: كسوتُ زيداً من الخزّجة، ومن القصب حلّة.

فكذلك كان يكون معناه: رُدّيتُ مكان بُردِ الشباب أو بدّله ملاءة خلقاً. وهذا واضح في معناه.

وقد يتدخل ابن جني في بعض المسائل، وينطق بلسان أبي عليّ كأن يقول:
ولأبي عليّ أن يفصل ويقول، وكأن يقول: وكنت سألت أبا عليّ.
والشواهد في (مختار التذكرة) غزيرة جداً لأن الكتاب بُني عليها، فهناك الشواهد القرآنية والحديثية وأمثال العرب وأقوالهم وشعر الشعراء، ولم يقتصر أبو عليّ على

(٢٩) البيت ليعلى الأحول الأزدي، وهو من أشعار اللصوص ١: ٢٠. وطهيان: جبل باليمن.
(٣٠) البيت للمخبّل. قال المحقق: وروايته فيها كلها [مراجع ذكرها]: مسوحاً في بنائهما فضول. والمعنى عليه، ولا معنى هنا لمغانيها. والرّيظ مفردة: ربطة وهي الملاءة. والبنائق جمع بنيقة وهي كلّ رقعة ترفع في القميص. وأراد بالمسوح عرقها، شبهه لسواده بالمسوح وهي جمع مسح، وهو الكساء من الشعر. عن المحقق.

الشعر القديم، بل أورد أشعاراً لأبي العتاهية ولابن المعتز وللمتنبّي ولأبي الشّيص..
ولكنّ ذلك قليل إذا ما قيس بما ورد من أشعار القدماء.
إن كتاب التذكرة كتاب غنيّ بالمسائل والقضايا النحوية والصرفية واللغوية
وكيف لا؟ وهو خزّان فكر أبي عليّ ومسائله، فإذا كان مختار التذكرة الذي قدّمنا
لمحة^(٣١) إليه بهذا الغنى فما بالنّا بما اشتمل عليه الأصل.



(٣١) اللّحة: النظرة العجلى.

قراءة في تحقيق: «البديع في وصف الربيع» لأبي الوليد الحميري الأندلسي

محمد رضوان الداية(*)

(١)

- في التراث الأندلسي رسالة أدبية شعرية، وهي كتاب صغير في عدد صفحاته، ذو أهمية في تصوير جانب مؤثر في الحياة الأدبية في الأندلس عامة، وفي إشبيلية في القرن الخامس خاصة. والكتاب يلفت النظر من وجوه:
- فهو كتاب وصل إلينا تاماً، في نسختين اثنتين كافيتين لتقدمه مطبوعاً إلى القارئ على وجه حسن جداً.
 - وهو كتاب يصور جانباً طريفاً من حياة الأدب في الأندلس في القرن الخامس.
 - وهو في فنّ واحد: وصف الطبيعة، وما يتعلّق به في مدينة إشبيلية. ومعلوم اهتمام الأندلسيين بالزراعة وأصنافها من الفاكهة ونباتات الزينة والنباتات الطبيعية ومن ألوان الزهر والورد والزنبق المزدرع وسائر ما تخرجه الأرض هبةً.
 - وهو يُظهر ألق اللغة العربية في القرن الخامس الهجري في مجتمع إشبيلية، وسائر الأندلس، وشيوع نظم الشعر، والإبداع فيه هناك، وتبادل نظم القطع الشعرية

(*) باحث في الأدب والتراث من سورية.

على البديهة أحياناً. والناظمون المسجّلون في هذا الكتاب من الشعراء المشهورين وغير المشهورين، ومن الوزراء والكتاب والقضاة وقادة الشرطة وغيرهم من أركان المجتمع. - وهو كتاب يصوّر جانباً من الذوق الأندلسي الراقي، ومن أسلوب الحياة عامة، والتأثّق في المسكن والملبس، وفي تنسيق الحدائق في الدور، وفي البساتين داخل المدينة، وفي ظاهرها وأرباضها. وكان الأندلسيون قد طوّروا الزراعة استفادة من الخبرات المتوارثة، ونقلًا عن بلاد الشام العريقة التي نقل منها عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) إلى دياره الجديدة^(١). وأخذاً عن بعض المترجمات التي استوردها الحكم بن عبد الرحمن الناصر في الزراعة والبستنة وتنسيق الحدائق.

- وهذا الكتاب يقدم نصوصاً شعريّة - وأخرى نثرية - أندلسية من نتاج عصر المؤلف: أبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري الإشبيلي الأندلسي (المتوفى في إشبيلية سنة ٤٤٠ هـ تقريباً)^(٢).

وهي نصوص مهمّة، ينفرد هذا الكتاب بنشر كثير منها، يحتاج إليها دارس الأدب الأندلسي عامة، ودارس حركة الشعر في الأندلس، في القرن الخامس خاصة، والمهتم بشعر وصف الطبيعة في الأدب العربي.

اسم الكتاب الذي نتحدّث عنه: «البديع في وصف الربيع» كما ثبت على نسخة الإسكوريال منه، وله عنوان آخر ثبت على النسخة التونسية منه: «البديع في فصل الربيع» وقد نُشر عن المخطوطة الأولى مرّتين: نشره أول مرة المستشرق: هنري بيريس

(١) هناك تفصيل في: التقاليد الشامية في الديار الأندلسية - محمدرضوان الداية - ط دار الفكر - دمشق.

(٢) له ترجمة في جذوة المقتبس: ١٦٢ وبغية الملتبس ٢١٣ والذخيرة ١/٢: ١٢٤ ومعجم الأدباء

٧: ٤٣ والمطرب ١٢٦ والتكملة ١: ٤٧٤ والمغرب ١: ٢٤٥.

(كان مدرّساً في جامعة الجزائر) سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م وطبعه في الرباط. ونشره ثانية عن النسخة الإسكورية د. عبد الله عبد الرحيم العسيان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٣م أصدره المحقق نفسه وطبعه في مصر. ونشره ثالثة د. علي الكردي عن نسخة في المكتبة الأحمدية في تونس، وقابل على المطبوعتين (الأولى والثانية) - دون عودة إلى مخطوطة الإسكورية - وقال في مقدمته القصيرة (الصفحة أ - ب) وهو يذكر نسخة تونس: «ورأيت أنه يمكن أن يعين على تصحيح كثير من التصحيف والتحريف الواقعين في طبعتي الكتاب وأن يملأ البياض الموجود في نسخة الإسكورية، فعقدت العزم على تحقيق الكتاب....» وهكذا ذهب كثير من حواشي الكتاب إلى ذكر الفروق بين المخطوطة التونسية، والمطبوعتين.

والمؤلف كان من شباب إشبيلية، ألف كتابه على الصغر، وقد ترجم له ابن الأبار وقال فيه^(٣) «كان آيةً في الذكاء والفهم والبلاغة وتجويد الشعر على حداثة سنّه، وله في فصل الربيع تأليف ترجمه بالبديع، وهو أخو أبي زيد بن محمد بن عامر شيخ أبي بكر بن العربي، توفيّ معتباً (مات شاباً سليماً لم تُصبه علّة) وهو ابن اثنتين وعشرين سنة».

وقد اهتم الأندلسيون قديماً بكتاب «البديع» واهتم به المعاصرون في دراستهم الأدب العربي في الأندلس ومتابعتهم حركة النقد الأدبي أيضاً.. وتبقى له أهميته الأدبية والنقدية والتاريخية، ويبقى أثراً أندلسياً دالاً على جانب من تلك المرحلة من تاريخ الحضارة الأندلسية^(٤).

(٣) التكملة لكتاب الصلة - ط الجزائر ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م - ص: ٢١٩.

(٤) ينظر مثلاً: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - محمد رضوان الداية - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة. وتاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة (العصر - الأموي) د. إحسان عباس - دار

(٢)

وأبدأ بذكر بعض ما في النشرة الثالثة من أخطاء في تسمية البحور من جهة، وأخطاء الوزن الناتجة عن خلل في الكلمات (قراءة) وفي الحركات (ضبط الكلمات والحروف وشكلها) وهذا النوع الثاني كثير جداً في الكتاب.

أ- في تسمية الأوزان:

- في الصفحة ٣٧ قطعة أولها

وغضيضٍ من جنا الور .. دحكى الصُّبح انفجارا

قال المحقق إنها من مجزوء الكامل والصواب أنها من مجزوء الرَّمَل .

- في الصفحة ٧٢ قطعة أولها:

أشهد الأفحوان أن شذاه كافرٌ بالذي سواه جنّاه

وقال إنها من المنسرح، والصواب أنها من بحر الخفيف.

- في الصفحة ٧٢ قطعة أولها:

أصفرُ الخيريِّ يشهد أن عقدَ الوردِ قد رُدّ

وقال إنها من الرَّمَل والصواب أنها من مجزوء الرَّمَل (وقد فرق المحقق في هذا

الكتاب أحياناً بين البحر ومجزوءه).

- في الصفحة ٩٧ قطعة أولها:

وذكى العرف لاقا .. ناعلى كرسىِّ ملكه

وقال إنها من بحر الرمل والصواب أنها من مجزوء الرَّمَل.

- في الصفحة ١٢٨ قطعة أولها:

خجلت إذ تأملتها العيونُ خجلاً في احمرارها يستبينُ
وقال إنها من المنسرح والصواب أنها من بحر الخفيف.

- في الصفحة ١٥٩ قطعة أولها:

سَبَّجٌ في كأسِ دُرٍّ أو كسوفٍ وسَطٌ بَدْرُ
وقال إنها من الرمل، والصواب: مجزوء الرمل

ب- في الصفحة ٥٣ قطعة من بحر المجتث؛ فيها:

أبلغ شقيقَي عَنِّي مقالمةً لِتَحَضُّرِهِ
بأن وصفت الأقاحي [الذي وصفته لم أرْضَهُ
هلاً ووصفت الأقاحي] بأكؤسٍ من فضة

والبيت الثاني مضطرب جداً، وهو على حاله هذه ليس من الشعر!

- في الصفحة ٩٤ قطعة من بحر السريع فيها:

دقيقة اللّمات في رؤوسها كأنه أسود جعدٌ قَطَطُ

والشطر الأول على هذه القراءة من بحر آخر هو الرجز، والصواب:

دقيقة اللّمات في رؤوسها كأنه أسود... إلخ..

بتحقيق همزة رؤوس أو تسهيلها: روس. ولا يجوز الجمع بين الرجز والسريع في

قصيدة واحدة، ولا في بيت واحد.

- في الصفحة ١٤٩ قطعة من المتقارب، فيها:

إذا النورُ حُصَّ بمدحٍ فما لنيلوفر الروض لا يُعبد؟

والشطر الثاني مضطرب، مكسور الوزن، ويستقيم - مثلاً - إذا قيل «لنيلوفر ذا
الروض لا يُعبد». والمحقق يجاري في هذه القراءة ما سبق في التحقيين السابقين عليه.

- في الصفحة ١٤٩ قطعة من المنسرح، فيها:

هَامَ بِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ مَعًا فَصَدَّ عَنْ ذَا وَخَصَّ ذَا مَقَّهْ

والشطر الثاني مضطرب مكسور، ويصح لو كان: «وخصَّ ذَا مَقَّهْ»

- في الصفحة ١٤٨ قطعة من البسيط، فيها

كَأَنَّهَا زَهْرَةُ النَّيْلُوفَرِ اخْتَلَسَتْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ قَدْ حَفَّ الصَّبَاحُ بِهِ

وضبط المحقق الطاء من قطعاً بالفتح، وهذا يكسر الوزن ويجعل التفعيلة: متفاعلن،
وهذا ممتنع في بحر البسيط. والصواب قطعاً بسكون الطاء.

- وشيء آخر: القطع من الليل الطائفة منه. وفي التنزيل العزيز ﴿فَأَسْرِبَ أَهْلِكَ

يَقِطُّعُ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [الحجر - الآية ٦٥]

- في الصفحة ٤٥، قطعة في وصف الخيري والورد، فيها:

يَتَطَّلَعْنَ أَنْجُمًا بَعِيُونٍ كَالخَوَاتِمِ زَانِهَاتِ التَّفْصِيصِ

وصواب القراءة كالخواتيم. والشعر من بحر الخفيف، وقوله كالخواتم يجعل
التفعيلة: كالخوات: فاعلات، وفيها ما يعرف في العروض بالكف وهو حذف السابع
الساكن من التفعيلة (نون فاعلاتن) وهذا قبيح. وفي صحة القراءة اعتدال الوزن.
والخواتيم جمع الخاتام وهو بمعنى الخاتم.

- في الصفحة ٥٧

وَمِنْ نَرَجِسٍ نَضْرٍ يَرُوقُكَ دُرُّهُ وَيَاقُوتُهُ السَّامِيُّ بِهِ وَرَبَّرَ جَدُّهُ

كذا فيه بكسر الضاد، والصواب نَضْرٍ. فالبحر هو الطويل. ولو تحرك حرف الضاد

لانقلبت (مفاعيلن) إلى: (مفاعلتن) وهذه ليست من تفعيلات الطويل.

- فی الصفحة ٥٥ قصيدة أولها:

أسئلةً من عامرٍ سلني عن الـ... ..
.. أنوار تحصلُ عندك الأنوارُ
كذا فيه، وصوابه: تحصلُ، بجزم الفعل، فهو جواب الطلب.

(٣)

أ- في صححة قراءة النصّ

- في الصفحة ١٢ قطعة فيها:

وكأن الروض من خط أبي بكر العارض وشي ودبج
وهي قراءة مغلوبة: والصواب: وشي ودبج. فالشاعر يمدح، ويشي على هذا الكاتب
بحسن الكتابة شكلاً ومضموناً. ولم ترد (دبج) لا مفردة ولا جمعاً. وقوله: وشي من الوشي
ودبج من الدبج وهو النقش والتزيين. وسكن الشاعر ياء «وشي» لضرورة الشعر.

- وفي الصفحة ١٣ قطعة فيها:

بكت السماء على الرياض فحسنت منها غروساً من دموع ثكول
وصواب القراءة: غروساً. وفي الكلام مطابقة، مبنية على مفارقة.

- في الصفحة ١٣ قطعة منها:

فنزلت في فرش الرياض ولم يكن ليحورهما مثلي بغير نزول
وصواب القراءة: ليحورهما، وهو أسلوب عربي عالٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء - الآية ١٦٨] وفي
قراءة المحقق خطأ مزدوج.

- في الصفحة ٢١ قطعة منها:

أضحى صغيراً وهو في قدره نَيْلاً كبير الشان عُلويُّ
وصواب القراءة نُبلاً، وعليها مجرى الكلام. والمدوح شاب ابن رجل ذي مكانة.
ولو كانت الكلمة نيلاً لجاءت مرفوعة خبراً ل(هو).

- في الصفحة ٢١ قطعة منها:

جمال يُجَيِّر لبَّ الفتى ويكسبه من شرور دَهَشْ
وصواب القراءة: من سرور. (بالسّين المهملة)؛ وأين الشرور من السّرور؟

- في الصفحة ٤٣ قطعة منها:

ورد كمثل دم الوريد وسوسنْ غَضٌ بَسُوسِيّ الغلائل مُكْتَسِي
كذا ضبطها. وقال في الحاشية: «بسوسي من الانبساس بمعنى الانسياب»!!....
وهذا من غرائب الشرح والتحقيق. قلت: وردت الكلمة في الكتاب مرتين، هذه
واحدة والأخرى في الصفحة ١٤٤.

شَخْتُ المآزر لاذي الظهائر قد أتاك يَرْفُلُ في ثوب له سُوسي
ووجهُ الكلام أن الباء في «بسوسي» حرف جرّ و: (سوس) مدينة في بلاد
المغرب^(٥) «أقصى- بلاد المغرب يُصنع بها من الحَزَّ العتيق (النفيس) كلّ جليل.
وتُعمل بالسّوس الأكسية الرقاق، ومن الثياب ما لا يقدر أحد على مثله...» وانظر
ياقوت أيضاً^(٦).

(٥) الروض المعطار في خبر الأقطار: ٣٠٩.

(٦) معجم البلدان (دار صادر) ٣: ٢٨٢.

- في الصفحة ١٢٢ قطعة في صفة النرجس، قال الشاعر في آخرها:
كعادة ثوبها من سندسٍ طلعتُ للشرب في كفها كأسٌ من الذهب
فكيف يَعْقِلُ خط النفس من طربٍ من كان يلحظُ هذا الحسن من كَثِبِ؟
وقراءة «يَعْقِلُ» خطأ، والصواب «يُعْفِلُ» والمعنى ظاهر.
- في الصفحة ١٤٨ قطعة في وصف النيلوفر، فيها:
فالنور منقطع عن جِزْمٍ عنصره والليل ممتنع من حكم غيَّبه
كذا فيه والصواب عن جِزْمٍ. والجِزْمُ: الجَسَدُ. ولا معنى للجِزْمِ ولا وجه له.
- في الصفحة ١٣٥ من قطعة في وصف السوسن:
صافي الأديم إذا تَخَلَّقَ صدره بخَلْقِ أروُسها الزكيِّ المائعِ
كذا فيه: المائع، وهو خطأ صوابه: المائع (بالتاء المثناة الفوقية) يقال في الشيء:
مَتَعَ مُتَوَعًا: بلغ في الجودة الغاية في بابه فهو مَاتِعٌ.
- في الصفحة ١٤١ قطعة في وصف مدقة زهرة السوسن منها:
وقد غَلَّتْ عَمَّا مَتَّهَ بورسٍ فقام بلا خطابٍ كالخطيبِ
وصواب العِمامة بكسر العين حصراً. وَغَلَّتْ بالعين المعجمة. يقال: غَلَّه بالغالية
(نوع من العطر) لطحه، وطيبه بها.
- في الصفحة ٧٨ في قصيدة تُفاضل بين النرجس والورد:
كُسِفَتْ حدود النرجس المصفرٍ من حسدٍ وقد يَذْوِي العدو الحاسدُ
وصواب القراءة: كَسَفَتْ، يقال: كَسَفَ الخدُّ: أَصْفَرَ وتَغَيَّرَ، وقال: يَذْوِي (بالذال
المعجمة) والصواب يَذْوِي (مثل يَرْضَى) يقال دَوِيَ صدره: ضَغِنَ وحقد.

- في الصفحة ٨٢:

طلع النرجس في أكفانه قائلًا للورد قد بُرِّحَتْ بي !!
 كذا فيه. وفي هذه القراءة خطأ في المعنى، وكسر للوزن الشعري. والصواب قد
 بُرِّحَتْ بي. يقال: برَّح به الأمر: جهده، عذبه عذاباً شديداً مبرحاً...

- في الصفحة ٩٤ قطعة منها:

يامن حبوت بوده حوباء وهي الفداء له من الأسواء
 وصواب القراءة التي يصح بها المعنى: «يا من حبوت بوده حوبائي. والشاعر
 يخاطب صديقاً له جرت بينهما مراسلة شعرية ومهاداة (نوع من الطيب). والشاعر هنا
 هو المؤلف نفسه.

- في الصفحة ١٥١ قطعة في وصف نور شجر اللوز:

وأبيض اللون دَفْلِيّ غلائله عليه من نسج كانونين أبراد
 وصواب الكلمة دِفْلِيّ نسبة إلى شجيرة الدفلى (من شجر الزينة). ونور الدفلى
 مُشْرَبٌ، ومنه نوع أبيض اللون.

ب- في قراءة النص وفهم المعنى وشرح المعنى

- في الصفحة ٤٠:

كأن عيون النرجس الغص بالندی عيون تداري الدمع خيفة أن يُدرى
 كذا فيه: يُدرى (بالدال المهملة) والصواب: يُدرى.

- يقول الشاعر إن النرجس وقد اجتمع في زهراته الندى يشبه العيون الدامعة
 التي يداري صاحبها دمعها حتى لا يذرى. وفي اللغة أذرت العين الدمع صبته. وفي
 الكلام تشبيه تمثيلي رائع الإتقان.

- في الصفحة ٤١ قطعة لابن شهيد أولها :

وَأَتَاكَ بِالنِّيرِوزِ شَوْقٌ حَافِزٌ وَتَطَّلَعُ لِلزَّوْرِ غِبٌّ تَطَّلَعِ
وَفَاكٌ فِي زَمَنِ عَجِيبٍ مَوْزِقٍ وَأَتَاكَ فِي زَهْرِ كَرِيمٍ مَمْتَعِ
كَذَا فِيهِ : أَتَاكَ ، وَفَاكَ . قَلت :

(١) الصَّوَابُ : وَأَتَاكَ أَي طَاوَعَكَ ، فَالْوَاوُ فِي الْكَلِمَةِ أَصْلِيَّةٌ وَليست أداة .

(٢) وَالصَّوَابُ : وَأَفَاكَ ، مِنْ وَافَى الْقَوْمَ أَتَاهُمْ ، وَوَافَى فَلَانًا : فَجَأَهُ .

لم يقرأ المحقق الفاضل قراءة صحيحة ولم يشرح الكلام المستغلق (بحسب قراءته)

- وفي الصفحة ٩١ خاطب الخيريُّ الأصفر الخيريُّ التَّمَامَ ، على لسان الشاعر أبي بكر بن القوطية :

وإن لونك من لون النحاس ولو .. ني في ملاحظته ضربٌ من السَّامِي

كذا فيه . ولم يشرح . والصَّوَابُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّامِ . السَّامُ جَمْعُ السَّامَةِ وَهِيَ

السبيكة من الذهب والفضة .

ومثل هذا من التصحيف والتحريف وعدم قراءة النص على وجهه كثير .

(٤)

وأختم الملاحظات المختارة بالوقوف عند صفحتين متقابلتين اكتفاءً بهما فإن

المساحة المتاحة للبحث لا تكفي للاستيفاء:

- في الصفحة ٩٨ قصيدة فيها:

وَشَرِبْ أَدَجُوا لِلأَنْسِ لَمَّا أَصْبَغَ عَلَى يَدِ الشَّجَرِ

سرت بهمٌ إلى ثغر التصابي الدِّمَارُ رِكَابٌ لَا يُخَافُ لَهَا عِثَارُ

فَحَلُّوا آمَنِينَ عَلَى الْأَمَانِي فَكَانَ لَهُمْ مِنَ الشَّجَرِ انْتِصَارُ
فَوْجِهِ نَهَارَهُمْ بِالظَّلِّ لَيْلٍ وَلِيْلَهُمْ بِأَنْجَمِهِ نَهَارُ
فَإِنْ أَوْحِشْتَ مِنْ شَمْسٍ تَبَدَّتْ عَلَيْكَ بِشَمْسٍ كَفَّرَهَا الْعُقَارُ
أَقُول:

١- أُصِيعَ خَطَأً، وَلَا مَعْنَى لَهَا وَالصَّوَابُ أُضِيعَ.

٢- الشَّجَرُ هُنَا، وَفِي الْبَيْتِ الْآتِي خَطَأً. وَالصَّوَابُ الشَّجْوُ. فَهُنَاكَ مَقَابَلَةٌ (تَضَادٌّ) بَيْنَ الْأَنْسِ وَالشَّجْوِ (كَالشَّجْوِ).

٣- قَوْلُهُ «أَوْحِشْتَ خَطَأً، الصَّوَابُ أَوْحِشْتَ. يُقَالُ أَوْحِشَ الْمَكَانَ: وَجَدَهُ خَالِيًا فَهُوَ مَوْحِشٌ، وَأَوْحِشَ الْمَكَانَ مِنْ أَهْلِهِ: خَلَا.

٤- قَوْلُهُ: الْعُقَارُ، خَطَأً، صَوَابُهُ: الْعُقَارُ (عَلَى وَزْنِ الْغُرَابِ)، مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرَةِ.

٥- وَأَقْرَأَ الْبَيْتَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ:

فَإِنْ أَوْحِشْتَ مِنْ شَمْسٍ تَبَدَّتْ عَلَيْكَ بِشَمْسٍ كَفَّرَهَا الْعُقَارُ
- الْكَفْرُ: ظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَاسْوَدَادُهُ.

- وَعَلَى مَنْهَجِ أَبِي نُوَاسٍ يَزْعُمُ الشَّاعِرُ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا خَلَا الْأَفْقَ مِنَ الشَّمْسِ، وَجَدَ عَوْضًا مِنْ ذَلِكَ التَّمَاعَةَ الْخَمْرَةَ، وَإِشْرَاقَتَهَا الَّتِي تَنْوِبُ - زَعْمًا - عَنِ الشَّمْسِ.

- وَلَأَبِي نُوَاسٍ فِي صِفَةِ الْخَمْرَةِ^(٧):

نَمَّتْ عَلَى نَدْمَائِهَا بِنَسِيمِهَا وَضِيَائِهَا فِي اللَّيْلِ الظُّلْمَاءِ
- وَلَهُ أَيْضًا^(٨):

لَهَا ذِيوُلٌ مِنَ الْعَقِيَانِ تَتَّبِعُهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فِي نُورٍ وَظُلْمَاءِ

(٧) ديوان أبي نواس ٢: ٧.

(٨) المصدر السابق ٣٤.

- وفي قطعة أخرى من كتاب البديع في وصف الربيع، في صفة الياسمين (ص ٩٩)
وأبيض ناصع صافي الأديم تطلّع فوق مخضّر بهيم...
فلست تراه إلا عند ملكٍ وإلا عند خاصيِّ كريم
شأى النّوّار فارتفع اعتراشاً عليه كهية المَلِك العظيم
كأن ثماره المجنيّ منها سماءٌ قد تحلّت بالنجوم
أقول:

(١) لم يعلق المحقق الفاضل على خاصيِّ، ولم يشرح. أصل الكلمة خاصيِّ بتشديد الصاد. (سهلها الشاعر ضرورة) وهي من خاصّ، وخاصة. فالياسمين يكون عند الملوك، وعند الخاصة.

(٢) النّوّار: معناه المرأة النّفور من الريبة. وهذا المعنى غير مقصود. الصواب: النّوّار (بضم النون المشددة والواو المشددة) وهو الزهر واحده نوّارة والجمع: نواوير.

(٣) قول المحقق: كهية الملك خطأ. والصواب كهية الفلك والمعنى ظاهر.

(٤) قول المحقق: «ثماره المجنيّ منها» لا معنى له. وفي التركيب لكنة وعجمة.

ووجه القراءة:

كأن سَماوة المَحْنِيّ منها سماءٌ قد تحلّت بالنجوم

والسماوة من البيت وغيره: سقفه. فهذا العريش في هيئته ونواوير الياسمين التي تتدلّى من أغصانه وتظلّل المكان يشبه السماء وانحناء الفلك، وقد ازدانت بالنجوم. وغير بعيد عن الأندلسيين - في قرطبة خاصة والأندلس عامة - إبداعات عباس بن فرناس، ومنها الهيئة التي صنعها كهية الفلك وقرب فيها للناس ما يراه الرائي في السماء من النجوم والكواكب والشموس والأقمار والشهب. وكان ابن فرناس قد دعا الناس

من أهل عصره لمشاهدة صنعته. (وهناك تفصيل لهذا في فقرة «القبة السماوية» من كتاب: عباس بن فرناس حكيم الأندلس: ص ٥٧ وما وراءها. صدر عن وزارة الثقافة بدمشق ٢٠١١).

ثم أقول:

حقق هنري بيريس كتاب البديع في وصف الربيع بمقدار ما أذاه إليه اجتهاده، فقدم النص للقارئ وأحيا ثرائاً أندلسياً. وضبط النص بحسب قراءته، وفهرسه. وجاءت طبعة د. عسيلان عن أصل المخطوط نفسه وقدم له بدراسة واسعة وفهرسه أيضاً. وكان من أوليات التحقيق العلمي أن يرجع د. علي الكردي في نشرته إلى مخطوطة الإسكوريال ويخدم النص اعتماداً على الأصلين: الإسكوريالي والتونسي. وأن يُحكم التحقيق وأن يستوفي النظر في أعلام النص الأندلسيين، وأن يضع في الحواشي - بإيجاز - ما يفيد القارئ من الكلام على الأنوار والأزهار والزنايق والشجيرات بالقدر الذي يلزم لإيضاح ما ورد في الأشعار والرسائل إلماحاً وإشارة وذكراراً عارضاً أو كافياً. وخلت هذه الطبعة أو النشرة الثالثة من مقدمة مفيدة في المؤلف، والكتاب، وموضوعاته. وضاع على القارئ - لنقص عمل النشرة الثالثة - فوائد كثيرة وإفادات مناسبة تضع القارئ في جوّ العصر، وتفسر عنوان الكتاب وموضوعاته، ومشاركات رجال العصر من الشعراء وغير الشعراء الذين أسهموا في مواد الكتاب. وهذا الذي نشير إليه يتطلبه هذا الكتاب؛ وهو ينفع القارئ «العام» والمتابع المتخصص أيضاً. لقد اجتمعت في هذه النشرة الثالثة أخطاء كثيرة في ضبط النص وقراءته قراءة صحيحة، وفي تعيين بحوره، وفي ضبط أوزانه، وفي شرح بعض مفرداته، إلى غير ذلك مما بيّنته الملاحظات السابقة على اختصارها.

ولقد وضع د. علي الكردي شروحا لبعض المفردات: انتقاء بلا منهج معين. وكان ما تركه من المفردات التي تستحق الشرح أكثر بكثير مما وضع له شرحاً. أمّا إيضاح المعاني التي تحتاج إلى إيضاح فلم يكن في حُطّة عمل المحقق الفاضل. إن تكرار نشر الكتاب المحقق مرّة بعد أخرى قضية تستحقّ المعالجة في بحث موسّع: يدرس الظاهرة، ويفسّر ويعلل ويوضّح، ويضرب الأمثلة، ويصل إلى اقتراحات مناسبة؛ وهي قضية من قضايا تحقيق النصوص استفحلت، وتعدّدت جوانبها، وتركت أثاراً في صنعة تحقيق التراث العربيّ بين سلبية وإيجابية.

المصباح الأروى والبراهمة

- (١) الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت.
- (٢) البديع في فصل الربيع - حققه وقدم له د. علي الكردي - دار سعد الدين ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٣) البديع في وصف الربيع: اعتنى بنشره وتصحيحه عن النسخة الواحدة الموجودة بمكتبة الإسكوريال الأستاذ هنري بيريس المدرّس بجامعة الجزائر - ١٩٤٠ م ١٣٥٩ هـ - المطبعة الاقتصادية بالرباط - من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية.
- (٤) البديع في وصف الربيع - حققه وكتب الدراسة وعلّق عليه د. عبد الله عبد الرحيم عسيان - ط ١٤٠٧ هـ ١٩٨٤ م - مطبعة المدني بالقاهرة - بلا ناشر.
- (٥) بغية الملتمس للضبي - عناية كوديرا - مجريط ١٨٨٤ م (مصورة).
- (٦) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة (وهو يؤرخ للعصر الأموي) - دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م.

- (٧) تاريخ الأدب العربي د. عمر قرّوخ - دار العلم للملايين بيروت - ١٩٧٤ - (ج ٤).
- (٨) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - محمد رضوان الداية ط ٢ - مؤسسة الرسالة - دمشق - بيروت ١٩٧٦ م.
- (٩) التقاليد الشامية في الديار الأندلسية - محمد رضوان الداية - دار الفكر - دمشق ٢٠١٠ م.
- (١٠) التكملة لكتاب الصلّة - ابن الأبار - تحقيق ألفريد بل وابن أبي شنب - الجزائر - ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م.
- (١١) جذوة المقتبس - الحميدي - تحقيق محمد بن تاويت الطنجي - نشر دار الثقافة الإسلامية القاهرة ١٩٥٢ م.
- (١٢) ديوان أبي نواس - تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي - طبعة مصورة في دار الكتاب العربي - بيروت - لا تاريخ.
- (١٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - ابن بسّام - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت ١٣٩٨ - ١٩٧٩ م.
- (١٤) الروض المعطار في خبر الأقطار - الحميري - تحقيق د. إحسان عباس - مؤسسة ناصر للثقافة - القاهرة ١٩٨٠ م.
- (١٥) عباس بن فرناس - محمد رضوان الداية - وزارة الثقافة - دمشق - ٢٠١١ م.
- (١٦) المطرب من أشعار أهل المغرب - ابن دحية - تحقيق إبراهيم الإبياري ورفيقه - المطبعة الأميرية - القاهرة - ١٩٥٤ م.
- (١٧) معجم الأدباء - ياقوت الحموي - دار المأمون (أحمد فريد الرفاعي) - القاهرة - ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.
- (١٨) معجم البلدان - ياقوت - دار صادر - بيروت ١٩٩٣ م.
- (١٩) المغرب في حلى المغرب - ابن سعيد - دار المعارف بالقاهرة - ١٩٥٦ م.

غير المطرد

في القراءات القرآنية

«قراءة في العلاقة بين القاعدة والنص»^(١)، تعريف ونقد

د. أيمن الشوا^(٢)

الحديث عن القراءات القرآنية والاحتجاج بها في اللغة والنحو والصرف من الموضوعات المهمة التي انتدب لها علماء العربية، وصارت ركنًا أساسيًا في توجيهات المفسرين، وأمدت الدارسين بذلك الفيض الزاخر من التوجيهات اللغوية والصرفية والنحوية، كما أفادت في توثيق القول، وتحرير الروايات.

وقلما تخلو دراسة نحوية عن علم من أعلام النحو العربي من الحديث عن الاحتجاج بالقراءات القرآنية، مع غيرها من أصول النحو العربي؛ كالحديث عن السماع، والقياس، وشواهد الاحتجاج.

ويأتي هذا الكتاب لإضاءة جانب مهم هو بيان غير المطرد في القراءات القرآنية، وقراءة في العلاقة بين القاعدة والنص، للدكتور محمد عبدو فلفل.

(١) الكتاب من تأليف الدكتور محمد عبدو فلفل، صدر عن دار العصماء بدمشق، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٢) مدرّس علم النحو والصرف في جامعة دمشق.

وراء هذا الكتاب جَهْدٌ واضح، وجمعٌ واسع، واستقراءً دقيقاً لآراء أبرز النُّحاة، وسَبْرٌ أغوارٍ استشهداهم بالقراءات القرآنية؛ غير المطرّد منها، وتتبعٌ علميٌّ، ذاكراً لمقولاتهم، ومحرّراً لها، ومناقشاً، يَهْدِيهِ فِي ذَلِكَ خِبْرَةٌ أفادها من كُتُبِهِ السَّابِقَةِ؛ كـ (الشَّاذُّ عِنْدَ أَعْلَامِ النُّحَاةِ)، و (اللُّغَةُ الشَّعْرِيَّةُ عِنْدَ النُّحَاةِ)، ومدارٌ اهتمامه: (ما لم يَطْرُدْ فِي قَوَاعِدِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ عِنْدَ أَعْلَامِ النُّحَاةِ).

محتوى الكتاب

تقديم: د. محمد حماسة عبد اللطيف

المقدمة:

الفصل الأول: في العلاقة بين القراءة والقاعدة.

الفصل الثاني إلى الفصل الحادي والعشرين: ما لم يَطْرُدْ فِي الْقَرَاءَاتِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ مِنْ قَبْلِ

سبويه إلى أبي حيان الأندلسي.

الفصل الثاني والعشرون: سبل معالجة النحاة لما لم يَطْرُدْ لَدَيْهِمْ فِي الْقَرَاءَاتِ.

المصادر والمراجع:

تصدير الكتاب

بَدَأَ الْكِتَابُ بِتَصْدِيرِ الْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ حَمَاسَةَ عَبْدِ الْلطِيفِ؛ بَيَّنَّ فِيهِ لِمَحَّةً عَنِ مَضْمُونِ الْكِتَابِ وَأَهْمِيَّتِهِ، وَأَثْنَى عَلَى جُهِودِ الْأَسْتَاذِ الْمُؤَلِّفِ، وَذَكَرَ أَنَّه خَاصٌّ غِمَارَ بَحْثٍ يَلْزِمُ صَاحِبَهُ أَنْ يَحْتَاطَ لَهُ كُلُّ الْإِحْتِيَاظِ، وَأَنْ يَحْذَرُ أَنْ يَبْلُغَ الْحُدْرَ؛ حَتَّى يُخْرَجَ مِنْ خَوْضِ غِمَارِهِ سَالِمَ الدِّينِ، صَحِيحَ الْمُعْتَقِدِ.

مقدمة

بيّن المؤلفُ في هذه المُقدِّمة الطَّويلةِ مجموعةَ أمورٍ؛ منها:

- ما يتعلّقُ بالعلاقة بين قاعدة النَّحوِ وقراءاتِ القرآنِ الكريمِ، وأتمّها لم تكن على درجةٍ كافيةٍ من الوضوحِ والاستقرارِ والانسجامِ.
 - الشذوذُ عن القاعدةِ أمرٌ طبيعيٌّ مألوفٌ في لغاتِ البَشَرِ عامَّةً.
 - المنهجُ الصَّوابُ في توجيه قواعدِ العربية يبدأ من النَّصِّ، لا من القاعدة؛ بمعنى: أن تتحكَّم القراءَةُ القرآنيَّةُ بقاعدةِ النحويِّ، لا أن تتحكَّم قاعدتهُ بالقراءة.
 - سَعَةُ العربيةِ وتطوُّرها بفعل امتدادها التاريخيِّ لا يمكن من استيعابها جميعاً في قاعدة يُراد لها أن تُحقَّقَ قَدراً مقبولاً من الوظيفةِ التعليميةِ.
- لَمَّا كان القرآنُ الكريمُ بمختلفِ قراءاته يتمثّلُ العربيَّةَ ويمثّلُها فيما استعمله منها؛ كان من الطبيعيِّ أن يكونَ كثيره، وقليله ونادره وشاذّه، هو كثيرَ هذه اللغة وقليلها وشاذّها ونادرها.

فصول الكتاب:

وفي استعراضِ الفصولِ المفصَّلة التي تناولت توجيهاتِ النحويين نلمسُ أنّ المؤلفَ سارَ بِخُطَّةٍ منهجيَّةٍ؛ جُمِلُها بيانُ الأصولِ النحويَّةِ التي أتبعها كُلُّ نحويٍّ؛ من حيث:

أ- الإشارةُ إلى القراءَةِ، وهل لها قياسٌ أم لا؟

ب- علاقةُ القراءَةِ باللَّهجاتِ الخاصَّةِ.

ج- التأويل النحوي للقراءة.

د- الطعن في رُواة القراءة.

ه- الردُّ وتلحينُ القراءة.

ويعيش القارئ في رحابِ فصولِ الكتابِ مع أزيد من عشرين نحوياً من أعلامِ النَّحو العربيِّ، بدءاً من عبد الرحمن بن هُرْمَز (١١٦هـ)، والخليل (١٧٥هـ)، وانتهاءً بأبي حَيَّان الأندلسيِّ (٧٤٥هـ)، مع جولةٍ هادفةٍ في أشهر مؤلفاتهم.

وقفات موجزة في الكتاب:

١- أبرز الكتابُ أنسبَ آراءِ النُّحاة في توجيه القراءات القرآنية، وأقربها إلى الدِّقة والمنهجية العلمية؛ ألا وهو رأيُ الإمام أبي حَيَّان الأندلسيِّ (٧٤٥هـ)، فقد أكَّد أنَّ القراءاتِ القرآنيَّة جاءتْ وَفَّقَ كلامِ العرب، مَقْسِيهِ وشاذِّه، فما وافق منها الكثيرَ المقيسَ في كلامهم؛ قيسَ عليه، وما وافق القليلَ الشَّاذِّ؛ اقتصر فيه على ما يُسَمَّعُ، وتجلَّى رأيه الصريحُ حين سلَّم بالقراءاتِ المتواترة، فلم يطعن في شيءٍ منها، والذي نختاره ونقولُه: أنَّ نقلَ القراءاتِ السبعِ متواترٌ، لا يمكنُ وقوعُ الغلطِ فيه.

٢- تعددت آراءُ النَّحويِّين تجاهَ القراءاتِ القرآنية ومناحي توجيهها؛ في اللُّغة والصِّرفِ والنَّحو خاصةً، أمَّا في مجال البيان والتوضيح؛ فعدَّت بعضُ القراءاتِ قراءاتٍ تفسيريةً، تُبرِّزُ المعنى القرآنيَّ بوضوحٍ وجلاءٍ.

٣- لقد امتنع بعضُ النَّحويِّين عن القياس على بعضِ ما جاء في القراءات القرآنية؛ المتواترة والشاذَّة، ولم يقتصر بعضُ النحويين على ذلك، بل تعدَّوه إلى تقبيح بعضِ القراءات وتلحينها.

٤- ربط بعضُ النحاة بين القراءة واللهجات العربية الخاصة.

- ٥- القراءات القرآنية جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها.
- ٦- النحويون ارتضوا القراءات جميعاً، واقتاسوا بها، واتخذوا منها موضعاً لاستقراءهم، واستنباط أصولهم، شاعت لُغَتُهَا أم لم تَشْعُرْ.
- ٧- القياس على كُلِّ ما قُرئ به في القراءات القرآنية؛ ذلك أنَّهَا تأتي على الأوضح والفصح، وعلى القليل والكثير.
- ٨- في القراءات السبع ما لا يقاس عليه، ولكنه يُوجِبُ قبول ما كان من هذا القبيل.
- ٩- المذهبُ المنصفُ عند العلماء بتوجيه القراءة أنَّه لا ترجيح بين المتواترتين؛ لأنَّ كلاً من القراءتين كلامُ الله تعالى، فلا يجوز تفضيل شيء منه على شيء.
- ١٠- ما جاء من روايات عن الثقات العُدول يجب قبوله، وإن كان غيره أفسح وأقيس.
- ١١- القراءات شواهد، وينبغي ألا تُغلَطَ؛ لصحة الرواية.
- ١٢- يُذكر ما هو أولى في توجيه القراءة.
- ١٣- في البحث بيان الآراء والتوجيهات التي تناقض أصحابها فيها هم أنفسهم، فذكروا قولين.
- ١٤- الحمل على ما كان لغة أولى من الحمل على الشاذ غير المطرد.
- ١٥- التأويل هو خلاف الأصل، وإنما يسوغ التأويل إذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء شيء يخالف الجادة، وأما إذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلا بها؛ فلا تأويل.
- ١٦- التأويل هو حمل الشاهد على خلاف الظاهر، ويلجأ إليه النحوي عندما لا يستقيم له المعنى، أو أصول الصناعة النحوية.

١٧- ثمة توجيهاتٍ للنَّحويين تَحْمَلُ القراءةَ المتواترةَ على لهجةٍ صُرِّحَ بِأَنَّهَا مقصورةٌ على الضرورةِ في الفُصْحَى.

١٨- ينبغي عَدَمُ الاستسلامِ - ما أمكنَ - لتلحينِ قراءةٍ قرآنيَّةٍ متواترةٍ.

١٩- في الكتابِ الحديثِ عن مبادئٍ أساسيةٍ في التوجيهِ النحويِّ لإعرابِ القرآن، وبيانِ الضوابطِ في النَّحْوِ القرآنيِّ المغايرِ لما يُوجَّهُ للشعر؛ كالتضمين، فهو ليس بقياسٍ، والعطف على التَّوَهُّمِ لا يقاس أيضاً، فلا يُحْمَلُ عليه القرآنُ ما وُجِدَتْ عنه مَنَدُوحةٌ.

٢٠- بيانُ المشكلِ من توجيهاتِ القراءةِ والتخرجاتِ الغريبةِ التي أبدتها علماءُ الصرفِ خاصَّةً؛ كقراءةِ ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

٢١- ذَكَرُ ما لم تَسْعَ له أصولُ النَّحويين من القراءاتِ الشاذةِ خاصَّةً، وما يبعُدُ توجيهُهُ.

٢٢- الإلماحُ إلى الطعنِ في ضبطِ رواةِ القراءةِ التي جاءت بها لم يطرُد في لسانِ العربِ أو خالفتِ الأصولَ؛ نحو: (الربا).

٢٣- بيانُ أسبابِ تخطئةِ القراءةِ؛ اعتماداً على القواعدِ النحويةِ والصرفيةِ، أو ما لا أصلَ له في كلامِ العربِ.

٢٤- وجد بعضُ النُّحاةِ أنَّ بعضَ شواهدِ القراءاتِ قليلةُ الاستعمالِ، فجعلها عيباً؛ كقراءة: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْتَفَرِحُوا﴾ [يونس: ٥٨]

٢٥- آراءُ المتأخرين من النُّحاةِ في توجيهِ قُدَامِيِ النحويين للقراءاتِ القرآنيةِ.

٢٦- ذَكَرَ أساليبَ النُّحاةِ في عَرَضِ القاعدةِ النحويَّةِ، ثم ذَكَرَ القراءةَ التي خالفتها، ويبيِّن أحكامَ هذه القراءةِ في مناسبتها للقاعدةِ أو مخالفتها.

الخاتمة

خَصَّصَ المؤلّف الفصل الثّاني والعشرين للحديث عن [سُبُل معالجة النُّحاة لما لم يَطَّرِد في القراءات] وفيه خلاصاتٌ ونتائج.

بُنِيَتْ هذه الخاتمة على مَدخَلٍ ذُكِرَ فيه ما لم يَطَّرِد في القراءات عند النُّحاة عامَّةً، وأنّه لم يقتصر على مدرسةٍ نحويةٍ دون غيرها، خلافاً لما أتى به بعضُ الباحثين المعاصرين.

والتأييد الذي أتى به المؤلّف في غاية الإقناع مع البرهان؛ ذلك أن القرآن الكريم مُمَثَّلًا بمختلف قراءاته يُمَثَّل ويتمثّل ما استعمله من لغة العرب في الحِقْبَةِ التي نزل فيها؛ أي أنّه جاء بلغة العرب عامَّةً في ذلك الحين، كثيرها وقليلها، شاذّها ومقيسها، فما وافق من قراءاته القليل الشاذّ من اللغة؛ لم يقسّه النُّحاة، وذلك بحسب تصوّر كلّ منهم لأصول اللغة والنحو.

وبحسب هذه الخاتمة أنّها سلّطت الأضواء على أهمّ المرتكزات التي اعتمدها النحويّون في توجيه القراءات، فوقف عندها وُقْفَةً متأنّيةً بصيرةً، وهي تصلح أن تكون عُمْدَةً للدّارسين في توجيه القراءات عموماً، فقد تطرّق للحديث عن:

أ- تأويل القراءة.

ب- حمل ما في القراءة على اللهجات الخاصّة.

ج- الطّعن في ضبط رواة القراءة.

د- تلحين ما في القراءة.

١- تأويل القراءة:

يتمثل موقف النحويّ أحياناً بما لم يطرد في القراءة لديه بالعمل على توجيهه توجيهاً يرده على نحوٍ ما إلى وجهٍ من وجوه العربيّة، ولعلّ الباعث على ذلك خروج النّصّ المؤول عن المطرّد في قاعدة النحويّ، ومعظم هذه التأويلات صادرة عن اجتهاداتٍ نحويّة.

٢- حمل ما في القراءة على اللهجات العربيّة:

كثيراً ما يُفسّر النحويّ ما لم يطرد في القراءة العربية بحمله على اللهجات العربيّة الخاصّة، وهذا الأمر أسلم في توجيه القراءة، دون النظر إلى تواترها أو خروجها عن التواتر، وهو بلا شكّ ينسجم والحكمة من إباحة تعدّد القراءات القرآنية؛ وهي أن تيسر على مختلف القبائل قراءة القرآن، كلّ بحسب ما تطبّع عليه من عادات لغوية خاصّة. وللنحويين أحكامٌ في بيان صفات اللهجات وقوانينها الخاصّة، وذكر مراتب فصاحتها، أو ضعفها، وبيان شدوذها، فهذا هو ذا الإمام أبو الفتح قد عقّد باباً في «الخصائص» عنوانه: باب لغات العرب، وكلّها حجة^(٣)، وها هو ذا البغداديّ يقول في «شرح شواهد الشافية»: (لا يجوز الحكم على لغة قوم بالضعف أو الشذوذ)^(٤).

٣- الطعن في ضبط رِوَاة القراءة:

المتدبّر لتوجيهات النحويين لأوجه القراءات يرى أن استغراب النحويّ للقراءة التي لم تطرد لديه ناشئ عن عدم الوثوق بضبط الرواية، وأكثر هذه الطرق كانت من

(٣) الخصائص ٢ / ١٠.

(٤) شرح شواهد الشافية ٤٥١.

القراءات الشاذة، والرواة لتلك القراءات لم يؤتوا من ضعف أمانة، بل من ضعف دراية، ويعز على النحوي أن ينسب إلى عالم بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم لأصول اللغة والنحو والتصريف.

ومن دقة توجيهات النحويين بياهم لما التبس على الرواة من أمور صرفية خاصة؛ كالإدغام والإخفاء، والاختلاس والإسكان؛ لما بينهما من مقاربة ومشاكلية صوتية يصعب ضبطها بالرواية الشفهية.

٤ - تلحين ما في القراءة:

جمع الباحث شواهد بارزة من القراءات القرآنية المتواترة التي لحنها بعض النحويين؛ لأنها لم تطرد ومقاييسهم النحوية والصرفية، وتوجيه هذه القراءات كان له رصيد كبير في دراسات العلماء قديماً وحديثاً، وقلما تخلو رسالة جامعية عن علم من أعلام النحو العربي من ذكر رأيه في الاحتجاج بالقراءات القرآنية.

وقد تصدى للدفاع عن الطعن في القراءات علماء ثقات بينوا أن الأصل في توجيه القواعد النحوية والصرفية هو القرآن الكريم، وقراءته المتواترة، ومنهم من أضاف القراءات الشاذة، وجعلها هي الأولى في الاحتجاج على قواعد النحو. والجدير بالذكر أن تلحين النحاة لبعض القراءات لا يعني أنهم يطعنون في القرآن الكريم؛ ذلك أن موقفهم من القرآن الكريم - كما هو معروف - إنما هو التبجيل والتعظيم، وإن ما نُقل عن بعضهم من طعن في بعض القراءات لا يستهدف الطعن في القرآن بحال؛ لأن النحوي الذي يطعن بقراءة هو نفسه الذي يقبل قراءات أخرى.

من مزايا التأليف في هذا الكتاب:

الكتاب كما أوضحتُ كتابُ تَخْصُّصِيٍّ في أصول النَّحو العربيِّ، لجانِبٍ مهمِّ هو القراءات القرآنية، ولجزئية دقيقة هي غيرُ المطرد في القراءات القرآنية، ولا يتصدى لمثل هذا البحثِ والغوصِ في أعماقه إلاَّ أهلُ عِلْمٍ وخبرةٍ، وقد بيَّنتُ تفصيلَ الكتابِ بعَرَضٍ موجزٍ، ولا بُدَّ من الإشارةِ إلى بعضِ المزايا العامَّة في الكتاب:

١- في الكتاب استئناسُ بآراء الباحثين الذين خصَّصوا دراساتٍ مستقلةً للحديث عن أبرز النُّحاة وبيانِ مذاهبهم.

٢- فيه مناقشةٌ لما فيه مجانبةٌ للحقِّ لبعض آراء الدارسين، قُدامى ومعاصرين.

٣- في الكتاب ردٌّ لبعض الآراء التي لمَح فيها الباحثُ الدكتور محمد عبدو فلفل وجهاً من التعارضِ بين رأيين لموقفٍ نحويٍّ ما.

٤- ونلمَسُ جوانبَ من تصحيح بعض المفاهيم والآراء الخاطئة التي سرت لدى كثيرٍ من المؤلفين وطلبة الدراسات العليا؛ منها: أنَّ الكوفيين كانوا يقيسون على كلِّ ما يسمعون، والصواب: أنَّ الكوفيين امتنعوا عن القياسِ على بعض اللهجات؛ كما امتنعوا عن القياسِ على ما جاء في بعضِ القراءاتِ أيّاً كان حظُّها من التواترِ والإجماعِ.

٥- ومن المزايا المهمة التي تدلُّ على قوة استيعابِ الباحثِ وسعة علمه التَّبَعُ الدقيقُ للآراء المتناقضة التي قيلت في إبرازِ معالمِ بعضِ النحويين؛ كالإمام سيويوه، والكسائي.

٦- يذكر ما يُؤيده المفسر من تأويلِ القراءة على الوجهِ الشاذِّ، أو المقصورِ على الضرورة، مثل: حذف لام الأمر من المضارع، والجرُّ على الجوار.

٧- ولستُ أتحدّثُ عن سلامة اللغة، ولا عن صحّة الأداء، واستواء التركيب، ووضوح التعبير؛ فتلك أمورٌ أساسيةٌ لا غنى عنها، وقد توفّرت للدكتور محمد عبدو فلفل على هذا النحو الواضح في تقرير مسائله، وعرض توجيهات النحويين بلغة علمية راقية، مجلّلتها الوضوح، وتملّكتها الإتقان والتدقيق.

٨- وفرة المصادر وخصوصيتها:

ولا ينبغي أن يقف بنا الحديث عند هذا القدر، بل ينبغي الإشارة في الوقت نفسه إلى بعض مناحي الجودة، وما أكثرها هنا! فالعملُ متخصصٌ بجانب مهمٍّ من توجيه القراءات، وهو شاقٌّ وواسعٌ، ولكن المؤلف قبل التحدي، وراح يجمع المادة العلمية في أناةٍ وحدَرٍ، حتى استقام البناء بعد لأيٍ، وإذا بنا أمام دراسةٍ تمتعُ القارئ العام، وتفيدُ الدارسَ المختصَّ، ولعلَّ نظرةً فاحصةً في المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث لتدلُّ خير دليلٍ على أصالة هذا العمل وعمقه وشموليّته.

إنّ مثل الحديث عن القراءات القرآنية، والاحتجاج بها، وتوجيهها، وبيان عللها وإعرابها، كلّ ذلك يقتضي الرجوع إلى أصول المصادر، وأهمّ المراجع، ومناقشة ما فيها، واستكمالها، وفي رحاب هذا الكتاب نجد مئةً وأربعةً وأربعين مصدرًا ومرجعًا، وهو عددٌ وافرٌ لمثل هذه الأبحاث العلمية المنهجية، اعتمدها المؤلف، وعاش في رحابها، ودلّت على امتداد فكره، ودقة اختياره، فهو قد اختار صفوة المصادر في كل علمٍ من أبوابها: كتب اللغة، والقراءات، ومعاني القرآن، والتفاسير، وعلوم القرآن، وكتب أعراب القرآن الكريم، وكتب النحو المطوّلة، وكتب الأمالي والمجالس النحوية، وكتب الصرف، وبعض كتب اللسانيات...

كما ارتبط بكتب النحويين الذين عرض آراءهم وهم - كما ذكرت - أكثر من عشرين

نحويًا، وهذا عند المحققين يقتضي جَعَلَ صِلَةً بين الباحث وبين أكثر من عشرين كتاباً، إضافة إلى الكتب التي تخصصت لترجمة عِلْمٍ من أعلام النحو؛ كـ «ابن جِنِّي النحوي» للدكتور السامرائي، و«ابن الحاجب النحوي» للدكتور إبراهيم عبد الله، و«ابن يعيش النحوي» للدكتور عبد الإله نبهان، وكتاب «أبو زكريا الفراء، ومذهبه في النحو واللغة» للدكتور مكِّي الأنصاري، وهي صَفْوَةٌ ما أَلَّفَ عن هؤلاء العلماء الأعلام.

وفي الكتاب فهرس للمسائل النحوية والصرفية له قيمته العلمية، لما له من عَوْنٍ ظاهرٍ للباحثين والدارسين للانتفاع به والتقاط بغيتهم يسرٍ وسهولة.

ملاحظات:

كتاب «غير المُطَرَّد في القراءات القرآنية» غزيرُ المادَّة العلمية، كثيرُ الفوائد، بذل فيه مؤلِّفه كُلُّ وَسْعِهِ؛ ليحقق كثيراً من طموحه، ومع ذلك فَثَمَّةٌ أمورٌ وملاحظاتٌ في الكتاب، بين المضمون والشكل، لعلها تكمل جوانبَ مما أرادها المؤلف؛ ومنها:

أ- يستحسن إعطاء لمحة موجزة عن القراءات المتواترة، وغير المتواترة؛ لتقريب فهم ذلك إلى المبتدئين من الدارسين؛ فذلك يُعدُّ الحُطْوَةَ الأولى التي تُبنى عليها مسائل الاحتجاج بالقراءات، وبمعرفتها يستنير طلابُ العلم بهذا الرافد الغني للغة العربية.

ب- ولعلَّ الحُطْوَةَ المهمة التي تُكْمَلُ الكتاب وترتقي به - على ما فيه من جَهْدٍ قيِّم - تكمنُ في أن يتطوَّع المؤلفُ فيقدِّم خلاصةً فيها التوجيه الصحيح للقراءات التي ناقشها جُلُّ النحويين الذين عَرَضَ أقوالهم، وتناثرت آراؤهم؛ لتكون الصورة واضحة لكل الدارسين والقراء عامةً، وليزيل من نفوس الناس كُلِّ شَكٍّ، ويوضح كلَّ لَبْسٍ، ويُبعد كلَّ اتِّهامٍ للقراءة، ويكشف الحقيقةَ ويبيِّن مُرادِ الله تعالى من الآية وما فيها من قراءاتٍ، وهذا

مهمّ، ومن باب تتميم الفائدة، فقواعد النَّحو مبنيةٌ على الاستقراء لما ورد في كلام العرب والقرآن الكريم وقراءاته، وإذا ثبت هذا؛ فلا مانع يمنع النحويين من قبوله.

ج- نحرص في الحديث عن مسائل النحو والصرف غاية الحرص على العناية البالغة بالضبط الأتم للشاهد، وأصوله الصرفية خاصة، وربما ندَّ بعض الشواهد في الكتاب، فجاء فيها خللٌ من ذلك، ففي توجيه أبي حيان لقراءة ابن عباس: (يُثْنَوِي) مجموعة أمور:

أ- مراد أبي حيان قراءة: (تَشْنَوِي)؛ بدليل وزنها: (تَرْعَوِي).

ب- وقع سقط وتحريف في النقل، والأصل: (تَشْنَوِي)؛ بتقديم الثاء على النون، وبغير نونٍ بعد الواو.

ج- خطأ صرْفِيٌّ: لا يُقال: ثَنَوْتُهُ فأنثوي؛ كما يُقال: رَعَوْتُهُ فارعوي، الصواب: ثَنَوْتُهُ فأنثوي.

والجدير بالذكر أن لهذه الآية: ﴿يُثْنَوْنَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥] أربع عشرة قراءة، رَصَدَتِ اختلافَ القراء في كلمة: (ثنوني)، وكلُّ هذه القراءات خارجٌ عن المتواتر، ومتوجهٌ لبيان أصولٍ صرفيةٍ متعددة؛ لذلك اختلفت آراء النحويين في قبولها وردّها بعضها^(٥).

د- أحسست أن هذا الكتاب القيم قد أسيء إليه في نشره بهذه الصورة أكثر مما أحسن إليه، وكان الجدير بمثل هذا الكتاب مجموعة أمور:

(٥) ينظر: المحتسب ١/ ٣١٨-٣١٩، والبحر ٥/ ٢٠٢، ومعجم القراءات ٥/ ١٠٠-١٠٢، وغير

أ- تنزيل الشواهد القرآنية من المصحف الشريف، حتى لا يرتابها شيء من تصحيف في الضبط أو بعض السَّقَط، وهذا أمر متيسر في أغلب ما نجده في الكتب المطبوعة حالياً.

ب- العناية أكثر بالضبط للمشكّل والمهمّ من الألفاظ، والشواهد القرآنية والشعرية.

ج- العناية بعلاقات الترقيم.

د- وقع اضطراب في ترتيب المصادر والمراجع: رقم (٥)، (٦)، (٧)، (٧٠)، (٧١).

هـ- سقط اسم: الإصباح في شرح الاقتراح من المصادر، ورقمه ١٨.

الصفحة ١٤٣: التأنيث في: تكون. الصواب: في «تَكُنْ»؛ لأنه موضع الشاهد.

الصفحة ١٨١: سقط من نص الآية الكريمة: لأَعَدَنَّ لَهُمْ صرّاطك المستقيم.

الصفحة ١٨٠: من معالم حرصه. الصواب: من معالم.

الصفحة ١٨٠: ابن السَّمِيفَع. الصَّواب: ابن السَّمِيفَع، بفتح السين بوزن: سَفْرَجَل.

وترجمته في: غاية النهاية ٢ / ١٦١ رقم ٣١٠٦.

الصفحة ٧٤: أحد النُّحاة القياسيين. الصواب: القياسيين.

الصفحة ٤٨: ثُو تخفيف. الصواب: وتخفيف.

الصفحة ١٢: صَدَرَ. الصواب: صَدَرَ.

الصفحة ٢٩: دعوتهم جهاراً. الصواب: جهاراً.

الصفحة ٣١: بالرسول (ص). الأولى: بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في

كلّ الكتاب.

- الصفحة ٣٥: فيكما. الصواب: فيما.
- الصفحة ٣٥: نوع من الترجيح. الصواب: نوع.
- الصفحة ٣٩: وشرحنا إيّاه. الصواب: شَرَحْنَا إيّاه.
- الصفحة ٩٤: حاشية (١) أسما الله . الصواب: أسماء الله.
- الصفحة ٩٥: حاشية (١) و (٤) و (٧) أسما الله. الصواب: أسماء الله.
- الصفحة ٩٥: الأذَل. الصواب: الأذَلَّ.
- الصفحة ١٥٩: شرح الكافية الشافية. الصواب: شرح (الكافية في النحو).
- الصفحة ١٦٢: يدرُّكم. الصواب: يدرُّكُم.
- الصفحة ١٦٥: تردّوه. الصواب: تردّوهم.
- الصفحة ١٦٦: برزوا. الصواب: بروزاً.
- الصفحة ٢١٠: يأتينك سعاً. الصواب: سعياً.
- الصفحة ٢١٢: إن الحكم. الصواب: إن الحكم.
- الصفحة ٢١٢: فإنني. الصواب: إنني.
- الصفحة ٢١٤: افيم. الصواب: فِيم.
- الصفحة ٢١٥: كان سئّه. الصواب: كان سيئّه.
- الصفحة ٢١٦: ثياباً من سندسٍ. الصواب: ثياباً خضراً من سندسٍ.
- الصفحة ٢١٧: والله الأمر. الصواب: لله الأمر.
- و- غياب تنوين النصب من معظم الكتاب.
- ز- غياب التشديد عن كلمة (القُرَاء) في معظم الكتاب أيضاً.
- ح- سقط موضع الشاهد من الصفحة ١٦٩.

ط- جاء سَقَطُ فادح في توجيه أبي الفتح قراءة (في قلوبهم مَرَضٌ)، هذا ونحوه قد جاء في الضرورة، والقرآن يُتَخَيَّرُ عليه، ص ١١٠، وتام العبارة كما وردت في المحتسب: والقرآن يُتَخَيَّرُ له ولا يتخَيَّرُ عليه.

ي- يستحسن إبراز الفصل الثاني والعشرين على حدة بِبَحْثٍ مستقلٍّ لمغايرته للفصول المتقدمة.

وأخيراً فالكتاب باكورةٌ لجهودٍ طيبةٍ موفقةٍ في الدراسات النحويّة المعقّمة، سيكون من المصادر الرئيسيّة للاحتجاج بالقراءات القرآنيّة، فالجهد جليل لا يُقدَّرُه حقُّ قدره إلاّ مَنْ اطّلع على الكتاب اطّلاعاً فاحصٍ خبير، ولن يعدّم بين جلّة العلماء والباحثين الكثير من ألسنة الشكر والثناء والتقدير.



المقالات والآراء

السنة القمرية والتقويم الهجريّ

د. مكّي الحسني (*)

بمناسبة حلول عام قمرى جديد ترتيبه ١٤٣٤ فى التقويم الهجرى، رأيت أن أكتب هذه الكلمة لأبيّن أن الهجرة النبوية لم تحدث فى بداية العام القمري. كان العرب قبل الإسلام يستعملون السنة القمرية، وهي تضمّ اثني عشر شهرًا قمريًا، تُضبط بداية كل شهر برؤية الهلال. والشهر القمري هو مدة دوران القمر حول الأرض دورة واحدة.

وفىما يلي أسماء الشهور العربية، وهي أعلامٌ عليها، لا يجوز تحريفها. وكلّها مذكرة - كما قال الفراء - إلا جماديين فإنهما مؤنثتان^(١):

المحرّم (بالألف واللام دائماً).

صفر

ربيع الأول (ولا يقال: ربيع أول).

ربيع الآخر (ولا يقال: ربيع ثانى ولا الثانى).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) لمزيد من التفصيل يُنظر كتابي «نحو إتقان الكتابة العلمية / ١١٠».

جُمادى الأولى (ولا يقال: جُمادى الأول).

جُمادى الآخرة (ولا يقال: جُمادى الثاني ولا الثانية).

رَجَبٌ ، شَعْبَانُ ، رَمَضَانُ ، شَوَّالٌ

ذو القَعْدَةِ (وفي حالة الجَزِّ: ذي القعدة).

ذو الحِجَّةِ (وفي حالة الجَزِّ: ذي الحجة).

* يدور القمر حول الأرض في السنة القمرية اثنتي عشرة دورة مستغرقاً

٣٦٧, ٣٥٤ يوماً، على حين تدور الأرض حول الشمس دورة واحدة مستغرقة

٢٥, ٣٦٥ يوماً تقريباً، وسُمِّيت هذه المدة السنة الشمسية. وعلى هذا يكون:

$$1,030,689 = \frac{365,2422}{354.367} \frac{\text{السنة الشمسية}}{\text{السنة القمرية}}$$

ولما كانت نسبة قياسين لمقدار واحد باستعمال وحدتين مختلفتين تساوي مقلوب

نسبة هاتين الوحدتين، كان:

$$0,9702246 = \frac{1}{1,030689} = \frac{\text{المدة (مقدَّرة بالسنة الشمسية)}}{\text{المدة نفسها (مقدَّرة بالسنة القمرية)}}$$

فمثلاً، جاء في التنزيل العزيز عن أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثِ مِئَةٍ

سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

أي لبثوا في الكهف / ٣٠٩ / سنوات قمرية، وهذه المدة تساوي:

$$309 \times 0,9702246 = 299,7994 \approx 300 \text{ سنة شمسية!}$$

وإذا أراد أحدنا أن يحسب بالسنين القمرية ما مضى من عمره، وليكن مضى

منه / ٦٠ / سنة شمسية، فهذا يساوي:

$$٦٠ \text{ سنة شمسية} \times ٠,٣٠٦٨٩ = ١,٨٤١٣٤,٦١ \approx ٦٢ \text{ سنة قمرية.}$$

ونرى أن: كل ٣٢ سنة شمسية = ٩٨٢, ٣٢ \approx ٣٣ سنة قمرية.

وكل ١٠٠ سنة شمسية = ٠,٦٨٩, ١٠٣ سنة قمرية.

* لم يكن للعرب مبدأ زمني ثابت يؤرخون به حوادثهم^(٢). فقد أرخوا في

أول الأمر بالسنة التي بنى فيها إبراهيم عليه السلام الكعبة، وكان ذلك نحو / ١٨٥٥ / ق.م. بعد ذلك اتخذوا سنة انهيار سد مأرب مبدأ لتاريخهم، وحدث ذلك

نحو / ١٢٠ / ق.م. كما استعمل العرب حوادث أخرى، منها موت كعب بن لؤي،

الجد السابع للنبي العربي عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك في عام / ٦٠ / م،

ورئاسة عمرو بن لحي سنة / ٢٦٠ / م، وعام الفيل، حين توجه القائد الحبشي أبرهة

بجيشه من اليمن إلى مكة لإخضاع العرب، وكان هو كبير أصحاب الفيل، وانتهت

حملته بهزيمة منكرة بفضل المعجزة الإلهية التي خلدها التنزيل العزيز في «سورة

الفيل». سمي العام الذي حدثت فيه هذه الواقعة بعام الفيل، وفيه ولد النبي العربي

الكريم، وكان ذلك سنة / ٥٧١ / م. ثم اتخذ العرب سنة تجديد بناء الكعبة مبدأ

لتاريخهم، وكان ذلك سنة / ٦٠٥ / م.

* كانت السنة القمرية تبدأ بشهر المحرم منذ زمن قديم. واستمر ذلك بعد

الإسلام. أمّا التقويم الهجري فقد وُضع في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان

(٢) الموسوعة العربية (٦ / ٧٣٠).

ذلك يوم الأربعاء في ٢١ من جمادى الآخرة سنة / ١٧ / للهجرة، إذ اعتدَّت السنة التي حدثت فيها هجرة الرسول العربي الكريم من مكة إلى المدينة السنة الأولى للهجرة.

* وأما الهجرة نفسها فقد حدثت حين انطلق الرسول الكريم ومعه أبو بكر الصديق إلى غار «ثور» على أطراف مكة، في / ٢٧ / صَفَر (تموز ٦٢٢م). فمكثا فيه ثلاثة أيام، وقُريش تطلبهما، ثم خرجا منه مُتجهين صوب المدينة، فوصلها يوم الإثنين / ٨ / ربيع الأول^(٣).



(٣) الموسوعة الإسلامية الميسرة (١٠ / ٢١٧٦).

السُّلطان نور الدِّين والقبر النَّبوي الشَّرِيف

تحقيق تاريخي

بقلم: إبراهيم الزبيق (*)

ثمة أحداثٌ في التاريخ ترتبط أهميتها بأسماء أبطالها، وتكون تعبيراً عما في ضمير الأمة من أشواقٍ أو هواجس، وإذا افتقد التاريخ أحياناً هذه الأحداث، فإن خيال الأمة يصطنعها اصطناعاً، ومع مرور الزمن يكتسب الحدث المتخيل قوة الواقع، بل يصير عند بعض الناس هو الواقع حقاً.

من هذه الأحداث التي اتخذت هذا المنحى ما يُروى من أن نور الدين محمود بن زُنكي^(١) رأى فيما يرى النائم النبي ﷺ ثلاث مرات في ليلة واحدة، وهو يقول له: يا محمود، أنقذني من هذين الشخصين الأشقرين. ويشير إلى شخصين تجاهه، فانتبه نور الدين من منامه، ويخبر وزيره بذلك، فيقول له الوزير: هذا أمرٌ حَدَثَ في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك، فيتجهز نور الدين على عجل، ويخرج مع ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك، حتى يأتي المدينة، فيدخلها مع وزيره على غفلةٍ من أهلها،

(*) باحث في التراث والسِّير من سورية.

(١) مَلِك الشَّام وديار الجزيرة ومصر، وكان من أعدل ملوك زمانه، توفي بدمشق سنة (٥٦٩هـ -

١١٧٤م)، ولأبي شامة كتابٌ في سيرته وسيرة صلاح الدين سماه «كتاب الروضتين في أخبار

الدولتين» حققته، وصدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

فيجلس في المسجد النبوي لا يدري ما يصنع، فيقول له الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال: نعم. فيطلب الناس عامة ليعطيهم الصدقة، ويفرّق عليهم ذهباً كثيراً وفضة، ويقول: لا يبقين أحدٌ بالمدينة إلا جاء. فيجيء أهل المدينة كلهم، لم يتخلف عنهم إلا رجلا ن مجاوران من أهل الأندلس، نازلان في الناحية التي تلي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد، فطلبهما نور الدين للصدقة، فامتنعا، وقالوا: نحن في كفاية، ما نقبل شيئاً. فألحّ في طلبهما، فجيء بهما، فلما وقعت عينه عليهما عرفهما، وقال للوزير: هما هذان، فسألهما عن حالهما وما جاء بهما؟ فقالا: جئنا من أجل مجاورة النبي ﷺ. فقال: اصدقاني الحديث، وتكرّر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتها، فأقرأ أنهما مع الفرنجة، وأنهما وصلا لكي ينقلا الجسد الشريف من الحجرة النبوية باتفاقٍ مع ملوكهم على ذلك، ووجدهما قد حفرا نقباً تحت الأرض باتجاه الحجرة الشريفة، وكانا يهيلان التراب المتخلف عن الحفر في بئر البيت الذي يقيمان فيه. فأمر في الحال بضرب أعناقهما، ثم أحرقا بالنار.

و حين همّ بمغادرة المدينة عائداً إلى الشام، صاح به من كان نازلاً خارج السور من أهل المدينة، يستغيثون به، ويطلبون منه أن يبيّن لهم سوراً حول المدينة يحفظ أبناءهم، فأمر ببناء السور، فبني سنة (٥٥٨هـ)، وكتب اسم نور الدين على باب البقيع، رحمه الله.

هذه القصة ذاعت على كثير من الألسنة حتى غدت حقيقة مسلّمة، تُذكر كلما ذُكرت مناقب نور الدين، والذي يقرؤها بإنعام نظرٍ وأناة يجدها مضطربة لا تتماسك أمام المنهج العلمي في تحليل الأخبار ونقدها، ولكن قبل أن نعوص في أعماقها دعونا نتساءل: كيف وصلت إلينا هذه القصة؟.

إذا استعرضنا المصادر التي سأذكرها نراها تُحيلنا في أغلبها على مصدر واحد

استقت منه هذا الخبر، وأعني به «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة» وهو كتاب ألفه أحد مؤذني المسجد النبوي هو محمد بن أحمد المطري، المتوفى سنة (٧٤١هـ)، وهذا يجعلنا نرجح أنه أول مصدر ذكر هذه القصة.

ونتساءل: من أين أتى المطري بهذه القصة، وبين وفاته ووفاة نور الدين مئة واثنان وسبعون سنة، وأين المعاصرون لنور الدين من هذه القصة؟ نجد بادئ ذي بدء أن المطري يصرح بمن سمع منه هذه القصة، فيقول: سمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد، عن حدّته من أكابر من أدرك.

ويعرّفنا كذلك على راويها في موضع آخر من كتابه، فيقول: يعقوب بن أبي بكر بن أوحد، طالب علم من أولاد المجاورين بالمدينة، كان أبوه أبو بكر فرّاشاً من قوَّام المسجد الشريف، وهو الذي كان حريق المسجد الشريف على يديه، فاحترق وهو في حاصل المسجد ليلتئذ.

والحريق الذي يشير إليه المطري هو الذي وقع سنة (٦٥٤هـ).

إذن هي قصة كانت شائعة في ذلك العصر، وقد حدّث بها يعقوب عن حدّته من أكابر من أدرك، وسمعا منه المطري فأثبتها في كتابه، وهذا إسناد مسلسل بالمجاهيل، ولذلك لم يجزم المطري بصحتها، فقال في أواخرها: هكذا حدّثني عن حدّته!..

ولكن من أتى بعد المطري أخذ القصة ورواها نافيةً عنها أي ظل من الشك، بل زاد فيها بعض العبارات التي أكسبتها قوة اليقين، فالشك الذي لوّح به المطري بقوله: هكذا حدّثني عن حدّته، تختفي عند من يأتي بعده، وقوله في إسنادها: عن حدّته من أكابر من أدرك، تصبح عند بعضهم: عن مشايخ المدينة وعلمائها، بل إنهم - وقد ثبتت عندهم هذه القصة - يختلفون في تعيين الوزير الذي كان مع نور الدين: أهو

جمال الدين الأصفهاني، أم الموفق القيسراني؟ بل يأخذ الأمر مداه حين يغيب التاريخ تماماً، لتصبح الواقعة ضرباً من كرامات نور الدين، ودليلاً على ولايته.

ويأتي جمال الدين الإسنوي، المتوفى سنة (٧٧٢هـ)، فيسوقها دون إسناد - وينقلها عنه السمهودي - مضيفاً إلى القصة عناصر جديدة، فهو يجعل نور الدين بعد قتله الرجلين يحفر خندقاً حول الحجرة الشريفة، ويملؤه بالرصاص المذاب. هكذا انشغل بهذه القصة كل من أتى بعد المطري من المؤرخين، كالزين المراغي في «تحقيق النصر» ص ١٤٦-١٤٧، وابن قاضي شهبة في «الدر الثمين في سيرة نور الدين» ص ٧٢-٧٣، والسمهودي في «وفاء الوفا» ٢/ ٦٥٠-٦٥١، وابن العماد في «شذرات الذهب» ٤/ ٢٣٠-٢٣١، والبرزنجي في «نزهة الناظرين» ص ٨٣-٨٤.

مع أنه لم يذكرها كل من أرخ لنور الدين ممن عاصره أو جاء بعده، فلم يذكرها الحافظ ابن عساكر مؤرخ دمشق، وهو الذي كان معجباً بنور الدين غاية الإعجاب، وإليه قدّم تاريخه الكبير، وكذلك لم يذكرها العماد الكاتب وهو الذي لازم نور الدين ملازمة تامة، فقد كان كاتبه ورئيس ديوان الإنشاء عنده، وقد ألف كتاباً في أخباره سماه «البرق الشامي»، وكذلك لم يذكرها ابن منقذ في كتابه «الاعتبار» وهو الذي كان يتتبع فيما يكتب كل خبر طريف، وعاش بعد نور الدين نحو خمس عشرة سنة، بل لم يتناولها من أفرد لنور الدين كتاباً في سيرته، أو قسماً كبيراً من كتابه، كابن الأثير في كتابه «الباهر»، وهو الذي لا يخفي إعجابه بأل زُنكي، وخاصة نور الدين، وكأبي شامة في كتابه «الروضتين»، وهو الحريص على تدوين كل منقبة له.

وهذا يعني أن القصة لم تكن معروفة في بلاد الشام - معقل نور الدين - حتى منتصف القرن السابع الهجري، أي في سنة (٦٤٩هـ) وهي السنة التي فرغ فيها أبو شامة من تصنيف كتابه «الروضتين»، ولو كانت معروفة لربما ذكرها ونقدها، وإن

كانت بدأت تشيع في تلك السنين نفسها في المدينة المنورة بين العامة، إذ إن يعقوب الذي سمع منه المطري ولد قبل سنة (٦٥٤هـ) - وهي سنة وفاة والده كما سلف - وسمعها هو من أكابر من أدرك، يعني ممن عاش في منتصف القرن السابع.

وقد ظلت غير معروفة في بلاد الشام حتى زمن المطري نفسه، وهو منتصف القرن الثامن، إذ لم يشر إليها مؤرخ ذلك القرن الإمام الذهبي في كتابيه «سير أعلام النبلاء» و«تاريخ الإسلام»، وقد توفي بعد المطري بنحو سبع سنوات، وذلك سنة (٧٤٨هـ)، بل لم يذكرها من تصدّى لتاريخ المدينة، وهو ابن النجار المتوفى سنة (٦٤٧هـ) في كتابه القيم «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة».

هذا الإغفال لها من مؤرّخين كبار يلقي بظلال من الشك على القصة، يزيده قوة أن نور الدين لم يزر المدينة في السنة التي ذكر المطري أن القصة وقعت فيها، وهي سنة (٥٥٧هـ)، بل إن نور الدين لم يزر المدينة في أيّ من سني حكمه التي امتدّت ما يقرب من ثلاثين عاماً، بل إنه لم يحجّ أبداً، فقد شغله جهاد الفرنج عن الحج كما شغل صلاح الدين من بعده، وما ذكره الفاسي في «شفاء الغرام» ٢٢٩/٢ من أن نور الدين حجّ في سنة (٥٥٦هـ) فهو وهم منه، إذ إن الذي حجّ في تلك السنة هو قائد جيشه أسد الدين شيركوه، وقد خرج نور الدين إلى لقائه يوم رجوعه فيما ذكر أبو شامة في «الروضتين».

ثم إن في القصة اضطراباً في متنها ونكارة، لم أدر كيف لم يتنبّه له من رواها، فهو يقول: إن نور الدين تجهز على عجلٍ، وخرج ومعه ألف راحلة، وما يتبعها من خيل وغير ذلك، وهو عددٌ غير قليل لا بد أن يُحدث عند دخوله المدينة جلبة واهتماماً، ومع ذلك يقول: إنه دخل المدينة على غفلة من أهلها!..

ويجلس في المسجد وكأنه عابر سبيل، وهو سلطان الشام وقتئذٍ، لا يدري به حتى أمير المدينة!..

ويطلب أهل المدينة كلهم للصدقة، وكأنهم كلهم يستحقونها، ويحرق الرجلين بعد قتلها، وهو عقابٌ منهِّي عنه شرعاً!

وكان الإسنوي في روايته حاول أن يخفف من بعض اضطرابها فذكر أن نور الدين خرج في رواحل خفيفة، في عشرين نفراً، وجعل التراب المتخلف عن الحفر، بدل أن يلقي في بئر البيت، يُذهب به، فيُلقي بين القبور في البقيع.

ونتساءل حقاً: ما الباعث على شيوع هذه القصة مع اضطرابها؟

يذكر المطري أن هذه القصة هي وراء بناء سور المدينة، وقد رأى اسم نور الدين على أحد أبوابه. ومن ثمَّ يمكن أن يُلتقط الباعث على تأليف هذه القصة. حقاً أن نور الدين قد أكمل سور المدينة الذي بدأ بناءه وزير الموصل جمال الدين الأصفهاني المتوفى سنة (٥٥٩هـ)، وقد كتب اسم نور الدين على باب البقيع.. فربما أثارت كتابة اسمه فكرة مجيئه إلى المدينة، وهي فكرة لها ما يقويها من دليل مادي، ثم حدث بعد سنوات قليلة، وذلك سنة (٥٧٨هـ) أن حاول الصليبيون الاستيلاء على المدينة المنورة، وقد أخفقت محاولتهم هذه بفضل يقظة صلاح الدين، وقد أشيع وقتها بين المسلمين أن الفرنجة كانوا يريدون نبش قبر النبي ﷺ، ونقل جسده الشريف إلى فلسطين، ودفنه هناك حتى لا يمكّنوا المسلمين من زيارته إلا لقاء مالٍ يدفعونه لهم، فيما ذكر الرحالة ابن جبير في «رحلته» ص ٦٠، والمقريري في «خططه» ٤٤٣/٢ (طبعة دار التحرير)، فدمج الخيال الحديث ليكشف عن هاجس أقلق بال المسلمين وقتئذٍ، وهو أن ما أخفق الصليبيون في تحقيقه في العلن سيحاولونه في الخفاء، فكانت هذه القصة، والله أعلم.

أبناءُ جمعيةٍ وثقافيةٍ

قرارات مجمع اللغة العربية في الألفاظ والأساليب

عامي ٢٠٠٩-٢٠١٠م

(١)

(أَثَّ الْبَيْتَ، وَالْأَثَاثَ)

١- المسألة:

يستعمل المحدثون الأثاث بمعنى ما يُتَّخَذُ فِي الْبَيْتِ مِنَ الْفُرْشِ وَالْكَرَاسِيِّ وَالْأَسْرَّةِ وَالْبُسْطِ. وقد صاغوا من هذه الكلمة الفعل «أَثَّ» ومشتقاته. وليس للكلمة هذه الدلالة عند المتقدمين.

٢- الاقتراح: جواز قولهم: «أَثَّ الْبَيْتَ». بمعنى فرشه بالمتاع.»

٣- التعليل:

أ- إن معنى الأثاث في المعاجم القديمة كما في اللسان هو: «المالُ كُلُّهُ، والمتاع ما كان من لباسٍ أو حشو فراشٍ أو دثارٍ، واحدته أثاثة»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِثِيًّا﴾ [سورة مريم: ٧٤]. ولكن المحدثين توسعوا في هذه الدلالة فأطلقوه على كل ما يُتَّخَذُ فِي الْبَيْتِ مِنْ أَدْوَاتِ الْارْتِفَاقِ

والراحة كالبسطة والكراسي والأسرة، وهو تسمية الشيء بملابسه أو مجاوره، وهو من طرائق التسمية في العربية.

ب- إذا صحّت كلمة الأثاث بالمعنى المعاصر، وهو اسم عين، فإنّ الاشتقاق من أسماء الأعيان جائز في العربية، بل هو كثير.. فقد قالت العرب: «ترجّل إذا ركب رجليّه» فاشتقت من الرّجل، وهو اسم عين، وكذا قولهم: «ترجّلت المرأة» أي صارت كالرّجال، فاشتقت من «الرّجل».

وعلى هذا يصبح قولهم «أثّ البيت» بمعنى اتّخذ له أثاثاً صحيحاً، وذلك زيادة على دلالة الأصلية، وهي: «أثّ الشيء: وطّاه ووثّره».

٤- القرار: جواز قولهم: «أثّ البيت وأثاث البيت».

(٢)

(أجابه على سؤاله)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة «أجابه على سؤاله» بتعدية الفعل (أجاب) ب (على)، ويرى أن يُعدّى ب (عن) بأن يقال: «أجاب عن سؤاله».

٢- الاقتراح: جواز قولهم «أجابه على سؤاله»، وإن كان الأولى أن يقال:

«أجابه عن سؤاله».

٣- التعليل:

أ- ما ورد من كلام العرب:

- قال ابن جنّي: «كتب إليّ أبو عليّ جواباً على سؤاليّ» الخصائص ٣ / ٣٨.

- قال الجاحظ: «وجوابي على ذلك هو...».

- قول ابن مالك: «(على) للاستعلاء ، ومعنى (في) و(عن)»: شرح ابن

عقيل ٢٢/٣.

- قول ابن جنِّي: «وذلك أن جوابه على ظاهر سؤاله أن يقول له..»

الخصائص ٢٦٦/٢.

ب- إذا اعترض بأن التعدية بـ (على) في كل ما مرَّ هي لكلمة (جواب)، وأن

الجواب هنا يعني (الرد) ولذلك عُديَّ بـ (على)، نقول إن الرد هو الجواب عن

سؤال وليس الجواب عن قول أو حدث فقط، بدليل قول المتنبّي:

وكثيرٌ من السؤال اشتياقٌ وكثيرٌ من رده تعليلٌ

فإذا صحَّ أن يقال: «جوابي على سؤاله» صحَّ أن يقال: «أجبتُ على سؤاله»،

لأن (الجواب) هو مصدر أجاب أو اسم منه، ومشتق من الفعل على رأي الكوفيين،

أو أن الفعل مشتقُّ منه على رأي البصريين، فما يجوز في أحدهما يجوز في الآخر. أمَّا

أن يصحَّ تعدّي مصدر بحرف، ولا يصح ذلك في فعله، فلا وجه لقبوله.

ج- تجويز مجمع القاهرة هذه العبارة في الألفاظ والأساليب ٧٤ / ١.

٤ - القرار:

جواز قولهم «أجابه على سؤاله»، وإن كان الأولى أن يقال: «أجابه عن

سؤاله».

(٣)

أَجْرٌ وَمُؤَجَّرٌ

(أَجْرُ الْمَالِكِ الدَّارِ)

١- المسألة: يَخْطِئُ بعضهم عبارة: «أَجْرُ الْمَالِكِ الدَّارِ، وَهُوَ مُؤَجَّرٌ وَالدَّارُ مُؤَجَّرَةٌ». والصواب عندهم: «أَجْرُ الدَّارِ فَهُوَ أَجْرٌ وَالدَّارُ مَأْجُورَةٌ» أو «أَجْرَتْ الدَّارَ إِيجَاراً فَأَنْتَ مُؤَجِّرٌ وَالدَّارُ مُؤَجَّرَةٌ» [من أَجَرَ عَلَى وَزْنِ أَفْعَلَ]، و«أَجْرَتْ الدَّارَ فَأَنَا مُؤَاجِرٌ وَالدَّارُ مُؤَاجِرَةٌ» [من أَجَرَ عَلَى زِنَةِ فَاعِلٍ].

٢- الاقتراح: جواز قولهم: «أَجْرُ الدَّارِ، فَهُوَ مُؤَجَّرٌ وَالدَّارُ مُؤَجَّرَةٌ».

٣- التعليل:

أ- جاء في اللسان: «وَأَجْرْتُهُ الدَّارَ: أَكْرَيْتُهَا.. وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: وَأَجْرْتُهُ».

وَجاء في الوسيط: «أَجْرُ الشَّيْءِ أَكْرَاهُ».

ب- يُؤْخَذُ مِنَ اللِّسَانِ أَنَّ (أَجَرَ) هِيَ إِمَّا عَلَى بِنَاءِ (أَفْعَلَ) أَوْ (فَاعِلٍ).

ج- قال ابن يعيش: «وَأَمَّا (فَعَّلَ) فَإِنَّهُ يَشَارِكُ (أَفْعَلَ) فِي أَكْثَرِ مَعَانِيهَا». فإذا

صَحَّ (أَجَرَ) عَلَى بِنَاءِ (أَفْعَلَ) جاز (أَجَرَ) عَلَى بِنَاءِ (فَعَّلَ) بِمَعْنَاهُ، كَمَا أَنَّ (فَعَّلَ) قَدْ

يَأْتِي بِمَعْنَى (فَعَّلَ) نَحْوَ «قَدَّرَ اللهُ الأَمْرَ وَقَدَّرَهُ»، فإذا صَحَّ (أَجَرَ) عَلَى (فَعَّلَ) كَمَا فِي

الوسيط، جاز (أَجَرَ) عَلَى بِنَاءِ (فَعَّلَ).

د- أثبتتها المعجم الكبير وقال: «وهي محدثة».

٤- القرار: جواز قولهم: «أَجْرُ الدَّارِ، فَهُوَ مُؤَجَّرٌ وَالدَّارُ مُؤَجَّرَةٌ».

(٤)

أَرْفَقَ وَالْمُرْفَقَاتُ

١- المسألة:

ثمة من يعترض على استعمال «أَرْفَقَ وَالْمُرْفَقَاتُ» بمعنى أصح الأوراق أو الوثائق المصاحبة. لأن هاتين الصيغتين لم يرد منهما الفعل المزيد «أرفق» ومشتقاته بهذا المعنى في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح: جواز قولهم: «أَرْفَقَ» ومشتقاتها بمعنى «أَصْحَبَ».

٣- التعليل:

أ- جاء في اللسان: «رَافَقَ الرَّجُلُ: صَاحَبَهُ.. وَالرَّفِيقُ: الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ... وَالرُّفْقَةُ: الْجَمَاعَةُ الْمُتَرَفِّقُونَ فِي السَّفَرِ... وَالرَّفَاقُ: مَصْدَرُ رَافَقَ... وَالرَّفِيقُ: الْمُرَافِقُ».

ب- يتضح مما سبق أن الذي ورد في المعجم هو البناءان المزيدان «رَافَقَ وَتَرَافَقَ». وإن كان لم ينص على المجرد «رَفَقَ»، بمعنى «صَحِبَ»، فإن قوله: «الرَّفِيقُ الصَّاحِبُ» مؤذن بذلك. لأن «الرَّفِيقَ» صفة على زنة «فَعِيل» المصوغة من الثلاثي، وإذا صَحَّت الصفة فالفعل في الكف، كما يقول ابن جني. أي يمكن اعتبار الفعل المجرد «رَفَقَ» بمعنى الفعل «صَحِبَ» بحكم المنطوق.

ج- إذا صحَّ أن فعل «رَفَقَ» الثلاثي لم يرد في المعاجم القديمة بهذه الدلالة فهو بحكم المنطوق، وهذا يعني أنه يمكن بناء «أَفْعَل» منه للدلالة الجديدة، فيقال «أَرْفَقَ».

- د- وإذا صحَّ فعل «أرفق» المزيد بحرف، فإنَّه يحمل معنى «رَافَق»، لأنَّه قد يأتي «فَاعَلَّ» بمعنى «أفَعَلَ» نحو: «باعَدَ وأبعَدَ» ونحو «سارعَ وأسرعَ» كما في اللسان.
- وبناء على ما سبق يمكن إجازة الفعل «أرفق» إمَّا على أنَّه مزيد على الثلاثي المقدَّر وجوده وهو «رَفَقَ»، وإمَّا على أنَّه قياس على «أفَعَلَ» بمعنى «فَاعَلَّ».
- ٤- القرار: جواز قولهم: «أرفق» ومشتقاتها بمعنى «أصحب».

(٥)

استخدم

(استخدمَ العاملُ الآلة)

- ١- المسألة: يخطئ بعضهم عبارة: استخدمَ العاملُ الآلة، واستخدمَ المهندسُ خبرته، ويرون أن الصواب هو: استعملَ العاملُ الآلة، واستعملَ المهندسُ ذكاهه، لأن استعمال «استخدم» لغير العاقل غير فصيح.
- ٢- الاقتراح: جواز استعمال «استخدم» بمعنى «استعمل» للعاقل ولغيره، وهي للعاقل أولى.
- ٣- التعليل:

- أ- جاء في اللسان: «استخدمه: استوهبهُ خادماً.. واستخدمتُ فلاناً: سألته أن يخدمني.. وخدمه يخدمه ويخدمه: مهته».
- وفي اللسان: «والعمل: المهنة. واستعمل فلانٌ غيره إذا سأله أن يعمل له. واستعمله: طلب إليه العمل.. وأعمل رأيه وآلته ولسانه واستعمله: عمل به».

ب- وجاء في التاج (خدم): «خَدَمَهُ: مَهَنَهُ.. ويقولون: هذا القميص يخدم سنة.. وجاء في حديث علي وفاطمة رضي الله عنهما: «أسألي أباك خادماً يقيقك حرّاً ما أنت فيه».

وفي التاج (مهن): «المهنة: الخدق بالخدمة والعمل.. ومَهَنَهُ: خَدَمَهُ.. والعمل: المهنة».

ويظهر من هذا أن المعاجم القديمة فرّقت في الاستعمال بين «استخدم» و«استعمل»، فجعلت الخدمة للإنسان والاستعمال للألة وغيرها. ولكن مما يُفهم منها أيضاً:

- ١- أن «الخدمة والعمل» يلتقيان في دلالة واحدة هي كلمة «المهنة»، فإذا وَحَدَتْ بينهما دلالة المصدر ألا يمكن التوحيد بينهما في الاستعمال فيكون «استخدم» بمعنى (طلب العمل)، والعمل يقع على العاقل وغيره؟
- ٢- وأن الخدمة قد تكون أيضاً من غير العاقل، ودليل ذلك ما جاء في حديث علي وفاطمة رضي الله عنهما: «أسألي أباك خادماً [للمذكر والمؤنث] تقيقك حرّاً ما أنت فيه».

فإذا كانت الآلة اليوم هي التي تقوم بوقاية الإنسان وإراحته، أليس يعني هذا أن الآلة هي خادم مع أن الآلة ليست عاقلاً؟

وورد في التاج قولهم: «هذا القميص يخدم سنة» أي أُسِنِدت الخدمة لغير العاقل. ولعل هذا ما شجّع الكتاب والأدباء بعد عصر الاحتجاج على استعمال كلمة «استخدم» للعاقل ولغيره، فقد تكررت كلمة «استخدم» في مجموعة من

كتبهم آلاف المرات [المكتبة الشاملة]، والنصف منها تقريباً يوقع الخدمة على ما لا يعقل، ومنها:

- قول ابن حزم في (المحلّي): «فإن لم يفِ استخدمَ المأل في الباقي»
٥٠٠/١١.

- قول ابن قدامة في (الشرح الكبير): «وإذا استخدمَ المشتري المبيعَ ففيه روايتان» ٧٤/٤.

- قول الشهرستاني في (الملل والنحل): «استخدمَ القوتين» ٨٨/١.

- قول الصفدي في (الوافي بالوفيات): «استخدمَ لفظَ الذباب في معنيّه»
٩١١/١.

- قول الكفوي في (الكليات): «استخدمَ اللهُ سبحانه وتعالى لفظَ الجلالة»
١٣٩/٣.

- قول العباسي في (معاهد التنصيص): «استخدمَ كثيرٌ من الشعراء لفظة الغضا» ٢٢٤/١.

- قول القلقشندي في (صبح الأعشى): «استخدمَ كلُّ سيف وقناة» ١٣٢/١٢.

- قول لسان الدين بن الخطيب في (نفع الطيب): «استخدمَ الأسَل الطوال»
٤١٨/٦.

٤- القرار:

جواز قولهم: «استخدم» بمعنى «استعمل» للعاقل ولغيره، وهو للعاقل أولى.

(٦)

(استضاف القوم فلاناً)

١- المسألة:

يستعمل بعضهم عبارة: «استضاف القوم فلاناً» بمعنى: قدّموا له الضيافة.

٢- الاقتراح: عدم إجازة العبارة بالمعنى السابق، والصواب أن يقال لهذا

المعنى: «ضيّف القوم فلاناً»، وأن يقال بمعنى طلب قدوم الضيف: «استضاف القوم فلاناً».

٣- التعليل:

أ- إن مما تعنيه صيغة (استفعل) طلب الشيء، وهي بحسب قولهم تعني تقديم الشيء، وهذا ليس صحيحاً.

ب- إن العربية عبّرت عن تقديم الضيافة للضيف بعبارة: «ضيّف القوم فلاناً». وفي القرآن الكريم: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾، أي أن يقدموا لهما الطعام الشراب وما يُقدّم للضيف.

ج- إن بناء (استفعل) يفيد الطلب، وعلى هذا يصح قولهم: «استضاف القوم فلاناً» بمعنى: طلبوا إليه أن يكون ضيفاً.

٤- القرار:

صحة قولهم: «استضاف القوم فلاناً» بمعنى: طلبوا إليه أن يكون ضيفاً،

وخطؤه بمعنى: قدّموا إليه الضيافة.

(٧)

استعرض

(استعرض القائد الجند، واستعرض الباحث أفكاره)

١- المسألة: يخطئ بعضهم عبارة «استعرض القائد الجند»، لأن الفعل (استعرض) لم يرد في المعاجم بهذه الدلالة، والصواب عندهم: «عرض القائد الجند».

٢- الاقتراح: جواز قولهم: «استعرض القائد الجند».

٣- التعليل:

أ- جاء في اللسان: «عرض الشيء يعرضه عرضاً: أراه إياه.. واعترض الناس: عرضهم واحداً واحداً.. واستعرضه: سأله أن يعرض عليه ما عنده.. واستعرضته: أي قلت له: اعرض عليّ ما عندك.. واستعرض حجرة الوادي: أتاها من جانبها عرضاً».

وعلى هذا فمعنى عبارة القدماء: «استعرضه: سأله أن يعرض عليه ما عنده» هو مثل عبارة المحدثين: «استعرض القائد الجند» أي سألم أن يعرضوا عليه ما عندهم من مظاهر القوة والعتاد.

وجاء في اللسان: «عرض الشيء عليه عرضاً: أراه إياه» فالعرض هو الإراءة، والاستعراض هو طلب الإراءة، وهو معنى الاستعراض.

وأما قول المحدثين: «استعرض الباحث أفكاره» فلا تُقبل إلا على جهة المجاز، كأن الباحث طلب إراءة أفكاره الآخرين.

ب- أجازها مجمع القاهرة وأوردها المعجم الوسيط.

٤- القرار: جواز قولهم: «استعرض القائد الجند، واستعرض الباحث أفكاره».

(٨)

استعوض

(استعوض التاجر بضاعة)

١- المسألة: يخطئ كثير من اللغويين استعمال كلمة "استعوض" بالتصحيح، لأن غالب ما ورد في اللغة من أمثاله هو الإعلال، فيقال: "استعاض، واستعاضة" كما يقال: استفاد واستفادة.

٢- الاقتراح: عدم جواز الفعل "استعوض".

٣- التعليل:

أ- الغالب في الأفعال الجوف في صيغتي: (أفعل، واستفعل) هو الإعلال، فيقال: استجاد، استعاض، استمال.

ب- ليس في فعل "استعوض" دلالة خاصة تميزه من "استعاض" فيكون ذلك مسوغاً للتصحيح.

٤- القرار: عدم جواز استخدام الفعل "استعوض" بمعنى "استعاض".

(٩)

استقطب

(استقطب الزعيم الجماهير)

١- المسألة: يستعمل المعاصرون كلمة (استقطب) ومشتقاتها بمعنى جذب الناس أو الأشياء إليه أو استمالهم أو جمعهم حوله. على أن هذا الفعل لم يرد بهذه الدلالة في المعاجم القديمة، كما أن دلالتيه (قطب، قطب) مغايرتان.

٢- الاقتراح: جواز قولهم: (استقطب) بمعنى جمع الناس أو الأشياء وجذبهم إليه.

٣- التعليل:

أ- جاء في اللسان: "قَطَبَ الشيءَ يَقْطِبُهُ قَطْبًا: جَمَعَهُ" فقولهم: (استقطب) يحمل معنى جمع الناس حوله، أو استجمعهم أي طلب إليهم الاجتماع حوله، وهو من المعاني المقصودة بهذا الفعل.

ب- وجاء: "القُطْبُ: الحديدة القائمة التي تدور عليها الرَّحَى .. أو القائم الذي تدور عليه الرَّحَى، والجمع أقطاب وقُطوب.. وقُطْبُ الفَلَكِ: مداره.. والقُطْبُ: كوكب صغير لا يزال الدهر.. وقطب القوم: سيدهم".

فالقُطْبُ هو المركز والمدار والسيد. ويمكن حمل (استقطب)- ويناؤها (استفعل)- على معنى الطلب الذي هو أظهر معاني (استفعل) فيكون معنى (استقطب) طلب أن يكون مركزاً أو مداراً أو سيداً لجماعته. وكل ذلك لا يتم إلا بجذب الناس إليه واستمالتهم.

ج- أقرها مجمع القاهرة بهذه الدلالة.

٤- القرار:

جواز قولهم: (استقطب) بمعنى جمع الناس أو الأشياء وجذبهم إليه.

(١٠)

(استقلَّ فلانُ سيارَةً إلى بيته)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة "استقلَّ فلانُ السيارةَ إلى بيته"، ويرى أن الصواب أن يقال: "استقلَّته السيارة، أو استقلَّتِ السيارةُ الرجلَ"؛ لأن معنى (استقلَّ) هو (حمَل)، والسيارة هي التي تحمل الرجل وليس العكس.

٢- الاقتراح:

جواز أن يقال: "استقلَّ فلانُ السيارةَ إلى بيته"، وإن كان الأولى أن يقال: "استقلَّتِ السيارةُ فلاناً أو أقلَّته".

٣- التعليل:

أ- إن من معاني (استفعل) طلب الأمر والشيء، فقولهم: "استقلَّ فلانُ السيارةَ" يمكن أن يُحمل على معنى "طلب من السيارة أن تقلَّه أي تحمله" ... ومن نظائرها حمل واستحمل، أي طلب منه أن يحمله، فقد ورد في التاج: "استحملته: طلبت إليه أن يحملني"، فلماذا يصح أن يقال: استحمله بمعنى طلب أن يحمله، ولا يصح استقلَّه بمعنى طلب إليه أن يقلَّه؟

ب- يمكن أن تُحمل عبارة "استقلَّ السيارةَ" على معنى "طلب من السيارة الإقلال" وذلك على نزع الخافض.

ج- كما يمكن أن تُحمل العبارة على القلب، وهو من أساليب العربية، بأن يُسند الفعل لغير صاحبه. قالت العرب: "أدخلتُ الخاتمَ في إصبعي" والأصل: أدخلتُ إصبعي في الخاتم، لأن الإصبعَ هي التي تُدخَل. وقالت العرب: "عرضتُ الناقةَ على الحوض"، والأصل: عرضتُ الحوضَ على الناقة. وقالت العرب: "علقَ القلبُ حبَّها" والأصل: علقَ حبُّها القلبَ، فالحب هو الذي يعلق.

قال الشاعر:

علق القلبُ حبَّها وهوها وهي بكرٌ غريرةٌ خوثناء

(خوثناء: الممتلئة أو الأليفة. القاموس المحيط "خوث")

قال الحريري: "وقلب الكلام من سنن العرب الماثورة وتصاريف لغاتها المشهورة. ومنها في القرآن الكريم: ﴿ما إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أُولي القوة﴾ لأن تقديره: ما إنَّ العصبة لتنوء بمفاته، أي تنهض بها على ثقاقل. (ينظر: درة الغواص ١١٨، والصاحبي ٢٠٢، وحاشية البغدادي ٢/٥٨٤).

د- تجويز مجمع القاهرة إياها في دورته الستين. يُنظر الألفاظ والأساليب

١٧٧/٣.

٤- القرار:

جواز قولهم: «استقلَّ فلانُ السيارة».

(١١)

(استمرت اجتماعات ولقاءات الباحثين أسبوعاً)

١- المسألة: يخطئ بعضهم هذه العبارة، لأنه لا يجوز العطف على المضاف قبل مجيء المضاف إليه، والصواب عندهم أن يقال: "استمرت اجتماعات الباحثين ولقاءاتهم أسبوعاً".

٢- الاقتراح: جواز قولهم: "استمرت اجتماعات ولقاءات الباحثين أسبوعاً".

٣- التعليل:

أ- أجاز النحاة العطف على المضاف قبل مجيء المضاف إليه، ولكن بمعطوف واحد، ومما استدلوا به:
قول الشاعر:

يا من رأى عارضاً أسرُّ به بين ذراعِي وجبهة الأسد

وقول العرب: «قطع الله يدَ ورجلَ من قالها».

ب- أجازها مجمع القاهرة، القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب ١٩٣٤-١٩٨٧ ص ٦٤.

٤- القرار: جواز قولهم: «استمرت اجتماعات ولقاءات الباحثين أسبوعاً»، والأولى أن يقال: «استمرت اجتماعات الباحثين ولقاءاتهم أسبوعاً»، والأولى أن يقال: «استمرت اجتماعات الباحثين ولقاءاتهم ...».

(١٢)

استهدف

(استهدف القانون المصلحة العامة)

- ١- المسألة: يخطئ بعضهم عبارة "استهدف القانون المصلحة العامة"، لأن هذا الفعل لم يرد متعدياً، والصواب عندهم: "أهدفَ القانون المصلحة العامة".
- ٢- الاقتراح: جواز قولهم: "استهدف القانون المصلحة العامة"، متعدياً.
- ٣- التعليل:

أ- جاء في لسان العرب: "يقال لكل شيء دنا منك وانتصب لك واستقبلك: قد أهدفَ واستهدف". وجاء: "وسمي الغرض هدفاً.. وأهدفَ لك الشيء واستهدف: انتصب".

وجاء في شعر حمدان بن أبان اللاحقي (أهدفَ) بمعنى جعل الشيء هدفاً، وذلك قوله:

هجا عرضاً لهم غضاً جديداً وأهدفَ عرض والده اللببسا

وورد في سيرة دحلان على هامش السيرة الحلبية في حديث عَرَضَ النبي نفسه على القبائل في حديث كندة قال: «قال له قائل: أتمهدفُ نحورنا للعدو دونك؟» أي: أتجعل نحورنا هدفاً؟

فإذا كان (استهدف وأهدف) قد جاء بمعنى واحد هو (انتصب) اللازم، وإذا كان (أهدف) قد جاء بمعنى (جعل الشيء هدفاً) أي متعدياً، فيمكن حمل (استهدف) في تعديته على (أهدف).

ب- جاء في اللسان: "ويسمى الغرض هدفاً".

ولما كان أظهر معاني بناء (استفعل) هو الطلب، ساغ استعمال (استهدف) بمعنى طلب الهدف أي الغرض. فيصبح معنى العبارة: (طلب المصلحة العامة)، كما أن من معانيه (جعل الشيء على هيئة) نحو (استنوق الجمل) أي جعله كالناقة، ونحو: استصوبه وأصابه: رآه صواباً، إذ جاء (أفعل) بمعنى (استفعل).

٤ - القرار: جواز قولهم: «استهدف القانون المصلحة العامة»، ونحوه.

(١٣)

أَشْرَ وَتَأْشِيرَةٌ وَمُؤَشِّرٌ

(أَعْطَاهُ تَأْشِيرَةَ دُخُولِ)

١- المسألة:

يُحْطَىٰ بِعَضْمِ كَلِمَةِ (أَشْرَ) بِمَعْنَى وَضْعِ إِشَارَةٍ، وَكَلِمَةِ (تَأْشِيرَةٌ) بِمَعْنَى عِلَامَةٍ أَوْ سَمَةٍ، وَكَلِمَةِ (مُؤَشِّرٌ) بِمَعْنَى دَلِيلٍ أَوْ مِقْيَاسٍ. لِأَنَّهُ لَيْسَ لِمَادَةِ (أَشْرَ) فِي لُغَةِ الْعَرَبِ هَذِهِ الدَّلَالَةُ، فَالْأَشْرُ هُوَ الْبَطْرُ، وَالتَّأْشِيرَةُ هِيَ أَثْرُ عَضِّ الْجِرَادَةِ.

٢- الاقتراح: جواز قولهم "أَشْرَ وَتَأْشِيرَةٌ وَمُؤَشِّرٌ" وفق مفهوم المحدثين.

٤ - التعليل:

أ- (أَشْرَ) فعل مشتق من الإشارة، أي هو مشتق من المشتق. ولهذا الاشتقاق المركب نظائر في العربية، كما يقال: تمسكن من مسكين، المشتق من (سكن). والعرب تعامل الحرف الزائد كالأصلي في مواطن كثيرة.

ب- أورد المعجم الكبير (أَشَّرَ) بمعنى وضع إشارة على كتاب أو طلب، وقال: هي محدثة. كما أورد كلمة (تأشيرة) بمعنى ملاحظة تُدَوَّن على هامش كتاب أو طلب لإيضاح الرأي فيه، وقال: هي محدثة، وأورد (المؤشِّر) بمعنى ما يشار به.

ج- إعطاء التأشيرة لدلالة سمة الدخول أو الخروج من بلد، المدونة على جواز السفر، لا يخرج عن المعنى العام، لأنَّ التأشيرة ملاحظة تُجيز لصاحبها الدخول أو المرور كما ورد في المعجم الكبير.

أمَّا (المؤشِّر) فهو ما يشار به عامة، ولكنَّه خُصَّصَ هنا بمعنى ما يشار به إلى حركة الأسواق والأموال، فهو دليل يشير إلى سعر أو نحوه.

٤-القرار:

جواز قولهم: «أَشَّرَ، وتَأَشِيرَةٌ، ومُؤَشِّرٌ»، كما تُسْتَعْمَلُ كلمة «سمة» لهذه الدلالة. وجواز قولهم «مؤشِّر» بمعنى «دليل».

(١٤)

أَضْرَبَ وَإِضْرَابٌ

(أَضْرَبَ الْعَمَالُ عَنِ الْعَمَلِ)

١- المسألة:

يرى بعضهم أن هذه الكلمة لم ترد بهذه الدلالة في المعاجم اللغوية .

٢- الاقتراح: جواز عبارة "أَضْرَبَ الْعَمَالُ، وكانَ الْإِضْرَابُ نَاجِحًا".

٣- التعليل:

- أ- ورد في التاج: "أَضْرَبَ فُلَانٌ عَنِ الْأَمْرِ فَهُوَ مُضْرِبٌ إِذَا كَفَّ عَنْهُ".
- ب- ورد في اللسان: "أَضْرَبَ فُلَانٌ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا كَفَّ، فَهُوَ مُضْرِبٌ... وَأَضْرَبَ فِي الْبَيْتِ أَقَامَ". وفي الإضراب إقامة وكف عن العمل.
- ج- أوردها المعجم الوسيط والمعجم المدرسي بالدلالة المعاصرة على أنها (محدثة). جاء في الوسيط: "أَضْرَبَ الْعَمَالُ وَنَحْوَهُمْ: كَفُّوا عَنِ الْعَمَلِ حَتَّى تَجَابَ مَطَالِبُهُمْ". ومثله في المعجم المدرسي.
- ٤- القرار: جواز قولهم: «أَضْرَبَ عَمَالُ الْمَصْنَعِ، وَكَانَ إِضْرَابُهُمْ نَاجِحًا».

(١٥)

أطاح به

(أطاح الثَّوَارُ بِالْمُسْتَعْمِرِ)

١- المسألة:

- يُخَطِّئُ بَعْضُهُمْ عِبَارَةَ "أَطَاحَ الثَّوَارُ بِالْمُسْتَعْمِرِ"، بِمَعْنَى "أَسْقَطُوهُ وَأَذْهَبُوهُ"، وَالصَّوَابُ عِنْدَهُمْ "أَطَاحُوهُ" لِأَنَّ الْفِعْلَ "أَطَاحَ" مُتَعَدِّ بِنَفْسِهِ.
- ٢- الاقتراح: جواز قولهم: "أَطَاحُوا بِالْمُسْتَعْمِرِ" بِمَعْنَى "أَسْقَطُوهُ".

٣- التعليل:

- أ- جاء في اللسان: "طَاحَ الشَّيْءُ طَيْحًا: فَنِيَ وَذَهَبَ. وَأَطَاحَهُ: أَفْنَاهُ وَأَذْهَبَهُ، وَطَيَّحَ بِشَوْبِهِ: رَمَى بِهِ".

وجاء في التاج: "ويقال: أين طيِّح بك؟ أين ذهب بك؟".

ب- ولكن:

مادام قد ورد في التاج "طيِّح بك بمعنى ذهب بك" فهذا يعني أن طيِّح به تعني ذهبَ به. أي يجوز على هذا أن يقال: "طيِّح الثوار بالمستعمر".

ولمَّا كان (فَعَّلَ) يأتي بمعنى (أَفْعَلَ) كثيراً، نحو: "غَلَقْتُ الأبواب وأغَلَقْتُهَا" إذ قال ابن يعيش: "وأَمَّا (فَعَّلَ) فإنه يشارك (أَفْعَلَ) في أكثر معانيها، إلا أن أحدهما قد يكثر في معنى ويقل في الآخر".

ولمَّا كانت تعدية المتعدي مباشرة بالحرف مسموعة في العربية كما ورد في اللسان في مادة (غلا): "لَعِبَ بالكعاب ولَعِبَ الكعاب".

فلكل ذلك جاز أن يستعمل "أطاح الشيء وأطاح به".

وعليه يمكن تخريج عبارة الرياضيين: "أطاح المصارع بخصمه" بمعنى رمى به وأسقطه.

٤- القرار:

جواز قولهم: «أطاحوا بالمستعمر» بمعنى «أسقطوه».

(١٦)

اعتقل

(اعتقلت الشرطة المجرم)

١- المسألة:

يخطئ بعضهم عبارة "اعتقلت الشرطة المجرم" بمعنى ألت القبض

عليه، لأن (اعتقل) لم يرد في المعاجم القديمة بهذه الدلالة.

٢- الاقتراح: جواز كلمة (اعتقل) بمعنى ألتى القبض.

٣- التعليل:

أ- ورد في المعاجم: "عَقَلَ البعير: شَدَّ وَظَيْفَهُ (ساقه) إلى ذراعهِ" يعني تقييده من الحركة، والاعتقال بالمعنى المحدث هو تقييد لحركة الجاني أو المتهم. و(المعتقل) هو مكان الاعتقال، أي مكان تقييد حركة المتهم.

ب- قولهم: "عقل فلاناً: صرعه ورماه أرضاً"، قريب من المعنى المحدث، وهو مجاز من تسمية الشيء بما سيؤول إليه، فكأنَّ العَقْل والاعتقال هو القبض على الجاني مقدمة لصرعه.

٤- القرار:

جواز قولهم: «اعتقلت الشرطة المجرم».

(١٧)

(أَعْدَمَ الْقَاضِي الْمُجْرِمَ)

١- المسألة:

ينكر بعضهم استعمال الفعل (أَعْدَمَ) بمعنى أزهدق روح إنسان قصاصاً؛ لأنَّ المعاجم لم تورد للفعل (أعدم) هذا المعنى، ففي التاج: "أَعْدَمَ الرَّجُلُ إِعْدَاماً: افْتَقَرَ فَهُوَ عَدِيمٌ. وَمُعْدِمٌ: لَا مَالَ لَهُ". فالفعل على بناء (أفعل) لازم، وهو في عبارة المحذنين متعدُّ.

٢- الاقتراح: جواز قولهم "أَعْدَمَ الْقَاضِي الْمُجْرِمَ".

٣- التعليل:

أ- جاء في التاج: "أَعْدَمَنِي الشَّيْءُ: لَمْ أَجِدْهُ.. وَأَعْدَمَ فَلَاناً إِذَا مَنَعَهُ".
 وجاء في الوسيط: "عَدِمَ الْمَالَ عَدَمًا وَعُدْمًا: فَقَدَهُ" فهو متعدُّ، وعليه فالإعدام يعني (الإفقاد)، وإذا كان (الإفقاد) هو للمال غالباً فإن الإعدام هنا هو (إفقاد الروح والحياة)، وهو نوع من تعميم الدلالة بعد تخصيصها، وهو من طرائق تطور الدلالة.
 ب- ورد الفعل بهذه الدلالة في المعجم الوسيط بعد إقرار مجمع القاهرة (الألفاظ والأساليب ٣/١٤٦). وورد في المعجم المدرسي وأشير إلى أنه مؤلَّد.
 ج- شيوع الكلمة في القضاء والحقوق وصب القوانين حتى لا يمكن الاستغناء عنها.

٤- القرار: جواز قولهم: «أَعْدَمَ الْقَاضِي الْمُجْرِمَ».



الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠١٢م

أ. أنور درويش (*)

أ- الكتب العربية

- أوراق ثقافية: الأستاذ شحادة الخوري، وزارة الثقافة بدمشق، ط ١، ٢٠١٢.
- بديع التلخيص وتلخيص البديع: الشيخ طاهر بن صالح الجزائري، تحقيق: عدنان عمر الخطيب، دار التقوى، دمشق ٢٠١٢.
- بيان أخطاء وخطايا مخطئ القرآن: الأستاذ إبراهيم محمد يوسف، دار الفرقد، ط ١، دمشق ٢٠١٢.
- تاريخ الفن والعمارة: د. عفيف البهنسي دار الشرق للنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤.
- التصريح بمضمون التوضيح: تحقيق د. عمر يوسف مصطفى، دار الينابيع، دمشق ٢٠٠١.
- تطبيقات نحوية: د. عمر يوسف مصطفى، دار الينابيع، دمشق.
- خطاب الأصالة في الفن والعمارة: د. عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤.

(*) أمين مكتبة المجمع

- دراسات في اللغة والنحو: د. عمر يوسف مصطفى، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٨.
- علم الجمال وقراءات النص الفني: د. عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.
- علم الخط والرسوم: د. عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.
- علم المتاحف والمعارض: د. عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.
- العمارة والمعاصرة: د. عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.
- غير المطرد في القراءات القرآنية (قراءة في العلاقة بين القاعدة والنص):
د. محمد عبدو فلفل، دار العصماء ط ١، دمشق ٢٠١٢.
- كتاب الدماميني النحوي: عمر يوسف مصطفى، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٩.
- مبادئ في الفكر الاقتصادي الإسلامي: الأستاذ محمد غسان الجبان، دار أفنان،
دمشق، ٢٠١٢.
- مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي: الأستاذ محمد غسان الجبان، دار أفنان،
دمشق، ٢٠١٢.
- مباحث في النحو والصرف: د. عمر يوسف مصطفى، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٨.
- المفصل في إعراب الجمل: د. عمر يوسف مصطفى، محمد خالد الرهاوي، دمشق،
دار الينابيع.
- موسوعة التراث المعماري: د. عفيف البهنسي، دار الشرق للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.
- موسوعة الرياضيات (المرحلتان الأساسية والثانوية والسنوات الجامعية الأولى): د. موفق
دعبول، د. إلهام الحمصي.
- النحو وتاريخه: د. عمر يوسف مصطفى بالاشتراك مع آخرين، جامعة دمشق، ٢٠١٢.

المجلات العربية

عطاف تركماني

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
آفاق الثقافة والتراث	٧٨	٢٠١٢	الإمارات
أخبار المركز	٥٢	٢٠١٢	الإمارات
أفلام جديدة	٤٦-٤٥	٢٠١٢	الأردن
بناء الأجيال	٨٣	٢٠١٢	سورية
ثقافتنا	٣٢	٢٠١٢	إيران
الشريعة	٥٥٩	٢٠١٢	الأردن
عالم الذرة	١٤١	٢٠١٢	سورية
المجلة البطريركية	٣١٤-٣١٥-٣١٦	٢٠١٢	سورية
مجلة جامعة دمشق والعلوم الهندسية	١	٢٠١٢	سورية
المجلة العربية للعلوم الإنسانية	١١٩	٢٠١٢	الكويت
مجلة كلية دار العلوم	٦٣	٢٠١٢	مصر
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٨٢	٢٠١٢	الأردن
الوعي الإسلامي	٥٦٨-٥٦٥	٢٠١٢	الكويت

النشرة الاجنبية

رعى المعدني (*)

Books:

- Gamal Abdel Nasser/ Georges Vaucher
- Textes sur le colonialism / Karl Marx et Engels.
- Nights in June / Petru Dumitrin.
- Choses Vues / Victor Hugo.
- Misérables / Victor Hugo.
- Short Stories / Alexandra Sahia.
- Situations VI / Jean Paul Sartre.
- La Méthode statistique / André G.Laurent
- Dreams of Glory / Thomas Fleming

Periodicals:

- Ajames, N.25- 1 (2008).
- Resistance, N.8-9-10-11-12 (2008).
- Deutschland, N.4-5-6 (2008).
- East Asian Review, Vol.20, N. 3 (2008).
- Hamadard Islamicus, Vol. 31, N. 2 (2008).
- Korea Focus, Vol. 16, N. 3-4 (2008).

